Amly
http://arabicivilization2.blogspot.com

سلسلة الأدب
مكتبة الأسرة ٢٠٠٨

البشارة

دين إين تشووفو

قصة من تأليف الروائي الياباني

ياسو أوكا شووتارووه

ترجمة من اليابانية إلى العربية

دكتور أحمد فتحي

البشارة

دين إين تشـــو وفو

برعاية السيدة

سوزان مبارك

المشرف العام
د . ناصر الأنصاري

تصميم الغلاف
د . إيناس حسنى

التنفيذ
الهيئة المصرية العامة للكتاب

الجهات المشاركة
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة التنمية المحلية
المجلس القومى للشباب
وزارة التنمية الإقتصادية

البشارة

دين إين تشوو فو

قصة من تأليف الروائي الياباني

ياسو أوكا شوو تاروو

ترجمة من اليابانية إلى العربية

دكتور أحمد فتحي

Amly

http://arabicivilization2.blogspot.com

مكتبة ٢٠٠٨

البشارة

لوحة الغلاف من أعمال الفنانة : إيمى نمر

كإضافة جديدة لمكتبة الأسرة قدمنا على غلاف كل كتاب لوحة تشكيلية لفنان مصرى معاصر من مختلف المدارس والأجيال وهذه اللوحات لا تعبر بالضرورة عن موضوع الكتاب.

وتتقدم مكتبة الأسرة بالشكر لقطاع الفنون التشكيلية بوزارة الثقافة ومتحف الفن المصرى الحديث على هذا التعاون.

ياسو أوكا شووطاروو ، ١٩٢٠ -.

البشارة/ تأليف: ياسو أوكا شووطاروو .- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨.

١٦٠ ص ؛ ٢٠ سم.

تدمك : ١ - ٤٧٠ - ٤٢٠ - ٩٧٧ - ٩٧٨.

١ - القصص اليابانية..

أ - العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٥١٠ / ٢٠٠٨

I.S.B.N 978 - 977- 420 -470 - 1

ديوى ٨٩٥,٦٣

توطئة

منذ ثمانية عشر عامًا انطلق مهرجان القراءة للجميع على جناح فكرة أن الكتاب هو عماد المعرفة الرئيسى، والثقافة الرفيعة، وأن الكتاب ينفرد عن غيره من أدوات التثقيف ومصادر المعرفة بقدرته على تنمية الفكر وصنع العقول المستنيرة، وتكوين الشخصيات المتميزة، وفتح آفاق الاستنارة أمام الملايين، والإسهام فى تشكيل وجدان الأمة، وحفظ تراثها، والوصول إلى رؤى مستقبلية لنهضتها.

ولقد حرصت مكتبة الأسرة طوال أعوامها السابقة كرافد رئيسى للمهرجان على تحقيق الهدف النبيل من تأسيسها.. ذلك الهدف الذى تحدد فى طرح العبقرية الإبداعية والفكرية والعلمية للمجتمع المصرى المعاصر، وفتح نوافذ على الفكر والإبداع العالمى، وإقامة جسور بين الحضارات المختلفة، والتعرف على ثراء التاريخ الفرعونى والإسلامى، وأخيرًا تحفيز الأجيال الجديدة على القراءة حتى تصبح عادة، بل ضرورة ملحة تترسخ أهميتها فى الأذهان من خلال كتب عظيمة الفائدة، تباع بأسعار رمزية فى متناول الملايين.

ولأن وصول الكتاب إلى كل مكان فى مصر سيظل حلم السيدة الفاضلة سوزان مبارك، راعية القراءة للجميع. فلقد أعلنت هذا العام مبادرتها الجديدة بإهداء مليون كتاب مجانًا للمجتمع. ولأن مهرجان القراءة للجميع يتخذ شعارًا مختلفًا كل عام يتواءم مع الرسالة التى

يهدف إلى تحقيقها وتنوعها وتطورها عامًا بعد عام، فإن مكتبة الأسرة تتخذ توجهًا عامًا فى اختياراتها للكتب، يستهدف دائمًا تحقيق وعى عام متجدد يطور القوى الاجتماعية، ويقوم على منظومة قيم تتلخص فى تعميق دور العلم والتفكير العلمى، وتعزيز الديمقراطية، والتعددية وترسيخ قيمة المواطنة والانتماء والمشاركة والمسئولية، ودور مؤسسات المجتمع المدنى، وتأكيد قيمة التسامح وثقافة السلام، وترسيخ قيمة دور المرأة، وقيمة التجدد الثقافى والتفكير النقدى والحوار والتبادل والتواصل المجتمعى والدولى، وإبراز تواصل الإبداع المصرى. ولقد تم استحداث قيمة جديدة هذا العام هى تعزيز تجليات الوطن وقضاياه، وذلك لمواجهة متغيرات خرائط الصراع المضاد، الذى يسعى إلى التفتيت بإشعال الفتن والانقسامات التى تحول الانتماء الوطنى إلى ولاءات لأعراق وعقائد ومذاهب، وفق تصنيفات قاطعة تعمل على تعبئة الناس وقولبتهم لكى تضعهم فى موقف التضاد بعضهم لبعض على سبيل الاستبعاد والاستعداء للنيل من سيادة الدولة الوطنية، وانتهاك دعمها للمواطنة والديمقراطية والمجتمع المدنى ومشروعية التعايش، ولذا ستظهر تجليات الوطن وقضاياه وتتجسد فى الإبداعات التى ستطرحها مكتبة الأسرة هذا العام.

لقد نهض صرح مكتبة الأسرة على أعمدة المكتبة العربية، وثراء تحفها الإبداعية والفكرية، واكتشاف الأقلام الموهوبة الشابة، فالتف الجميع حوله كواحد من أكبر المشاريع الثقافية فى تاريخ مصر الحديث، نأمل دائمًا أن يحقق أحلامه العظمى، وأن يساهم مساهمة فعلية فى نهضة المجتمع.

مكتبة الأسرة

تقديم

ياسوأوكا شووتاروووه كاتب يابانى معاصر، ولد بجزيرة شيقوكو بالجنوب اليابانى عام ١٩٢٠، بدأ حياته الأدبية كاتبًا للقصص القصيرة وأصدر عددًا من المجموعات القصصية منها الواجب الدرسى، المرأة البدينة، صباح حار رطب، وسرعان ما اتجه نحو الرواية، حيث أصدر رفاق السوء، حين يأتى الربيع، وغيرهما من الأعمال التى رسخت لاسمه كأحد أبرز الروائيين المعاصرين.

وقد عكف الأديب المترجم الدكتور أحمد فتحى على أعمال هذا المبدع، وقام بترجمة العديد من أعماله، ويعد هذا الكتاب (البشارة) هو الكتاب الثالث بين مجموعة أعماله «ياسو»، الذى يقوم المترجم بتقديمه للمكتبة العربية، عن اللغة اليابانية مباشرة، وقد ترجم له من قبل روايته (مشهد على شاطئ البحر)، أما الإصدار الثانى فقد كان لمجموعته القصصية (الواجب المدرسى).

يضم كتاب البشارة روايته القصيرة (رفاق السوء) التى صدرت عام ١٩٥٣ وروايته حين يأتى الربيع التى صدرت عام ١٩٥٨ وهما

الروايتان اللتان تتعرضان لخط أساسى بيَّن، وهو علاقة البطل بأمه فى حالة غياب الأب ومحاولاته الفكاك من سيطرة أمه وأسرها، يضم الكتاب أيضًا رواية الحذاء الزجاجى والتى صدرت عام ١٩٥١ التى تصور حياة شخص يقوم بالعمل مساء وحتى الصباح بحراسة متجر لبيع أسلحة وبنادق الصيد بينما يذهب بالنهار إلى المدرسة، ويتعرف من خلال عمله على خادمة يابانية تعمل فى منزل أحد الضباط الأمريكيين، حيث تنشأ بينهما قصة حب قصيرة، وهى رواية تعتمد على الخيال المفرط غير أن خيوطها الأساسية نابعة من الواقع المعاش، كما يضم الكتاب أيضًا قصتين قصيرتين هما رائحة الحى الهادئ والبشارة.

ومكتبة الأسرة تقدم هذا الكتاب ضمن إصداراتها هذا العام عن طبعته الأولى الصادرة عام ٢٠٠١.

المقدمة

هـذه هى المجموعة القصصية الثالثة التى أقوم بترجمتها مـن اليابانية إلى العربية لنفس الكاتب اليابانى المعاصر "ياسو أوكا شووطاروووه" – ٨١ عاماً – وتقديمها للقارئ العربى خلال سنتين.

ولـد هذا الروائى اليابانى عام ١٩٢٠م بمحافظة "قوونتشي" بجنوب جزيرة "شيقوكو" باليابان، وعائلته من العائلات العريقة ذات الـنفوذ بنفس المحافظة منذ زمن طويل. ولأن والده كان طبيـباً بيطـرياً بالجيش وذو رتبة عالية فقد عاش "ياسو أوكا" وحـيد أبـويه حياةً منعمة رغدةً نسبياً، ولكن "ياسو أوكا" على الجانـب الآخر ظل يعاني طوال فترة طفولته وصباه من عدم الاسـتقرار فـي حـياته حـيث كان والده بحكم ظروف عمله العـسكرية دائم التنقل من مدينة إلى أخرى حتى إنه عاش وهو طفل لبعض الوقت في شبه الجزيرة الكورية مما أدى ذلك إلى انتقاله المستمر من مدرسة إلى أخرى وبالتالي إلى تقوقعه على نفـسه وإلى عدم رغبته في مصاحبة زملاء جدد حيث إنه لن يلـبث أن ينفـصل عنهم إن طال الوقت أو قصر.. وقد لخص معاناته تلك وكراهيته للمدرسة في المرحلة الابتدائية في روايته "الـواجب المدرسـي" (SHUKUDAI) التي نشرت عام ١٩٥٢ وهو في الثانية والثلاثين من عمره.

ومـــع اشـــتعال حدة المعارك والصراعات العسكرية بين اليابان والصين بوجه خاص وبين اليابان ومستعمراتها الأخرى بـــوجه عام ثم مع دخول اليابان في مواجهة شاملة مباشرة مع الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الغربيين في جنوب شرق آســـيا.. صـــار غياب الأب عن البيت وعن اليابان في ساحات القـــتال بالمـــستعمرات اليابانـــية فـــي آسيا مستديماً ولسنوات متواصـــلة، فـــصار "ياسو أوكا" يعيش وحيداً مع والدته القوية الشخـــصية التـــى اضطرت إلى القيام أيضاً بدور الأب الغائب فزادت من إحكام قبضتها عليه وتحكمها في تحركاته مما جعله بالتالـــي يـــصاب بالكـــبت والحنق، فصار على العكس يحاول الإفـــلات من قبضة أمه عن طريق مصادقته للفلاتية من رفاق الدراسة.. وبالتالى صار ينظر بعين الحنق إلى تلك الحرب التي أخذت أبوه منه وجعلته غائباً باستمرار عن البيت. وتلك الفترة التـــي شـــهدت تخبطه وحيرته ووحشته ورغبته في الفرار من الواقـــع.. تجسدت في سلسلة من أعماله الأدبية في بداية حياته ككاتـــب قصـــصي، ومنها "الواجب المدرسي" و"المرأة البدينة" و"صـــباح حـــار رطب" ومنها كذلك "رفاق السوء" و"حين يأتي الـــربيع" وهمـــا الـــروايتان اللتان أضمهما إلى هذه المجموعة الجديدة المكونة من خمسة قصص.

روايـــة "رفاق السوء" (WARUI NAKAMA) تم إصدارها بـــتاريخ يونيو ١٩٥٣ وهي واحدة من الروايات التي أدت إلى شـــهرة "ياســـو أوكا" في مجال الأدب الياباني في بداية حياته

الأدبية وجعلت الكثيرين من النقاد والباحثين حتى يومنا هذا يتناولونها بالبحث والتحليل. فالرواية أولاً من عنوانها تشير مباشرةً إلى تلك المرحلة التي تحدثت عنها منذ قليل والتي تبدأ بجملة تنوه عن بداية الاضطرابات التي وقعت في الصين ومنشوريا أثناء الاحتلال الياباني لتلك المناطق، وهي بذلك إعلان غير مباشر يشير إلى الخلفية التاريخية والسياسية لأحداث القصة والتى تنتهي أيضاً بجملة تشير إلى أن اليابان بدأت تنزلق في حروب دولية مختلفة.

وهذه البداية مع تلك النهاية من المعتقد أنهما لم يأتيا بطريق المصادفة بل إنه يلزم هنا على القارئ أن يهتدي على ضوء هاتين الجملتين لكي يحاول تجميع تلك الجمل والمواقف التي تتخلل الرواية وتوضح للقارئ لقطات من الخلفية السياسية والاجتماعية والنفسية لليابان ولليابانيين وخاصة الشباب منهم أمثال بطل الرواية في ذلك الوقت وتلك المرحلة من التاريخ.

ويقال إن هذه الرواية حين عرضها الكاتب في البداية على رئيس تحرير مجلة "غونطوه" الأدبية الفنية كانت تحت عنوان "زمن السوء" أي باليابانية (WARUI JIDAI) ولكن بعد إعادة التفكير تغيرت إلى عنوانها الحالي "رفاق السوء"، أى أن العنوان في البداية كان مباشراً وكان يمكن من خلاله الوصول إلى المعنى الأساسي لتلك الرواية. غير أن الرواية بهذا العنوان على العكس تبعدنا عن ذلك المعنى الخفي أو الخط المستتر لها وتزيد كم التشويق في سبيل السعي نحو فك رموزها.

وروايـــة "حين يأتي الربيع" والتي نشرت عام ١٩٥٨ على صـــفحات مجلة "تشووأوه قوورون" الأدبية قبل أن تصدر في كـــتاب في العام التالي، تعتبر اتصالاً لتلك الفترة وتلك الخلفية التاريخـــية والاجتماعية لليابان وبالتالي الخلفية الشخصية لبطل القصة وللكاتب نفسه بالتالي.. والتي تعرضت لها رواية "رفاق الـــسوء"، حـــيث نجد وصفاً دقيقاً من البطل لرفاق السوء الذين أدمـــنوا الرسوب في اختبارات دخول المرحلة الجامعية وكان واحـــداً مـــن تلك الأسباب هو تعمدهم ذلك الرسوب هرباً من التجنـــيد والـــذهاب إلى الجيش.. وبالتالي كان يصور في هذه الـــرواية مـــشاهداً كثيرة للتخبط والضياع والإحباط واللامبالاة التي كانوا جميعاً يعانون منها.

ولا نـــستطيع أن نغفل أبداً في هاتين الروايتين أيضاً خطاً أساســـيا واضحاً وهو علاقة البطل بأمه في وضع غياب الأب ومحاولاتـــه الفكـــاك من سيطرة الأم عن طريق اختيار رفاق شخـــصياتهم مخـــتلفة عنه تماماً ويتصفون باللامبالاة والجرأة والـــرغبة فـــي إثـــبات الرجولة والفتوة عن طريق غزو قلوب النـــساء وهـــي أمور كان يجهلها هو بحكم بيئته المحافظة التي تربى بها.

معـــنا فـــي هذه المجموعة القصصية أيضاً رواية "الحذاء الزجاجـــي" (GARASU NO KUTSU) وهـــي واحدة من أشهر أعماله الروائية ، وبمعنى أدق فهو العمل الأدبي الذي أفسح له مجالاً ومركزاً مرموقاً في الصالون الأدبي الياباني، وقد نشرت

هذه الرواية أولاً ضمن مجموعة قصصية صدرت عام ١٩٥١ عنوانها "رفاق السوء"

وعن الظروف التي أحاطت بمولد هذه الرواية إلى النور أود أن أسرد عليكم هذه الواقعة حيث كانت المجلة الأدبية "ميتا بوذغاكو" قد توقفت عن الصدور لفترةٍ ما، وبعدها كانت المحاولات قد بدأت لإعادة هذه المجلة للنور، وكان يقود تلك المحاولة الكاتب والناقد الأدبي المعروف وقتها "كيتاهارا تاكيه أو"، وكان من ضمن الأعمال التي أرسلت إليه لكي يتم الحكم على صلاحيتها من عدمه للصدور في ذلك العدد الأول بعد الإحياء روايتنا "الحذاء الزجاجي" التي نحن بصددها الآن، ولكنها في ذلك الوقت كانت بعنوان آخر وهو "هيغوراشي" – وهي حشرة طائرة من حشرات الصيف – وفي ليلةٍ ما كان الأديب "كيتاهارا" يقرأ في ملل وتعب كومة من تلك الأعمال المعروضة عليه حتى وقعت عيناه على هذه الرواية وهو مضطجع في فراشه، فعدل وضعه فجأةً وجلس وأخذ يقرأ باهتمام ونهم سطور هذه الرواية حتى أنهاها.. وبعد ذلك كتب عنها يقول:– "إن هذه الرواية بمثابة الروح الجديدة التي بعثت في صالون الأدب الياباني".

وقد قام بعد ذلك بإرسال أوراق هذه الرواية إلى الأديب القصصي "ساطوو هارو أووه" لكي يقرأها فأعجب هو الآخر بها، وتم نشرها على صفحات المجلة على الفور.

وكان من المفارقات الغريبة أن تقفز سمعة هذه الرواية إلى القمـــة لدرجـــة أنها صارت ضمن الأعمال الروائية المرشحة لجائـــزة "أكوتاغاوا" للقصة في ذات السنة، وساهمت في تقديم "ياســـو أوكـــا شـــووطاروه" إلى العالم الأدبي الياباني ككاتب روائي نابغة.

وكـــان "ياســـو أوكا" وقتها في الواحد الثلاثين من عمره، وكـــان لا يـــزال يعانـــي من درن العظام الذي أصاب عامود الفقـــري وجعل حركته صعبة للغاية. وقد طلب "كيتاهارا" من "ياسو أوكا" تغيير عنوان القصة من "هيغوراشي" لتصير "الحذاء الزجاجي".

وفكرة القصة تتلخص في تصوير بطلها وهو يقوم بالعمل مساءا وحتى الصباح بحراسة متجر لبيع أسلحة وبنادق الصيد بينما يذهب بالنهار إلى المدرسة، ويتعرف من خلال عمله على خادمـــة يابانية تعمل فى منزل أحد الضباط الأمريكيين، وكان ذلـــك المنزل تحت الحراسة وخاضعاً لتصرف إدارة الاحتلال الأمـــريكية، ثـــم تدور بينه وبينها قصة حب قصيرة داخل ذلك البـــيت في جو أشبه بعالم قصص الأطفال الخيالية.. ولكن تلك العلاقـــة أو الإجازة القصيرة التي كانت تشبه الحلم لم تلبث أن انفـــصمت عراها مع عودة الضابط الأمريكى فجأة من إجازته الصيفية.

وإن كانت تفاصيل القصة تعتمد على الخيال المفرط إلا أن خطوطها الأساسية كانت من الواقع حيث أن "ياسو أوكا" قد مر

فـي شـبابه وبعد الحرب بتجربة العمل في الحراسة للمنازل والعقارات الخاضعة لإشراف إدارة الاحتلال الأمريكية في وقت كان فيه "ياسو أوكا" يعاني من مرض درن العامود الفقري وفي وقـت كذلك كانت أسرته تواجه فيه مشاكلاً عصيبه بعد عودة والـده الجنرال من الأسر لا حول له ولا وقوة . وهذه الخلفية المأخوذة من تجربته الشخصية كحارس للعقار كانت موضوعاً مـشتركاً بـين عـدة أعمـال أخـرى له مثل "حارس العقار" (HOUSE GUARD) والتي حصل بها عام ١٩٥٣ على جائزة "أدب الـساعة" (JIJIBUNGAKUSHO) وروايـة "عضو بفرقة الخدمات" (SABIS TAITAI YOIN) وغيرها.

أما بالنسبة للقصة القصيرة "رائحة الحي الهادئ – دين اين تشووفو" (D. MACHI NO NIOI) والموجودة أيضاً ضمن هذه المجمـوعة فقـد نشرت أولاً على صفحات مجلة "غونظووه" الأدبية الفنية في شهر يناير (كانون الثاني) عام ١٩٥٧ وهو في الـسابعة والثلاثـين مـن عمره. وهذه القصة تحمل جزءاً من الواقـع في أحداثها حيث أنها أيضاً تعتبر من سيرته الذاتية مع إضـافة أحداث خيالية، حيث أنه كان يعيش بالفعل لفترة تربو علـى العامين في ذلك الحي "دين إين تشوفو" المعنونة به هذه القـصة وذلك منذ عام ١٩٥٤ حتى عام ١٩٥٦ وقد تزوج في هذا البيت الذي استأجره من أحد المعارف وتركه بعد ذلك عام ١٩٥٦ ليـسكن ببيت يملكه في حي "تاماغاوا أوياما داي" وهو الذى يعيش به حتى الآن مع زوجته وابنته، أي أن "ياسو أوكا" نـشر هـذه القصة التي تحمل اسم ذلك الحي بعد خروجه منه

بسنة واحدة فقط، وكان في تلك الفترة قد شهد تحولاً كبيراً في حياته حيث كان قد برئ من مرضه العضال تماماً واستقر كذلك في وظيفته وصار متزوجاً.

وهـذه القـصة القصيرة من الأعمال التى تستحق البحث والقـراءة المتمعـنة حيث تحمل الكثير من الرموز الاجتماعية لليابان ولطوكيو في فترة ما قبل وأثناء وما بعد الحرب العالمية الثانية.

أمـا القصة الأخيرة في هذه المجموعة وهي "البشارة" أو (GA) باليابانية فقد نشرت في إحدى المجلات الأدبية أولاً عام ١٩٦٠ عـندما كـان في الأربعين من عمره وهي تختلف عن القصص الأربعة الموجودة في هذه المجموعة في جزئية اتساع مـساحة الخـيال فيها وإن كانت في الأساس ترتكز أيضا على خلفـية من حياته الواقعية في وجود أمه وأبيه معه حيث تدور القصة حول دخول نوع من الفراش الصيفي الكبير وهو حشرة "البشارة" إلى داخل أذنه فجأة وانزلاقها إلى عمق الأذن وتسببها فـي إحداث ألم وإزعاج كبيرين له لمدة عدة ليالٍ وسعي البطل الـدؤوب نحـو إخـراجها من أذنه بشتى الطرق حتى لجأ في النهاية إلى ذلك الطبيب الذى يسكن بجوارهم والذى كان يشعر بالغرابة فى تصرفاته وتصرفات من حوله.

لقـد كـان اختـياري لهـذه الأعمال الخمسة على أساس اشـتراكها جميعاً في جزئية أرضية السيرة الذاتية للكاتب وفي أنه من خلالها قد نستطيع التعرف أكثر على الخلفية الاجتماعية

والسياسية لليابان في فترة ما قبل وأثناء وما بعد الحرب وكذلك للخلفية النفسية للشباب اليابانى المتعلم ممثلا فى الكاتب نفسه.

وهـذا الكـتاب المتـرجم هو الثالث في سلسلة ترجمات روايات هذا الكاتب من اللغة اليابانية مباشرةً إلى اللغة العربية، فكان الكتاب الأول كله لرواية واحدة طويلة اسمها "مشهد على شـاطئ البحر" والكتاب الثاني كان ترجمة لمجموعة قصصية بعنوان "الواجب المدرسى. وقصص أخرى".. هذا ويلزم قراءة هـذين الكتابـين مع هذا الكتاب من أجل وضع تصور شامل لمـراحل الـسيرة الذاتـية لهذا الكاتب منذ أن كان تلميذا في المدرسة الابتدائية حتى توفيت والدته عام ١٩٥٧ حيث كان في سن السابعة والثلاثين.

وهذا الكاتب "ياسو أوكا شووطاروووه" يصنف ليكون تابعا لمجموعة من القصصيين اليابانيين الذين بدأوا انطلاقتهم الأدبية في مرحلة العشرينيات من عمرهم بعد الهزيمة في الحرب، وقد تـم تسمية هؤلاء الأدباء الشبان وقتها بـ "الجيل الثالث الجديد" أو (DAISAN NO SHINJIN) وكـان مـن المـشهورين منهم "يوشي يوكي جون نوسكيه" و"قوجيما نوبوأووه" والكاتبة "صونو أياقو" و"شوونو جو نظووه" و"شما أو طوشي أوه" وغيرهم.

ومـا يزال "ياسو أوكا شووطاروووه" على قيد الحياة وهو الآن يناهز الواحد والثمانين من العمر، وقد أصدر عام ٢٠٠٠ أخـر روايـة لـه بعد انقطاع طويل عن كتابة القصص وهي بعـنوان "كاغامي غاوا" أو "نهر كاغامي" التي هي عبارة عن

تسجيل مفصل لشجرة عائلته التي ترجع جذورها إلى بعض الأشراف الإقطاعيين بمحافظة "كووتشي" جنوب جزيرة "شيقوكو" غرب اليابان وذلك النهر هو اسم نهر موجود بالفعل في قريته مسقط رأسه.

ولقد التقيت بذلك الكاتب بالفعل أكثر من مرة وأخذت الإذن منه للقيام بهذه المجموعة للترجمات لأعماله الأدبية، وقد اخترت هذا الكاتب بالذات لأن كتابته في السيرة الذاتية بالذات هي التي جذبتني وجعلتني أدرك أنه من خلال ترجمتها سوف يتثنى للقارئ العربي المهتم بمعرفة اليابان أن يتعرف على خلفية مفصلة للظروف الاجتماعية والنفسية والسياسية التي كانت تعيشها اليابان في فترة الحرب وما قبلها وما بعدها.. أي أن هذه القصص تكون بمثابة وثيقة تاريخية تأخذ الشكل الأدبي الروائي.

وأود أن استمر في ترجمة المزيد من أعمال هذا الكاتب كلما أتيحت فرصة توفير الوقت والمجهود حيث اعتبر أنه الشاهد الأخير الباقي على قيد الحياة على هذه الحقبة الهامة من تاريخ اليابان من بين الكتاب القصصيين لجيله ومن بين زملائه أعضاء نادي "الجيل الثالث الجديد" جنبا إلى جنب مع الكاتبة "صونو أياقو".

D. MACHI No NIOI
١- (رائحة الحي الهادئ)

لا أعرف لذلك سبباً على وجه التحديد ، ولكنى كلما حللت بهذا الحى أصابنى مرض ما !

نعم .. لقد جئت إلى هذا الحى مرات ثلاث ، وفى كل مرة كان يتمكن من جسدى مرض عضال . فى المرة الأولى أصبت بمرض فى الأمعاء الغليظة ، وفى المرة الثانية أصبت بالتهاب حاد فى الشعب الهوائية ، وفى المرة الثالثة أصبت بدرن العظام.

قد لا يصدقنى أحد إذا ذكرت هذا وقد لا يأخذ أحد كلامى هـذا على محمل الجد ، ولكن لا يسعنى إلا أن أؤمن بأن هناك لعنة ما تربط أمراضى بهذا الحي.

ومـع ذلك فمن المعروف عن هذا الحى اهتمام إدارته إلى حد كبير بالنظافة والمحافظة على الصحة العامة وأن تجمعاتها السكنية قد بنيت مجهزة باستعدادات مختلفة للحفاظ على البيئة ،

وعلى سبيل المثال فقد أنشئت عدة مدارس خاصة لتعليم طرق طهـــى الطعام واللياقة البدنية وغيرها ، وقد سجلت فى كتيبات التعـــريف بـــتلك المـــدارس العـــبارة التالية: "هنا أرقى أحياء العاصـــمة "طوكـــيو" قاطبة حيث تفخر بأعلى مستويات حماية البيئة" .

وأســـتطيع أن أقـــول أن هذه العبارة ليست على الإطلاق خيالـــية بعـــيدة عن الواقع فهذه المنطقة بعيدة تماما عن وسط العاصمة ، ولكن حسب معلوماتى فهى تعتبر من أول المناطق فـــى اليابان التى تم بها إدخال نظام الصرف الصحى . وأعتقد كذلك أن هذه المنطقة من أشهر مناطق اليابان بانتشار أكبر عدد مـــن الغسالات الكهربائية والمكانس الكهربائية . فقبل الحرب (أى منذ حوالى ٢٠ عاما) فقد كانت معظم الأسر بهذه المنطقة قـــد أدخلت الثلاجات الكهربائية بيوتها ، ولذلك فقد اختفت من هـــذه المنطقة تماما متاجر بيع الثلج ولم تعد تلك التجارة رائجة بها.

هـــذا .. وقـــد أقيمت المحطة الرئيسية للترام فى منتصف المـــنطقة ، ومـــن ذلك الميدان تتفرع الطرق وتمتد على شكل مروحة مفتوحة ، وقد تراصت المنازل المتشابهة على جوانب الطـــرق بمسافات متساوية تماما .. وهى البيوت التى تم إدخال وســـائل الصرف الصحى بها جميعا ، حتى أنها كانت تبدو فى

منظرها ذلك وكأنها نموذج مصغّر للعب الأطفال من فرط دقة هندستها.

ومن هنا يؤرقنى دائماً هذا التساؤل : "ترى لماذا أصاب دائماً بالمرض هنا على الرغم من توفر تلك التجهيزات الصحية".

لقد سمعت أنه توجد بعض المناطق فى الولايات المتحدة الأمريكية التى تنتشر بها الزهور اليانعة المختلفة والتى تكاد روائحها ويكاد عبقها أن يصيب الساكنين بها بصعوبة فى التنفس وقد يخيل للمرء هنا فى هذه المنطقة أيضاً أن هناك روائح من روائح الزهور تملأ الأجواء.

إنك حين تخرج من المحطة الرئيسية لهذا الحى سوف تجد أمامك ميداناً مفتوحاً على شكل نصف دائرة ، وإذا وقفت لتتأمل المنازل المحيطة بنصف الدائرة تلك ستجد أسواراً من القضبان الحديدية المطلية بالدهان الأبيض تحيط بكل تلك المنازل ، وستجد عند مدخل كل منزل يافطة بيضاء مكتوب عليها أسم صاحب العقار ، ولأن كل منزل منها توجد به حديقة صغيرة فسوف يتهيأ لك أن كل منزل بذاته عبارة عن حديقة جميلة للنباتات . كما أنك لن تشعر بأن هناك أناس ما يقطنون بتلك المنازل ولا حتى بأى بأثر لوجود حيوانات أليفة ، وبدلاً من ذلك فسوف يشد انتباهك وجود أشجار الباباز والمانجوستين، وكذلك وجود نباتات أكثر قيمة وندرة وجمالاً بدرجة توحى لك بأن ساكنى تلك المنازل هى تلك النباتات نفسها وليس البشر!

إنــك قد تتخيل أنك لو دخلت من بوابة حديقة هذا المنزل المبنــى علــى الطــراز الأسبانى أو ذلك المنزل المشيد على الطراز السيامى إنك سوف تفاجأ بشجرة لنبات الإسباراجاس فى حجــم الإنــسان البالغ تضطجع على كرسى هزاز كبير وهى تتصفح جريدة الصباح مثلا !!

نعــم .. قــد تستطيع أن تتخيل على الأقل أن وضع نبات جمــيل من هذه النباتات فى مداخل تلك المنازل هو أمر عادى عن وضع أشخاص ببشرتهم الصفراء وقواطع اسنانهم الأمامية البارزة من اليابانيين!!

علــى أى حال فسوف تستطيع أن تستشف أن هذه المدينة تفوح بها رائحة منعشة رطبة بمجرد أن تلمح مشهد ذلك الميدان بعد خروجك من بوابة المحطة . ولكن ذلك الإحساس قد يقودك إلى الشعور بأن هواء المكان مصطنع .. أو إذا اخترت تعبيراً أفــضل فسوف تشعر بأن ذلك الهواء ينبعث من مكان ما مبالغ فى هندمته وجماله.

وإذا اســتمر بــك الحال هكذا لساعات متصلة وأنت تشتم رائحــة هــذا الهــواء فقد تجد إحساساً بالبرد يهاجم أوصالك ويجعلك فى النهاية تصاب بالحمى! وبالطبع فلا شك أن إصابة شخص ما بمرض من روائح الزهور سيعود فى هذه الحالة إلى طبيعة جسده ودرجة حساسيته.

ومــع ذلك فلا أدرك السبب الذى يجعلنى أحل بهذا المكان أكثــر مــن مرة دون التفكير فى العواقب الوخيمة التى ستحل

بجسدى . قد يكون ذلك لأننى كلما ابتعدت فترة عن هذا الحى نسيت تماماً مدى الضرر الذى تلحقه بجسدى روائحه تلك. وقد يكون انجذابى إلى ذلك الحى واشتياقى إليه نابعاً من انبهارى بأناقته الفاخرة. وقتها أنسى تماماً الذكريات الأليمة لمعاناتى الصحية . والحقيقة هنا أننى لازلت لا أصدق أن تلك الروائح هى السبب المباشر فى إصابتى بتلك الأمراض ومع ذلك فقد كان واضحاً لدى – بشكل نسبى – السبب المباشر فى إصابتى بالمرض حين جئت أول مرة إلى هذا الحى.

وقتها كنت طالباً بالمرحلة الإعدادية ، وأقمت فى بيت أحد أقاربى – الذى كان يسكن بهذه المنطقة – بعد انتقال أبى إلى مدينة بعيدة عن طوكيو تبعاً لظروف عمله ، وصرت خلال تلك الفترة أتردد على مدرستى الجديدة من ذلك البيت . كانت هذه الأسرة تتفاخر بالتزامها بعادة النوم والاستيقاظ مبكراً ، ولذلك فكنت أحياناً أتلقى لوماً وعتاباً شديداً إذا سهرت قليلاً أو صحوت متأخراً عن بقية أهل البيت . كما أننى كنت ألحظ مظاهر الدهشة والانزعاج الشديد على وجه أهل البيت وهم ينظرون إلىَّ شزراً حين أتأخر عن الجلوس إلى مائدة الطعام فى الموعد المحدد أو حين كنت أشرع فى الخروج إلى المدرسة دون تناول طعام الإفطار وذلك كما لو أن الثلوج قد سقطت فى يوم من أيام الصيف القائظ!

كانت توجد ابنة لرب هذه الأسرة تماثلنى فى السن ، وكان نظرها ضعيفاً للغاية ، وكانت مهمة تلك الفتاة هى التنفيذ المباشر لأوامر الأم فى دفعي إلى النوم أو إيقاظى فى الصباح

أو استعجالى الجلوس إلى منضدة الطعام حسب المواعيد المفروضة.

وحين علمت تلك الفتاة بعادتى فى الاستيقاظ متأخراً فى الصباح ، فقد صارت تقف فى الردهة خلف باب غرفتى كل صباح قبل موعد الاستيقاظ المفروض بربع ساعة لكى تستمر فى الصياح وهى تنادينى بأسمى!! .. وقد كانت تصيح بى هاتفة: "يا عزيزى" "شوو" .. لقد حان الوقت هيا أفق من نومك فسوف تتأخر عن موعد المدرسة".

لقد كان جسد قريبتى هذه ضعيفاً وبه علة ما ، ولذلك فلم تستطع الالتحاق بمدرسة البنات ، وربما لم يكن هذا هو السبب الحقيقى لحساسيتها المفرطة وامتعاضها من مجرد سماع كلمة "المدرسة" أو ذكرها على لسانها ، ولكننى حين كنت أسمع صوتها وهى تصيح من خلف الباب بكلمة "المدرسة" كنت أشعر بأن الكلمة ثقيلة على لسانها ولم تكن تمر دقيقة حتى يتحول صياحها ذلك إلى صراخ ثم إلى نحيب متواصل!

لقد كانت تصرخ قائلة:

"لقد مرت دقيقة كاملة وأنا أناديك .. ها هى مرّت دقيقة ونصف"

إننى بالرغم من هياجها ذلك فقد كنت أستشعر من صوتها مدى اهتمامها العميق بى وأحياناً كان يخيل لى أنها شغوفة بى! ولذلك فقد كنت أتعمد التلكؤ فى تغيير ملابسى ، وكنت أثناء ذلك أخرج نصف جسدى من الباب الموارب مُوهماً إياها بأننى

قد انتهيت من الاستعداد للخروج .. ثم أدخل فجأة إلى الغرفة مرة أخرى لكى تصيح وتصرخ غاضبة ، وكان تصرفها ذلك فى حد ذاته يجعلنى أشعر بالانتشاء . ولكنى فى تلك الأحوال كنت أفاجأ بأنها غاضبة بالفعل منى غضباً واضحاً من أعماقها.

إننى لم أكن مقتنعاً أبداً بتصرفات هذه الأسر التى تحرص على المواعيد هكذا حرصاً يفوق التصور.

كذلك كانت توجد بتلك الأسرة فتاة تماثلنى فى السن .. وكانت أيضاً ضعيفة البصر إلى حد كبير ! .. لقد كنت أقوم بمهمة إعطائها دروساً فى اللغة اليابانية حيث كانت الفتاة لا تستطيع أن تتفاهم سوى باللغة الفرنسية التى تعلمتها هناك.

لقد كنت طالباً فاشلاً حينما كنت أعلمها الحرف الصينى الذى يعنى كلمة "أبيض" (وهو الحرف الذى يبدو على شكل صندوق صغير بمنتصفه خط مكتوب بالعرض) وحدث أن سألتنى عما إذا كان هناك خط واحد أم خطان مكتوبان بالعرض داخل الصندوق المرسوم وحين أخطأت فهم سؤالها وجدتها تكتب خطين .. فصار الحرف يعنى "أنا"!

كانت المتاعب التى تواجهنى فى تعليمها الكتابة فى تلك الحدود ، ولكن إذا ذهبنا إلى مشكلة المحادثة فقد فوجئت بها بعد شهر من بداية تدريسى لها أنها قد تقدمت للغاية لدرجة أنها تجاوزت المستوى الثانى عشر المحدد من قبل الوزارة .. وصارت تتحدث بلغة سليمة أفضل من لغتى أنا نفسى! .. ولذلك فحرصاً على هيبتى كمعلم لها فقد تعمدت إدخال بعض

التغييـــرات الصعبة التى ترد فى مسرحيات الكابوكى وغيرها من أشكال الفنون التقليدية المسرحية اليابانية لكى أدارى عجزى أمامها ولكن تصرفى هذا على العكس وضعنى فى موقف حرج للغاية وكشفنى أمامها بشكل مُخجل مُذر! .

ومـــنذ بداية ترددى عليها فقد سحرنى جمال قوامها الذى ينافـــى القوام التقليدى العادى للفتيات اليابانيات فى سنها، ومع تقـــدم مستواها فى المحادثة شيئاً فشيئاً فقد وجدت نفسى أغرق غـــرقاً فى سحرها حتى أننى كنت أشعر بالارتباك وأنا أجلس أمامها وجهاً لوجه . نعم .. فقد كانت فى البداية تتصرف بحياء كـــأى تلميذة نجيبة تجلس أمام أستاذها ، ولكن مع تعودها على وجودى وصحبتى فقد صارت تتحرر فى مظهرها وتصرفاتها وكانـــت أحياناً تكسل عن تغيير زى التنس الذى كانت تمارسه أحياناً فتجلس أمامى بالسروال الأبيض القصير المخصص لتلك الرياضـــة دون أن تشعر بالحرج وتنغمس فى المذاكرة معى . ولأننى وقتها كنت آخذ أجرى بالشهر من أسرتها فلم يكن هناك مجال كى أعتذر عن تدريسى المحادثة لها فى منتصف الشهر.

لقد كانت عواطفى مضطربة وقتها بشكل غير عادى. لقد وجدتنى أدفع نفسى دفعاً لكى أخاف وأخشى الفتاة التى أحبها.. وأجـــد نفسى أحاول الهرب من أمامها ، وفى نفس الوقت كنت أشـــعر باللـــوعة والحسرة لعدم انتقال مشاعرى الحقيقية إليها. ولكـــن الـــنقطة التى كانت تشعرنى باختلاف حالتى عن حالة العـــشق المعتادة أننى فى كل مرة بعد انتهاء الدرس معها كنت

أشعر في طريق عودتي إلى غرفتي بوحشة تسبب البرودة الشديدة في أوصالي . لقد كنت أتصور أن حالة العشق العادية من المفترض فيها أن تسبب لي سخونة واشتعالاً من جراء الغيرة أو حتى الحنق في حالة رفضها مثلاً لحبي إذا صارحتها به.

ولكني حين كنت أسير في ذلك الطريق الواسع المؤدي إلى المحطة والذي تصطف على جانبيه الأشجار أحسست لعدة مرات بالرغبة في أن أموت غرقاً في حفرة مليئة بالبول والبراز ! لقد خطر لي في لحظة أنني لم أكن لأعاني مثل هذه المعاناة ولا شعرت بمثل هذه اللوعة إذا كانت تلك الفتاة أجنبية غربية وليست يابانية ! نعم فلقد كانت حقاً قد تدربت جيداً على فن المحادثة ، ولكنها لم تكن قد تمكنت من لغتها اليابانية كما قد يبدو من الظاهر . فهي دائماً كانت تحاول مجتهدة متابعة المحادثة معي وهي تبتسم ابتسامة باردة وهي تخفي حيرتها وعدم استيعابها لبعض المفردات الصعبة ذات المعنى العميق التي أنطق بها وذلك بعد أن تستغرق فترة من التفكير وهي تأخذ نفساً عميقاً طويلاً وهي تنظر إلى من خلف زجاج نظارتها السميكة.

لقد شعرت في النهاية – وبعد مرور عام كامل من قيامي بتدريبها على المحادثة – بنوع من الوحشة والإحباط .. فوجدت نفس أصاب بحمى شديدة لا أعرف سبباً لها فرقدت في الفراش.

لقـد أخبرنى الطبيب الذى جاء لإجراء الكشف علىَّ بأننى أصـبت بنكسة بسبب أنفلونزا شديدة فأدت إلى إصابتى بالتهاب فـى الـشعب الهوائـية . لـذلك فقد قررت أن أعتذر لها عن الاستمرار فى هذا الدرس الخصوصى ، ولكننى منذ اليوم التالى لزيارة الطبيب لى أحسست بتحسن ملحوظ ، بعودة حرارتى إلى معدلها الطبيعى.

أمـا المرة الثالثة التى زرت فيها هذا الحى فقد كانت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بثلاث سنوات تقريباً .

لقد اكتشفت فى تلك المرة أن معظم المنازل الكبيرة الحجم فى هذا الحى قد أصبحت تحت حراسة الجيش الأمريكى ، ولقد حدث بعد ذلك أن عملتُ حارساً لواحد من تلك المنازل.

لقـد كـنت فى البداية أخطط لتحسين قدرتى فى المحادثة باللغـة الإنجليـزية وكـنت أنوى - إذا أمكن - أن أذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية . نعم لقد كنت مفعماً بهذا الطموح ، ولكننى بعد مرور شهر من قيامى بمهمة الحراسة هذه أحسست بأنـى قـد أدمـنت هذه الحياة التى جعلت منى عبداً يعيش فى رفاهية زائدة .. إن المرء إذا كان يعمل فى منزل ما تحت إمرة سـيد ذلك المنزل فقد يعيش فى معاناة وذل أو راحة ورفاهية تـبعاً لشخصية ذلك السيد ، ولكن فى حالتى هذه كنت أستمتع بحـياة مـرفهة مثل الأمريكيين الذين كانوا يعيشون فى اليابان وقتها بينما كنت أحصل على راتب مجز.

لقـد كان الساكن الأمريكى لهذا البيت وزوجته لا يعودان إلـيه إلا لِماماً ، ولذلك فقد كان البيت مملكة خاصة بى فأعيش بـه كمـا يحلـو لى ولم يكن مطلوباً منى سوى ترتيب البيت وتنظـيفه جـيداً وإعادتـه إلى حالته المنمقة قبل عودة الرجل وزوجته بخمس دقائق !

وما كان ينقصنى فى هذه الحياة المنعمة المرفهة التى آكل فـيها وأشرب وقتما أشاء هو شيء بديهى واحد لا يختلف عليه اثـنان .. ألا وهـو وجود امرأة أو بالأحرى "خادمة" ، فوجود الحارس أو الخادم يلازمه وجود خادمة .. ومن يقول غير ذلك فهو كاذب مخادع!

نعم .. فقد كانت تقيم بهذا المنزل خادمة تعانى من ضعف النظر أيضاً .. وكانت موجودة قبل تعيينى حارساً بالمنزل .

لقـد كانـت تلك الخادمة تصغرنى بثلاث سنوات أو أربع سنوات ، ولكنها كانت تبدو أصغر بكثير من سنها وكانت تبدو من منظرها وتصرفاتها وكأنها مازالت طفلة صغيرة.

إننى لم أكن أعرف السبب الذى جعلها تتعمد إظهار نفسها بذلك المظهر الطفولى .. وقد ظللت لفترة طويلة أحاول السعى لاكتـشاف ذلك السبب ، وما جعلنى أشعر بالحيرة أكثر هو أن هذه الخادمة كانت فى وضع الأعلى منى مرتبة والأقدم منى فى هـذا البـيت بالرغم من مظهرها الطفولى ذلك ! نعم فقد كانت تعـرف أكثـر منى كيفية تشغيل الغسالة والمكنسة الكهربائية وطريقة التعامل مع العسكريين الأمريكيين الذين يترددون على

هــذا المنــزل بين وقت آخر ، وكذلك كانت تعرف كل أصول وقواعد السلوكيات داخل البيت.

فعلــى سبيل المثال حين كنت أحياناً أدور فى أرجاء البيت باحثاً عن مفك المسامير أو حين كنت أحتار فى معرفة طريقة تــشغيل رشاش الماء المثبت بقاعدة المرحاض الإفرنجى كنت أجدها دائماً فوق رأسى وهى تعنفنى وتنهرنى وتقول لى أحياناً:

"مــاذا تفعــل بحق السماء؟ يجب أن تنتهى على الفور من ترتيب البيت .. فسوف تصل المدام بعد ربع ساعة من الآن" .

كانت بعد أن تنهى جملتها الغاضبة تلك تنزع الأدوات من يــدى وتقوم بنفسها بالإنتهاء من الأعمال المختلفة وفى غمضة عين.

لقــد كــنت فى مثل تلك المواقف أجد نفسى أقف مشدوهاً أمامها وأنا أراقبها فأشعر أننى على وشك أن أتذكر شيئاً ما أو أننــى أعــيش فــى حلم غامض وأنا أشاهد طريقتها فى العمل والحــركة وكذلك طريقتها فى الكلام . لقد كنت أشعر أننى قد سمعت بالفعل هذا الصوت فى وقت ما وفى مكان ما .. ولكننى كــنت أعجــز دائمــاً عن تذكر الصوت وكنت أفيق دائماً من خيالاتى على تلك الخادمة وهى تنهى عملاً ما وتنتقل إلى غرفة أخرى لإنهاء مهمة أخرى!

كــنت أدرك أحــياناً وفــى لحظة معينة أننى أعيش خيالاً يوهمنــى بــأن هذه الفتاة كانت تعيش منذ فترة طويلة فى هذا البيت وأنها واحدة من أهله . وكان الأمر الأسوأ هو أننى كنت

كثيراً ما أدرك أننى أنا فقط الذى يعيش هذه التهيؤات من جانب واحد ، والحقيقة أننى كنت أشك أحياناً فى أنها تتعمد أن تدفعنى بتصرفاتها المخادعة لكى أعيش فى تلك الأوهام والخيالات.

لقد حدث أن حاولت عدة مرات أن أضاجعها فى غياب مستأجرى البيت، ولكنها فى كل مرة كانت تواجهنى بمقاومة شديدة تجعلنى أشعر أننى ضعيف وبأن قواى خائرة أمامها.

لقد كانت فى كل مرة تصرخ فى وجهى قائلة:

"إنه أمر سيئ .. أمر سيئ أن أفعل ذلك .. إنه أمر سيئ فى حق الأب والأم"

لقد كنت أشعر فى كل مرة أسمع فيها هذه الكلمات بريح باردة ثلجية تمر بظهرى وتجعلنى أشعر برعشة شديدة وفى كل مرة كنت أحاول فيها الاقتراب منها والإمساك بها اشعر بضعف مفاجئ مهما كنت أستجمع قوتى البدنية والعضلية . لقد كنت أحتار فى أمرى وأتساءل فى نفسى عن هوية "الأب والأم" اللذان تتحدث عنهما تلك الفتاة؟

لا أحسب أولا أنها كانت تقصد ذلك الأمريكى وزوجته اللذان يستأجران هذا البيت ، لكنى فى نفس الوقت لم أكن أتوقع أن يكونا أباها وأمها الحقيقيين حيث أنها كانت تتفوه بكلمات "Papa, Mama" .. وهى تلك الكلمات المفرطة فى الإفرنجية!

لقـد كـان أبوها سمّاكا يعيش فى حى (J) القريب من هذا الحـى ، وكـان بين وقت وآخر يأتى إلى المنزل لكى يستطلع أحـوال ابنته فيدخل من الباب الخلفى المؤدى إلى المطبخ وهو ينـتعل الحـذاء الطـويل المطاطـى الخاص بعمله فى متجر الأسـماك، فكـان دائمـاً يترك لفة من الجرائد الملطخة بالدم وداخلها أنواع مختلفة من الأسماك ، ولكنها دائماً كانت تتعامل مع أبيها ببرود مفرط ألحظه من نظراتها وتصرفاتها .. وكان ذلك ما يدفعنى إلى أن أطرد من رأسى أى تصور أن يكون هذا هـو الأب أو (Papa) ذلك الذى تصيح به وهى تحاول التملص بقـوة من بين ذراعى .. أو أن يكون هذا هو الأب الذى تشعر ناحيته بالحرج أو الرهبة.

فى هذه المواقف – ولهذا السبب – كنت أعود وأتخيل أنها تقـصد بكلمة "بابا" و "ماما" ذلك السيد الأمريكى مستأجر البيت والمـدام زوجته! وكنت أتوقع هنا أن تكون تلك الفتاة تتصرف بـتلك الطريقة من وازع رغبتها فى التدلل والعودة إلى مرحلة الطفولة وإقناع نفسها أنها بالفعل ابنة هذين الأمريكيين.

علـى أى حـال .. إننـى فـى كل مرة كنت أواجه فيها مقاومـتها الشديدة تلك ورفضها التام لى .. كنت لا أشعر فقط بمجـرد تلك البرودة والرعشة فى ظهرى وأوصالى .. بل إنى كنت أشعر بدغدغة مقززة تسرى خلال ظهرى كله ! .. فسواء كـنت أتخيل دخول والدها الحقيقى هذا فجأة علينا وهو بسترته الرثة هذه التى تفوح منها رائحة السمك وبرأسه الحليق اللامع

ذلك ، أو دخول ذلك الـ Papa الأمريكى علينا بعد عودته بسيارته الجيب من مقر عمله .. فقد كنت أشعر برعشة شديدة تعترى جسدى كله لمجرد تخيلى ذلك الموقف المفاجئ.

لكن ما حدث فى الواقع كان أكثر رعباً من ذلك الخيال.

فى يوم من الأيام المعتادة حين كان سيد البيت غائباً فى رحلة مع زوجته ، كنت أجلس مع الخادمة أمام مائدة عشاء حافلة حيث كنا قد أعددنا كل ما لذ وطاب من أنواع الطعام والشراب الموجودة بالثلاجة وغيرها .. وكانت قائمة الطعام بحق ينطبق عليها كلمة "وجبة عشاء كاملة" . ولكننا ، حين كنا على وشك أن نشمر عن سواعدنا لالتهام تلك الوليمة فوجئنا بصوت بوابة البيت تنفتح فى توقيت غريب لم نكن قد اعتدناه ، وفى لحظات كان يقف أمامنا مساعد من ضباط الصف الأمريكى والذى كان يعمل تحت إمرة سيد البيت .. ثم صاح غاضباً بالإنجليزية:

- Hey ..!

لقد كان صوته الغليظ هذا قوياً لدرجة أننى تخيلت أنه صادر من ثنيات أعماق بطنه ، فوجدت جسدى كله يرتجف بشدة ، وأسقط على ظهرى بالكرسى الذى كنت أجلس عليه .. ولم أستطع بعدها مباشرة أن أقف على قدمى من هول الصدمة والمفاجأة!

وبعد هذه الواقعة لم تتحسن أبداً حالة ظهرى وهو الذى كنت أشعر ببرودة مبالغة به ، وصرت بعدها أرقد بالفراش لمدة

عـام فاقـداً الإرادة لمجرد محاولة النهوض للسير، وكان هذا المرض هو أكثر الأمراض حدة على الإطلاق من بين الأمراض التى عانيتها فى هذا الحى!

ومـنذ هذه المرة الثالثة التى أصبت فيها بالمرض صرت أشـعر برعشة برد شديدة بمجرد أن يخطر ببالى اسم هذا الحى أو أتذكر شيئا من ذكرياته .

ولكـن ما حدث بعد ذلك هو أمر فى غاية الغرابة .. حيث مرت الأيام لأجد نفسى أسكن مرة أخرى بهذا الحى .

لقـد شُـفيت أخيراً من ذلك المرض العضال الذى أصاب ظهرى والذى رقدت بسببه فترة طويلة بالفراش ، واستطعت بعد ذلـك أن أحـصل علـى وظيفة مصمم فنى بمصنع للخردوات بفـضل المهـارات التى تعلمتها أثناء مرضى حيث كنت أرسم تـصميمات علب النقاب .. والرسومات الملحقة بنتائج الحائط ، وهـناك فـى ذلـك المكتب الملحق بالمصنع تعرفت على فتاة وتـزوجتها ، ولكن المشكلة التى واجهتنى وقتها هو عدم وجود سكن للزوجية ولما كانت زوجتى حاذقة مدبرة فقد اقترحت علي أن نـسكن بمكـان خـالٍ لأحـد المعارف والذى كان قد انتقل لظروف عمله إلى "اووساكا" .. ورأت ساعتها إن سكننا المؤقت بذلك البيت الذى لم يكن صاحبه قد تركه تماما سيجعلنا ندفع له إيجـاراً رمـزياً فى مقابل تواجدنا وحراستنا لذلك البيت ، ولما سـمعت أن ذلك البيت يقع بنفس حى "دين إين تشووفو" بادرتها قائلاً:

"اللعنة .. إننى أكره ذلك الحى . نعم .. ألم يكن السيد "كيمورا" يسكن بحى "دين إين تشووفو"؟ إننى أصاب دائماً بمرض ما كلما سكنت بذلك الحى".

ولكن زوجتى ردت فى حدة قائلة:

"هل تريدنى أن أصدق تلك الحماقات؟ أولاً إننا لسنا فى وضع يسمح لنا بذكر ذلك الكلام ، أضف إلى ذلك أن نائب رئيس الشركة السيد "طومى ناغا" والذى توسط لزواجنا يسكن بالقرب من ذلك البيت .. إنها شروط ممتازة للسكن ولن نندم أبداً".

نعم .. لقد كانت زوجتى محقة فى كلامها .. فلم يكن وضعنا يسمح بالتردد أو إلقاء الشروط . لقد كان فى البيت الذى استأجرناه ثلاث غرف ، الغرفة الرئيسية كانت واسعة نوعاً وبها صنبور غاز للمدفأة الكهربائية التى تركها لنا السيد "كيمورا" كذلك كانت مجهزة بعدة للهاتف ، أما الغرفتين الأخريين فكانت كل منهما فى نصف حجم الغرفة الرئيسية تقريباً وكانت أرضيتها مفروشة بالحصير اليابانى.. كانت النافذة كبيرة تطل على شارع تصطف على جانبية أشجار الساكورا وكانت تلك الجهة الجنوبية صحية معرضة لضوء الشمس ، وكنا من خلال تلك النافذة نستمتع فى الربيع بمشاهدة زهور الساكورا اليانعة.

لـم تكن تجهيزات البيت أو مساحته بائسة على الإطلاق ، بـل إن هـذا البيت كان رائعاً مقارنة بالأماكن التى سكنت بها حتى الآن.

لقد قررنا أن نجعل الغرفتين الصغيرتين لغرض النوم ، أما الغـرفة الواسعة فقد قررنا أن نستخدمها لأغراض متعددة مثل وضـع حامـل اللـوحات بهـا للقيام برسم التصميمات كذلك اسـتخدامها كغـرفة للـسفرة والاسـتقبال بعد وضع المنضدة والمقاعـد . وكانت الحسنة الكبيرة فى تلك الغرفة الواسعة هو وجـود صـنبور الغـاز ذلك الذى يساعدنا على طهى الطعام بسهولة وقتما نريد.

لقد قالت زوجتى:

"إنـه بـيت رائـع ، فهـنا نـستطيع أن نشعر بالارتياح والاسـتقرار ، كـذلك سوف تستطيع أنت بالتأكيد أن تمارس عملك فى هدوء".

فرددت عليها قائلاً:

"نعم نعم .. فيجب علي أن أشعر بالاستقرار .. وإلا.." .

لقد أومأت برأسى على مضض وأنا لازلت أشعر فى مكان ما بصدرى بعدم الطمأنينة . وعندما جاء زملاؤنا بالعمل لرؤية البـيت الجديد أخذوا يهنئوننا بالسكن الجديد واحداً بعد الأخر ، هـذا مـا عدا واحد فقط منهم وهو السيد "م" والذى كان مولعاً

بقـراءة الـروايات البوليـسية .. فقد أخذ يجول بأركان البيت ويتفحصه بعينيه وهو يقول:

"أن هذا البيت يعطى الإيحاء بوقوع جريمة قتل به"!

حـين سمعت كلمات ذلك الزميل شعرت وكأننى أقتنع بما قاله . نعم .. فالغرفة الصغيرة كان يفصلها عن الغرفة الكبيرة سـتارة قماشـية لا تعطـى إحساساً بالراحة ، كما أن دولاب الملابـس ورف المرآة على الرغم من حداثتها فقد كانا كبيرين أكثـر من المعتاد ويعطيان الإحساس بالغلظة ، وكانت طريقة وضـع الأثاث بوجه عام عشوائية لا تريح العين ، وكان شكل سـلك الهاتف ومواسير الغاز ملتوياً متعرجاً ، وخصوصاً سلك الهاتـف الـذى كـان يزحف على أرضية الغرفة بذلك الشكل الملتوى الذى يثير غرائز محبى القصص البوليسية!

ولكنـى وجدت نفسى أجلس على ركبتى فى صدر الغرفة الـصغيرة المفروشة بالحصير .. وهى الغرفة التى كانت تعلو مـستوى الغرفة الواسعة بمقدار قدم تقريباً .. وانحنيت برأسى تحـية للـزملاء الذين كانوا يجلسون بالغرفة الواسعة وكأننى أوشـك علـى الـبدء فـى إلقاء خطبة تقليدية أمام جمهرة من المشاهدين وفي قرارة نفسى محاولة لطرد تأثير كلمات الزميل "م" عن رأسي!

وكمـا صدق حدسي فقد شعرت تلك الليلة بألم ينغز رئتى اليـسرى ، ولـذلك فعـندما أفقت فى الصباح الباكر أسرعت بالـذهاب إلـى المستشفى - وهذا على غير عادة الكسل التى

كـنت أتميـز بهـا - وأخذت صور أشعة على الصدر وقمت بتحلـيل الـدم ، ولكـن لـم يكن هناك أمر طارئ على وجه الخصوص .

ومـن بعـدها لم أشعر أبداً بأى تغير غريب على حالتى الصحية .

كنت حين أقابل بعض المعارف فى مكان ما ويسألونى عن السكن الجديد ..

كـنت أجيـبهم بأننى أسكن فى حى "دين إين تشووفو" .. فكانوا جميعهم بلا استثناء يحسدونني على سكنى بذلك الحى ، ويمـتدحون رقـى ذلك الحى وفخامته ، فكنت أجيبهم قائلاً : "حـسناً .. لا بأس بذلك المكان .. فأهم شيء أنه هادئ". وشيئاً فشيئاً أخذت أشعر أنا الآخر بالراحة والاستقرار.

نعـم .. إننـى حين كنت أمعن التفكير فى هذا الأمر كنت أكتشف أن المرات الثلاث التى أصبت فيها بالمرض كانت كلها فى ظروف إقامتى ببيوت لا أملكها ، فكنت أقيم فى غرفة عند بعـض المعـارف أو أقيم بغرفة لمخدوم ، ولم يكن ذلك يعنى بالـضبط أننى كنت أسكن بهذا الحى بمعنى الكلمة . إننى حقاً هذه المرة لم أكن أملك هذا البيت الجديد بمعنى الكلمة وإن كنت علـى الأقـل أقوم بدفع إيجار من جيبى الخاص لأجرة البيت وأشـعر لذلك بالارتياح والاستقرار وفى هذه الحالة فقد تكون رائحة هذا الحى قد صارت أخيراً لا تضر بالصحة مثلما كنت أشعر من قبل ! نعم .. لقد صرت أشعر بهذا الإحساس.

لقد استطعنا بالكاد أن نشترى منضدة ومقاعد جديدة بفضل الحوافز التى حصلنا عليها كلانا من العمل ، وبهذا تغير انطباع الغرفة الكبيرة عما كانت عليه من قبل من جو يوحى بـ"مسرح جـريمة قتل" ، وبعدها .. ومن أجل أن أشعر براحة أكثر فى العـيش بهذا البيت مع زوجتى فقد قمت بشراء كلب ، وكانت زوجتـى الواعية المدبرة قد طرأت لها فكرة شراء الكلب ذات يوم حين فاجأتنى قائلة:

"بالمناسـبة .. لقد قرر نائب رئيس الشركة السيد "طومى ناغـا" شراء كلب كبير من نوع "أكيتا" اليابانى الأصل، وكان يـشكو ذلـك النهار من حيرته فى كيفية التخلص من كلبه الـ "سـوبانيل" الـذى لم يعد يستطيع ترتيبه ورعايته، ما رأيك .. فلنأخذ منه ذلك الكلب ونقوم بترتبيته"!

نعـم .. لقـد استطاعت زوجتى أن تجد كلباً تحصل عليه دون دفع نقود فى شرائه.

ومع ذلك فقد رددت عليها متشككا وقلت :

"ألا ترين أن ذلك النوع من الكلاب نادر وغالى الثمن؟ ألم يكن نائب رئيس الشركة يتباهى بامتلاكه له"؟

لكن زوجتى ردت على فى ثقة قائلة :

"لـيس الأمر كما تتصور . إن ذلك الرجل من النوع الذى يـصاب بالملل بسرعة ولذلك فإننى متأكدة أنه قد ضاق ذرعاً بذلك الكلب ، وإلا لما أقدم على شراء كلب من نوع "أكيتا" وقام بتربيته" .

لقد كان ذلك الكلب الـ"سوبانيل" أسود الشعر وقصير الأقدام ، وكذلك أذناه طويلتان متدليتان وتكادان تلمسان الأرض، وكان الكلب يحصل على شهادة من الجمعية البريطانية لتربية الكلاب تدل على نقاء نوعه أباً عن جد ، ولذلك فقد كان كلباً رفيع القيمة مبالغاً فى أرستقراطيته بحيث كان من الصعب أن تجد مثله فى حى "دين إين تشووفو".

لقد كنت أشك فى كون السيد "طومى ناغا" قد قرر الاستغناء عن ذلك الكلب القيم لمجرد أنه سريع الملل كما قالت زوجتى ، بل كنت قد سمعت أنه لم يكن شغوفاً من البداية بذلك الكلب .. ولذلك فلم أكن مستريحاً لأن يترك لنا ذلك الكلب غالى الثمن هكذا دون مقابل ، ولكن الحقيقة إن اتفاقه النهائى معنا كان واضحاً من أنه لا يمانع إطلاقاً من أن نقوم بتربية ذلك الكلب على أنه من أملاكنا الخاصة . لقد قال لنا السيد "طومى ناغا" الجملة التالية فى نهاية لقائه بنا:

"لقد جئتم فى وقتكم .. فقد كنت أحتار فى أمرى حيث لا أجد الوقت كى أصحبه فى نزهته اليومية المحددة كل يوم".

وبعد أن أنهى السيد "طومى ناغا" جملته تلك أعطانا أيضاً بعض متعلقات الكلب مثل سلسلة الرقبة والفرشاة ومقص الشعر وغيرها.

بالنسبة لطبيعة عملى فلم يكن هناك وقت محدد ألتزم به للخروج كل يوم ، وعلى العكس فقد كنت أستطيع إعطاء إنتاج أكثر ونتائج أفضل حين أقوم بالعمل فى البيت عن قيامى بنفس العمل بالأتيليه الملحق بالشركة ، ولذلك فكلما كنت أنتهى من

مهمة ما كنت أجد أن ذلك الكلب هو أفضل رفيق لى حين أخرج للتمشية واستنشاق الهواء .

وفى بداية الأمر كنت أشغل نفسى بانتقاء أنواع طعام معينة له حيث أنه كلب من نوع راق ، ولكن مع مرور الأيام ومع تعودى عليه فقد أدركت أن الكلب مهما كان بفطرته مثل باقى أنواع الكلاب .. فقد كنت أتركه لحاله يدس أنفه فى الحشائش البرية النابتة على جوانب الطريق لكى يشمشم هنا وهناك باحثاً عن شئ يأكله ، وقد كان ذلك الكلب يحب القراقيش المملحة عن أى شئ أخر .. فكان يسرع إلى التهام تلك القراقيش حين أقدمها له ويبتلعها على الفور دون أن يمضغها فتنحشر أحياناً فى حلقة فيصدر صوتاً واهناً غريباً وكأنه يعانى ، ولذلك فقد كنت أشعر بغبائه الشديد فى مثل تلك المواقف .

ولكننى فى أحيان أخرى حين كنت أصطحبه كنت ألحظ عيون المارة بالحى وهم ينظرون إليه فى إعجاب وهو يهتز بشعره الأسود الغزير الجميل هذا وبأذنيه المتدليتين هاتين.

وفى بعض الأحيان كانت تتوقف بعض السيدات عن السير ثم تلتف إلى الخلف لتتابع الكلب بنظراتها وهو يبتعد عنها ، وكانت هناك بعض السيدات تستوقف الكلب لكى تداعبه وتتحسس رأسه وشعره الغزير ، فكنت أتعمد فى مثل هذه المواقف أن أنادى الكلب باسمه بصوت عال قائلا : "راغون" !

أو كنت أحياناً أتعمد التظاهر بأننى أنهر ذلك الكلب الإرستقراطى وأحذر السيدة قائلا : "خذى حذرك يا سيدتى فقد يعضك".

ثم أقوم بشدة بالسلسلة لكى أبعده قليلاً عن السيدة.

بالنسبة لى فكونى قد صرت هكذا أستطيع ترويض مثل هذا الكلب الأرستقراطى إلى هذه الدرجة فقد كان ذلك يعطينى إحساناً أكثر بالراحة والسرور وبعدم اللجوء مرة أخرى للوقوع فى رهبة الخوف من الراحة الأرستقراطية لهذا الحى! لقد كنت فى مثل هذه اللحظات أجدنى أردد فى نفسى عبارة معينة وهى : "آه .. ها قد تعودت أخيراً على هذا الحى" .

وفى يوم من الأيام المشمسة المعتدلة الجو اصطحبت الكلب كعادتى لعمل النزهة اليومية ، وأحسست أن هذا اليوم هو أنسب الأيام لمثل هذه النزهة ، ووجدت نفسى منتشياً بشعور يطلقون عليه بالإنجليزية INDIAN SUMMER حيث انطبقت ظروف الطقس مع حالتى النفسية. وحين كنت أسير فى نقطة معينة لمحت على الناحية الأخرى من الطريق رجلاً أنيقاً شائب الرأس يرتدى سروالاً ضيقاً برسوم الكاروهات - والتى كانت قد انتهت شعبيتها منذ زمن - وحذاءاً رياضياً خفيفاً . لقد كان من النادر مشاهدة رجل فى سنه تليق به تلك الملابس فى أى حى آخر . لقد كان يبدو من مظهره ومشيته وحتى طريقه حركة يديه أنه رجل أرستقراطى مهذب.

لقد أحسست بالإعجاب بمنظره .. فأخذت أتابعه بعينى من بعيد ، ولكنى فوجئت به يغير مساره بعد أن كان متجهاً إلى المحطة مبتعداً .. فقد عاد أدراجه وأخذ يقترب منى .. ثم أنبرى يقول فجأة :

"آاه .. يا له من شئ رائع .. إنه رائع حقاً" !

ولكنـــى أمام هذه المفاجأة لم أستطع أن أرد بشيء وكأننى أصبت بالخرس! لقد اكتفيت بأن أحنى رأسى قليلاً بالتحية وأنا أقـــول : "أبداً" ، ثم حاولت أن أتابع السير فى طريقى . ولكنى فى هذه اللحظة تهيأ لى أن هناك شخص ما يقف خلفى .. وأن ذلـــك الـــرجل الأرستقراطى كان يوجه حديثه إلى ذلك الواقف خلفـــى ولـــيس إلى أنا شخصياً ولكننى لم أستطع حتى أن أجد القـــدرة على الالتفات إلى الخلف والتأكد من هذا .. نعم .. لقد أحســـست بأن جسدى قد تخشب تماماً وبأننى فقدت القدرة على الحركة .

لقد عدت هنا وسألت نفسى قائلاً :

"لمـــاذا تـــضطرب هكـــذا بحـــق السماء؟ إن ذلك الرجل الأرســـتقراطي المهذب لا يعنيه أمرك فى شئ .. إن الأمر كله أنـــه معجب بهذا الكلب ليس أكثر . إن الأمر لا يزيد عن حب فـــضوله فـــى معرفة أصل هذا الكلب ونوعه وسنّه.. فلماذا لا تستطيع أن تجيبه وتحاوره" !!

ولكنـــى بالـــرغم من ذلك وجدت أن لسانى كما لو كان قد التـــصق بحلقـــى وعجز عن الحركة ... وأحسست أنه حتى لو تحرك لسانى فقد كنت على وشك أن أتفوه بالعبارات التالية:

"هـــذا الكلـــب ليس ملكى .. إننى أستعيره .. هذه الملابس أيـــضاً أســـتعيرها ، والسكن أيضاً أستعيره .. كذلك فأنا نفسى لست ملكاً لنفسى .. فإنى مرهون للغير" !!

لقـــد أفقت من تخيلاتى لأجد ذلك السيد المهذب الوسيم لا يزال واقفاً أمامى ينتظر إجابتى .

أما أنا فقد ظللت متسمراً فى مكانى أبتلع عبارة "هذا الكلب" التى كانت على وشك الخروج من فمى ولكنها لا تخرج أبداً ، وبعد لحظات أحسست بالبرودة تجتاح فقرات ظهرى وأحسست بأننـــى أرى أمـــام عينى ذلك البيت الذى أستعيره ينهار محدثاً ضجة عالية . وفجأة أفقت مرة أخرى على الكلب "راغون" وهو يـــنطلق بأقدامه الأربعة بكل سرعة بعد أن قطع السلسلة يعدو هناك باتجاه الميدان ذو الطرق المتفرعة منه على شكل مروحة – وذلـــك دون أن ينحرف يميناً أو يساراً حتى غاب تماماً عن عينى!!

AOBA SHIGERERU
حين يأتى الربيع

هـذه الـسنة (وكمـا هى العادة) رسبت فى الاختبار مرة أخـرى! لقـد انتابتنى عدة أحاسيس متداخلة حين علمت بذلك الخبر .

ذلك الصباح .. التقطت آذان "جونتاروو" صوت خطوات الخادمـة الـشابة وهى ترتقى درجات السلم الخشبى فى نغمة منظمة خفيفة وهو السلم المؤدى إلى الدور الثانى حيث غرفته ، وحيث كان قد أفاق لتوه من النوم وما زال راقداً داخل الفراش. لقد كان وقع تلك الخطوات يدغدغ صدره ويبعث داخله توقعات وآمال متداخلة .

لقد كان طرف أنف تلك الخادمة محمراً دائما .. ويبرز من فتحتـى تلك الأنف بعض الشعيرات التى كانت تبعث فى نفسه الضجر ، ولكنه إذ تناسى ذلك العيب فقد كان وجهها فى مجمله مقبولاً بشكل ما بالنسبة له . وكانت هناك غرة فى أسفل ذقنها

تقسم ذلك الذقن إلى نصفين ممتلئين متساويين أما كتفاها فقد كانا نحيلين منحدرين إلى أسفل ... ورقبتها كانت ممشوقة نحيلة، أما عيناها فكانتا مرفوعتين من أطرافهما الخارجية إلى أعلى قليلا . ويشع منهما أحياناً بريق لامع يشيع بالتحدى ... وهو الأمر الذى كان أيضاً لا يبعث على الارتياح بداخله .

لقد تظاهر "جونتاروه" بأنه ما زال مستغرقاً فى النوم منتظراً لحظة أن تفتح الخادمة باب الغرفة الخشبى الخفيف المنزلق ... متخيلاً تلك الخادمة بصفاتها تلك وهى تنزلق إلى داخل فراشه!!

لقد قال "جونتاروه" فى نفسه وهو يتابع صوت خطواتها : "ماذا يحدث لو صار ما تخيلته أمراً واقعاً وانزلقت تلك الخادمة إلى داخل فراشى عن طواعية منها؟ لالا ... قد أكون واهماً ولكن قد أكون على العكس مصيباً ... فما الذى يجعلها تتسلل إلى غرفتى هنا بالدور الثانى فى تلك الساعة المبكرة من الصباح وهى تعلم تماماً بأنه لا يوجد فى البيت سواى أنا وهى"؟

لقد أغمض "جونتاروه" عينيه وحرص على ألا يتحرك وهو يترقب انفتاح الباب الذى لا يبعد سوى خطوتين أو أدنى من وسادته . وللحظة تخيل " جونتاروه" أن الخادمة قد تتردد فى قرارها فتتوقف عن الصعود على السلم ثم تعود أدراجها إلى الدور السفلى مرة أخرى . ولكن صوت الخطوات استمر

حتى توقف تماماً عند الردهة الصغيرة التى تقع خارج باب غرفته .

ها هو باب الغرفة ينفتح ببطء وهدوء ، ولم يكن يشغل بال "جونتاروو" لحظتها سوى التفكير فى أخذ الوضع المناسب داخل الفراش بحيث يبدو لها إن رقدته تأخذ شكلاً طبيعياً توحى بأنه مستغرق تماماً فى النوم . لقد كان يعتقد إن هذا الوضع هو أكثر الأشكال التى ستعطيها الشجاعة لكى تستمر فى مغامرتها!

ولكن "جونتاروو" لم يستطع الاستمرار فى تمثيل دور الغارق فى النوم ، ففتح عينيه كى يطلع على ما صارت إليه الأمور عند مدخل الغرفة ، فإذا به يلمح الخادمة وهى تفتح الباب نصف فتحه بينما برز وجهها من تلك الفتحة وهى ترسم على وجهها ابتسامة عريضة!!

كان طرف أنفها - كما هو دائماً - محمراً ، وكان ذلك الجزء هو أكثر الأجزاء التى تركت فى نفسه انطباعاً قوياً فى تلك اللحظة . ولم تمر ثوان إلا وبادرته الخادمة وهى تقول :

"سيدي الصغير ... هناك رسالة لك"

لقد كان بيدها بطاقة بريدية مختومة بخاتم البريد السريع ، وكانت مرسلة من مكتب القسم التمهيدى لجامعة "ز" .

حين لمح "جونتاروو" عنوان الراسل شعر بأنه أفاق للمرة الثانية من النوم ، وقفز إلى مخيلته فى نفس اللحظة منظر السطح الهرمى الأصفر لمبنى الجامعة .

السيد "أبيه جونتاروو" -رقم جلوس : ١٢٩٨٩

نتـيجة امـتحان اختبار المتقدمين للسنة التمهيدية للمذكور أعلاه

راسب

وهذا للعلم ... وشكراً

لقد استمر "جونتاروو" لبعض الوقت يحملق فى ذلك الختم ذو الحبر البنفسجى الذى يحمل عبارة "راسب" دونما أن يشعر بـأى انفعال معين . لقد حاول "جونتاروو" أن يقنع نفسه بأنه مازال نائماً وبأن ما رأته عيناه منذ لحظات لا يتعدى أن يكون كابوسـاً سـخيفاً ، ولكـن ها هى خطوات الخادمة وهى تهبط درجات السلم يدوى فى أذنيه لكى تنبهه أنه مستيقظ تماماً وإن ما حدث لم يكن حلماً بأى حال من الأحوال !!.

لقد كانت أشعة الشمس تتسلل من خلال زجاج النافذة التى تقـع أسفل السلم ، كانت تلك الأشعة تعطى الإحساس الحقيقى بأن الوقت هو منتصف الربيع . وفى نفس الوقت كانت تؤكد له بأنه قد رسب مرة أخرى هذه السنة .

لقـد صـار "جونـتاروو" معتاداً على هذا الإحساس فى الـسنوات الأخيـرة ، فقد صارت كلمتا "الربيع" و "الرسوب" مترادفتيْن يرتبطان ارتباطاً لا ينفصم عراه داخل قلبه!

هـبط "جونتاروو" درجات السلم متوجها إلى دورة المياه بالدور السفلى . وحين وصل "جونتاروو" إلى الدور السفلى ، كانـت أشـعة الـشمس تتـسلل من خلال أغصان الشجيرات

المزروعة بأصص الزرع والمصطفة بالشرفة التى تقع بالجهة القبلية وذلك إلى أركان الدور السفلى.

وقد كانت أشعة الشمس تلك تستحيل فى ناظرى "جونتاروووه" كما لو كانت تعكس غمازتى فم الخادمة وهى تبتسم . وذلك على الأبواب الورقية للدور السفلى ! ولحظتها فقد أدرك "جونتاروووه" مغزى وجه الخادمة المبتسم التى كانت قد قرأت محتوى البطاقة البريدية قبل أن تدفع بها له ... وإنها جاءت بالبطاقة خصيصاً إلى غرفته لكى تتشفى فى "جونتاروووه" وترى انطباعه حين يقرأ محتوى البطاقة!

لقد كانت تلك الخواطر تجول برأس "جونتاروووه" حين كان يتبول داخل دورة المياه وهو يتخيل وجه الخادمة بعينيها الماكرتين ذات الحدقتين الصغيرتين نسبياً . وللحظة استرق "جونتاروووه" النظر إلى عضوه الذكرى وهو يتبول حيث لاحظ إنه – على غير عادته فى ذلك الوقت من النهار صغيراً غير منتصب ! فتمتم "جونتاروووه" فى سريرته قائلاً "اللعنة" !

نعم ... فقد كان "جونتاروووه" يعنيه أمر تلك الظاهرة ... فقد كان يلحظ دائماً انتصاب عضوه حين يستيقظ كل صباح فى فراشه ، وذلك فقد كان يحاول أن يخفى بروز عضوه هذا بتغطيته بالبيجاما وهو فى طريقه كل صباح إلى دورة المياه وذلك بشدها إلى أسفل تارة أو بضم حوافها إلى الأمام تارة أخرى ، ولكن ها هو ذلك الصباح يجد نفسه على غير العادة لا يلجأ إلى القيام بتلك الحيل!!

لقد أدرك "جونتاروو" بأن ما حدث له من تغيير فسيولوجي ذلك الصباح كان ولا شك بسبب تأثره بخبر الرسوب هذا ... ومع ذلك لم يكن هذا الأمر قد سبب له على وجه الخصوص أى شعور بالحزن أو القلق أو الهم ... وقد يكون سبب عدم اهتمامه ذلك بسبب تكرار ذلك الرسوب فى العام الماضى والعام الذى قبله وكذلك العام الذى سبقه ، نعم قد يكون هذا هو السبب .

نعم ... فمهما كانت الأمور غريبة ومؤلمة ... فإن التعود عليها قد يكسب المرء نوعاً من عدم المبالاة بها ... بل والتعود عليها كنغمة وتيرة للحياة!

ولكن المشكلة تكمن هنا فى كيفية نقل هذا الخبر إلى الوالدة!

وكعادة كل سنة ، فقد توقع "جونتاروو" أن تبكى أمه وتعنفه وتصيح فى وجهه ثم تهجم عليه وتلطمه وتقرصه وتخدشه بأظافرها مثل كل سنة ... وكأنما كان الأمر مثل مشاجرة تقوم بها تلميذة من تلميذات المدارس .

ولكن على أى حال فهمها تمادت أمه فى اعتدائها عليه فلن يكون الأمر مؤلماً كثيراً بالنسبة له حيث لا تعدو قواها – مما كانت – سوى قوى واحدة من النساء !

ولكن الأمر الذى كان يخشاه ويشعره بالخزى والعار أن يراهما أحد وهما فى معمعة تلك المعركة ... خصوصاً ومما أزاد الطين بلة أن الخادمة قد علمت بالفعل بمحتوى البطاقة

البـــريدية وتنتظـــر اللحظـــة التى تستمتع فيها بالفرجة على ما سيحدث له .

ولكـــن لحسن الحظ كانت الأم لا تزال غارقة فى نومها – كعادتها – حتى تلك الساعة من النهار ، وقد انتهز ""جونتاروووه" تلك الفرصة وتسلل على أطراف أقدامه ، حتى وصل إلى باب غرفة نومها وحشر البطاقة إياها بين ضلفتى الباب ، ثم انطلق يتمشى على غير هدى فى الطريق .

ولكـــن تلك التمشية بالطبع لم تكن تشعر "جونتاروووه" بأى نـــوع مـــن المـــتعة ، فبالرغم من أنه كان يقنع نفسه بأن أمر رســـوبه هذا غير ذى بال ... إلا أنه حين بدأ يشرع فى السير خـــارج البيت شعر بأن الحروف البنفسجية لكلمة "راسب" تلك صارت مطبوعة طبعاً فوق بصره ولا تفارق ناظريه للحظة ! حتى حينما كان "جونتاروووه" يحاول مغالبة ذلك الشعور بالنظر بعينيه إلى أسفل ... كانت تبدو تلك الحروف وكأنما قد صارت مطبوعة تحت أقدامه على قارعة الطريق فلا تترك مسافة منه إلا وتـــشغرها فى تحد سافر . لقد شعر "جونتاروووه" وكأن تلك الكلمـــة "راســـب" سوف تطارده طول حياته أينما سار وأينما حـــاول الهـــروب . ولذلك لم يجد "جونتاروووه" مفراً من العودة على أدراجه إلى البيت.

حينما دخل "جونتاروووه" إلى البيت ... وجد أمه تجلس أمام طاولـــة الإفطار بعد أن تم تجهيزه ، لم يكن "جونتاروووه" يجد تفسيراً لانعكاس صورة أمه فى جلستها هذه – على غير عادتها

– حـيث لم تكن أمه البدينة تلك تبدو فى عينيه عريضة مكتنزة أكثـر مما كانت تبدو طويلة نحيلة لقد أنتاب "جونتاروو" ذلك الـشعور بعد أن فتح باب غرفة الجلوس داخلاً إليها من ناحية الباب الزجاجى الذى يطل على حديقة المنزل!

لقـد بـادر "جونـتاروو" أمه قائلاً : "أمى ... هل رأيت البطاقة البريدية؟

فـردت عليه أمه قائلة وهى تزفر زفرة عميقة" آاه ... لقد رأيـتها . لم يكن الخبر غريبا بالنسبة لى فماذا كنت أتوقع منك مع كسلك الواضح هذا"

وعلى غير المتوقع كانت إجابة الأم على سؤال ابنها هادئة رزيـنة خالية من أى انفعال واضح – على غير العادة – ، بل إن الأم استمرت فى تناول إفطارها بإيقاع بطئ ، وحينما انتهت مـن الإفطـار نهضت من أمام الطاولة وأخذت تدندن بأغنية فلكلورية يابانية بينما كانت تأخذ طريقها إلى الغرفة المجاورة!!

يـبدو أن الأم – مثلها مثل "جونتاروو" أيضا – قد بدأت تـدرك إنـه ليس أمامها سوى أن تسلم بالأمر الواقع . إنها لم تستطع أن تنسى ما قرأته فى شبابها عن طالب فى السنة الأولى الثانوية يظهر فى قصة اسمها "حكاية كوغيه نوما" كتبتها سيدة اسمها "أونشى فوجى تشيو" ، ومن فرط تعاسة الأم من إجبارها على الزواج برجل عسكرى – الذى هو أبو "جونتاروو" – فقد كانـت على الأقل تضع أملها فى ابنها لكى تساعده حتى يدخل المدرسة الثانوية ... وحتى إذا فشلت فى ذلك كانت تود حتى لو

استطاع أن يدخل أى مدرسة ما لكى يلبس تلك القبعة المدرسية السوداء ذات الشريط الأبيض ، وقد كانت تلك الرغبة قوية للغاية تريد تحقيقها بأى شكل من الأشكال.

ولكن يبدو أن تفاؤل الأم واطمئنانها مازال أمامهما طريق شاق طويل . إنهم يقولون إن الكارثة تحل وقت أن يكون المرء مطمئنا غافلاً عنها . فيوم أن جاء الخبر البغيض ... زارهم بعد الظهر ذلك الترزى ذو الأصل الصينى دون موعد مسبق.

لقد وقف ذلك الرجل عند بوابة البيت بوجهه الأصفر وهو يتصبب عرقاً بينما يرسم على وجهة ابتسامة عريضة ، فقد جاء بالبذلة المدرسية التى طلبتها منه أم "جونتاروو" بعد إعلان النتيجة التمهيدية لدخول جامعة "ز" والتى كان قد نجح فيها "جونتاروو".

قد يتهم الناس هنا "جونتاروو" وأمه بأنهما عجولين متسرعين ، ولكن تلك الطبيعة كان يشترك فيها الابن وأمه!

ففى أول سنة جرب فيها "جونتاروو" دخول الامتحان تلقى ذلك الامتحان فى مدرسة ثانوية بإحدى المناطق المشهورة بالعيون الساخنة بمحافظة "قووتشى" حيث مسقط رأس والد "جونتاروو" ، وبعد أدائه لذلك الامتحان[1] التمهيدى ... عرج فى طريق عودته إلى طوكيو على المسرح الاستعراضى بمنطقة "تاكارازوكا" ثم قضى الليلة عند أحد أقاربه بمدينة "أووساكا" وذلك تفاؤلاً بالنجاح وفى السنة التالية ... ولأنه كان

[1] امتحان دخول الجامعات فى اليابان على مرحلتين.

مصمما على النجاح ، فقد ذهب وتلقى الامتحان بمدرسة يعرف عـنها سهولة امتحاناتها وذلك بمنطقة تبعد جنوباً عن المدرسة السابقة . وليلة الامتحان ذهب "جونتاروه" مع صديق له يدعى "هـ" إلى أحد المقاهى ولكنهما فوجئا بعد دخول المقهى إنه لم يكـن مـن تلك المقاهى العادية! فوجدوا وصيفة من وصيفات المقهى تجالسهما بينما لم تكن ترتدى ملابساً داخلية تحت ثوبها، ولكى لا تسخر تلك الوصيفة من سذاجتهما وعذريتهما فقد تعمدا إظهار رجولتهما فشربا خمراً يطلق عليه "شمبانيا التفاح" .. مما تسبب فى فشلهما فى الامتحان صباح اليوم التالى !! .

وفى السنة التى تلتها غير "جونتاروه" الوجهة تماما وذهب لتلقـى الامتحان فى مدرسة تقع شمال شرق اليابان ، ولكى لا يكـرر المأسـاة التـى حـدثت فى السنة التى سبقتها اعتكف "جونـتاروه" لـيلة الامـتحان بغـرفته التى استأجرها بأحد البنسيونات ولكنه مع ذلك كرر نفس المأساة ورسب !! مع أنه بعد ذلك الامتحان كان متأكداً من أنه أجاب أفضل من أى سنة مضت.

لقـد كـان "جونتاروه" يختار المدارس المعترف بها من الحكومة بحيث يؤجل تجنيد من ينجح فى امتحاناتها ، ولكنه مع تكـرار ذلـك الرسـوب لم يعد يهتم باختيار هذه النوعية من المدارس وجاء اختياره فى النهاية على القسم التمهيدى بجامعة "ز" تلك ... وهى الجامعة التى لم تكن تطلب مستوى عالياً.

ووقت أن تلقى الامتحانات بذلك القسم التمهيدى لتلك الجامعة لم تكن قد ظهرت بعد نتيجة امتحان التصفية الأولى الذى تلقاه فى إحدى المدارس المعتمدة .

ولأن الأم كانت تظن أنها إذا تشاءمت فسوف يرسب مرة أخرى .. فقد أقدمت على إخراج قطعة القماش الصوف التى كانت تحتفظ بها من أجل ابنها واستدعت ذلك الترزى الصينى وطلبت منه تفصيل البذلة الخاصة بالجامعة "ز" .

وقف الترزى الصينى عند بوابة البيت ...ثم بادر الأم: "ها هو الطقس قد اعتدل وصار دافئاً" . قال الترزى تلك الجملة وهو متوتر متردد حيث كانت الأم ترمقه شزراً دون أن تتبس ببنت شفة.

لم يكن الترزى المسكين يجد تفسيراً لنظرات الأم النارية الحانقة التى كانت توجهها إليه ... فأخذ يغالب ذلك الموقف وهو يضحك ملء وجهه حتى طفت التجاعيد على وجهه الأصفر ويقول : "حسناً إنها هدية متواضعة إحتفاءاً بنجاح السيد الصغير" ، ثم مد الرجل يده بصندوق البذلة مع لفافة ورقية صغيرة .

ومع ذلك لم تخرج الأم عن صمتها ولم تتوقف عن توجيه نظراتها النارية إليه : لقد استحال الجو حول المكان بارداً قارصاً مع استمرار ذلك الصمت المتوتر.

لم يجد الرجل الصينى هنا حيلة سوى أن يتجنب نظرات الأم .. فأخذ يجول بنظراته الزائغة حول المكان .. حتى وقع

بـصره علـى سيف معلق بجوار البوابة ومغطى بالأتربة ... فاسـتحال وجهـه المتصنع الابتسام إلى وجه يملؤه الرعب ... فدفع بيده التى تلقت أجرة تفصيل البذلة منذ قليل إلى عبه ... ثم انطلق مسرعاً عائداً أدراجه واختفى فى لحظات .

بعـدها مباشـرة صـرخت الأم فـى هـستيرية صائحة "جونتاروه"

وبعـد أن اقتـرب منها "جونتاروه" ، قالت له فى لهجة حازمة : "اجلس هنا ... نعم أجلس فى أدب هنا أمامى" !

وهنا أخذ يتمتم "جونتاروه" فى نفسه قائلاً : "ها قد عاودت الكـرة ... لقـد حان الوقت لكى تبدأ المراسم السنوية المعتادة للمرة الرابعة"!!

بادرته الأم قائلاً : "قل لى بحق السماء ماذا تنوى أن تفعل، إن أبـوك هناك فى ميدان القتال ... وإننى لن أظل أعيش من أجلك هكذا إلى الأبد ، إذا مات أبوك ومت أنا أيضا فماذا عساك أن تفعـل وكـيف ستعيش وحدك وتخوض دوامة الحياة؟ هل يرضيك أن تدخل الجيش"؟.

ولكـن الأم لم تزد على هذا الكلام شيئاً وكأنما أرادت عدم إكمال ما كانت تريد أن تقوله ، فقد أدركت الأم هنا بأن ابنها قد وصـل إلى المرحلة التى لن يستطيع فيها الإفلات من التجنيد مهما هاجمته وأنبته وعنفته!

بعد لحظات تحولت نبرة الأم إلى صوت متهدج وهن وهى تقول له : "حقاً ... قل له بحق السماء ماذا عساك أن تفعل لى"؟

لقـد كانت مسألة اقتياد ابنها إلى الجندية – وهى التى كان ينعـتها الناس بأنها من النوع الذى لا يظهر عليها كبر السن – تعنـى بالنـسبة لها معنى آخر وهو تعطله عن الدراسة. وهو المعنى الذى كانت ترفض استيعابه تماماً .

لقـد كانت تلك الأم مهما عنفت ابنها الأوحد ومهما سبته بأقذع السباب لا تزال فى قرارة نفسها تعتبره فخراً لها وتعتبره إنـساناً عظيماً للغاية فى حالة مقارنته بزوجها "جونكيتشى" !! وعلى هذا الأساس فقد كانت الأم تشعر بأنها لا تستطيع أبداً أن تـستوعب أو تتقبل أن ابنها الذى سيكون عريفاً بشريطة واحدة سيكون فى نفس الوقت فى وضع العبد بالنسبة لزوجها الذى هو بـرتبة جنرال بالجيش ! ولذلك لم يكن بوسع الأم لكى تواسى نفسها وتغالب قلقها وحنقها واضطرابها سوى أن تقول لابنها : "علـى أى حال يجب أن تأخذ الأمر بشىء من الجدية ... فمن الآن وصاعداً لن يعود الأمر ضرباً من المزاح" .

ولكن لأن "جونتاروو" أمام كلماتها هذه كان يكتفى بمجرد طأطأة رأسه وهو منكسر منكمش فقد أثار حاله هذا حنقها مرة أخرى فصاحت فيه غاضبة :

"حقاً إننى غاضبة من حالك هذا ... إن وجهك مع كل سنة يـصير شبيهاً بوجه أبيك شيئاً فشيئاً ، ومع ذلك فإن أباك على الرغم من سوئه فهو يجتهد حين يود أن يجتهد أما أنت فلم تأخذ سوى الجوانب السيئة منه "!

لقد استمر "جونتاروو" فى هز رقبته فى استكانة وقلة حيلة ... وإلا فإنـــه إذا فعل غير ذلك فقد كان يشعر بأنه لن يستطيع الإفـــلات مـــن نظرات أمه الحانقة المتفجرة من داخل جسمها الممتلـــئ القوى المنفتح ذلك ... وهى النظرات التى كانت دائماً تشعل جسده خوفاً ورعباً .

علـــى أى حـــال كان يجب أن يسجل اسمه فى مدرسة من المـــدارس التى تتمتع بميزة إمكانية تأجيل التجنيد للطالب التابع لهـــا . نعم كانت هناك نوعية من المدارس التى تساعد الطلبة المنتمـــين إلـــيها فى تأجيل تجنيدهم ... وكان الكثير من الطلبة يتـــسابقون إلـــى اللجوء إليها . ولكن مع تأزم الأمور السياسية والعـــسكرية كانـــت هناك شائعات تفيد بأن حتى تلك الوسائل الملـــتوية للتهرب من التجنيد قد صارت أصعب بكثير عن أى زمن مضى .

ذهـــب "جونتاروو" بعد ذلك إلى إحدى المدارس المعروفة بتخصصها فى الرياضيات والعلوم ليجرب حظه بها ... وكانت تلـــك المدرســـة تقع بإحدى الضواحى حيث يوجد خندق كبير للمياه يحيط بإحدى القلاع القديمة .

كانت أشجار "الساكورا" المتكاثفة عند طرف ذلك الخندق ، بينما كانت الشمس الساطعة تعكس أشعتها المتلألئة على صفحة المياه ذات اللون الترابى . وكانت المدرسة على الطرف الأخر مـــن ذلـــك الخندق تقبع فى ركن بين الأشجار المتكاثفة المطلة

على طريق الترام .. وكأنما كانت بشكلها المنزوى الكئيب ذلك مقراً سرياً لمنظمة سياسية تسلل الضعف والوهن إلى أوصالها!

حين نزل "جونتاروو" إلى الدور الأرضى للمدرسة حيث يوجد مكتب تلقى طلبات الالتحاق ، وجد "جونتاروو" هناك الكثير من الطلبة الذين ارتدوا العباءات السوداء والملابس المدرسية ذات الياقات البالية يتزاحمون أمام شباك المكتب ويدفسون رؤوسهم داخله وهم يوجهون أسئلتهم عن شروط الالتحاق .

وحينما صار أمام "جونتاروو" أربعة أو خمسة من الطلبة فى الصف ... و حان دوره لكى يوجه أسئلته إلى الموظف الجالس فى داخل الغرفة ، فوجئ بشخص يناديه .. وإذا بذلك الشخص يقترب من جانبه ويضربه فى كتفه ، فالتفت "جونتاروو" ليجد أمامه طالباً يدعى "يامادا" .

كان ذلك الطالب ذو الأنف الكبيرة الحادة والنظارة السميكة العدسات زميلاً له بفصله فى المدرسة التمهيدية طوال العام الماضى ، ومع ذلك لم يكن بينهما أى حديث يذكر ... وكانت هذه هى المرة الأولى التى يقدم على محادثته فيها .

ودون وعى من "جونتاروو" فقد وجد نفسه يصيح فى "يامادا" قائلاً : "ماذا ... حتى أنت؟" فلم يكن من "يامادا" إلا أن وجه إلى "جونتاروو" نظرة باردة متفحصة من خلف نظارته الطبية السميكة ثم قال له : "هذه هى حال الدنيا ... فالمرء إذا

خانـــه الحـــظ وأضاع الفرصة من يده لمرة ... فسيصير الحلو والمر سيان عنده" .

لـــم تكن نبرة "يامادا" بها أى نوع من الانفعال .. بل كان يـــشوبها ضـــحكة ساخرة هادئة لقد تذكر "جونتاروووه" لحظتها خـــصلة "يامادا" هذا حين يكون جالسا بالفصل ، فقد كان يجلس دائمـــا بآخر صف فى الحجرة ولا يكف عن مط رقبته الطويلة هـــذه بيـــنما يجـــول بنظراته الباردة المتفحصة تلك فى وجود الجالـــسين . لم يكن "جونتاروووه" على الإطلاق يرتاح إلى ذلك الـــشخص ، ولكـــنه غالب شعوره هذا واجتهد فى مجاراته فى الحديث قائلا له:

"أعـــتقد إنـــك رســـبت فى امتحان التصفية الثانى بإحدى المدارس العام الماضى" .

"لا يا صاحبى .. لقد تقدمت للامتحان فى ثلاثة مدارس مرة واحدة ، نفس الأمر حدث مع ذلك الرفيق الذى يقف هناك"!

قال "يامادا" ذلك وهو يشير بطرف أنفه الكبيرة إلى زاوية مـــن زوايـــا الغرفة . وحين نظر "جونتاروووه" إلى ذلك الاتجاه تعـــرف علـــى ذلك الشخص الذى أشار إليه "يامادا" ، ولم يكن سوى الطالب "تاكاغى" الذى كان يجلس مقرفصاً فوق الأرضية الإسمنتية وهو يدفن رأسه فى جريدة يفردها بين يديه.

كان "تاكاغى" هذا أيضاً زميلاً له بنفس الفصل ... ولم يكن أيـــضاً قد تبادل الحديث معه من قبل ، وكان دائما يدفس ذقنه

المربع الكبير فى ياقة بذلته وهو مطأطئ فى الأرض ، وكانت ملامح وجهه توحى بالكآبة بعينها .

ولم يجد "جونتاروو" سوى أن يجارى "يامادا" فيجيبه بنفس نبرة الصوت ويقول:

"حقاً حقاً ... إنه "تاكاغى" . هل رسب هو الآخر أيضاً" ؟

بعد لحظات قال "يامادا" لـــ "جونتاروو" :-

"إذا كـــنت تـــريد عمل إجراءات الدخول فاترك الأمر لـــ "تاكاغى" ، أما أنا فقد انتهيت من تلك الإجراءات . سوف يوفر "تاكاغى" عليك الأمر ، فهذه هى السنة الرابعة التى يرسب فيها، كما أن هذه هى السنة الثانية له بهذه المدرسة".

"جونـــتاروو" :- "عـــندك حق فمظهره يوحى إلى بأنه لا يعير الأمر أهمية"

"يامادا" :- "عليك اللعنة" ... هل تعتقد أن هناك من لا يعير الأمـــر أهمـــية؟ . إن "تاكاغـــى" "الذى تراه أمامك هنا هو فى الحقـــيقة عبقرى داهية . لقد كان ترتيبه فى المدرسة العليا من الصف الأول حتى الصف الخامس الأول دائماً ، وكان معروفاً بأنـــه فلته من فلتات الزمان فى مدرسته العليا تلك منذ إنشائها حتـــى اليوم ، ولذلك فأهل بلدته جميعاً يظنون الآن أنه ملتحق بالجامعة الإمبراطورية".

بعـــد أن قال "يامادا" تلك الجملة زم شفتيه وأخذ يهز رأسه فى حركة رأسية مؤكداً على كلامه . نعم ... لقد أدركت معنى ما قال "يامادا" الآن ، حيث إننى تذكرت فى هذه اللحظة منظر

"تاكاغـــى" وهو يفرد أمامه استمارة التقدم الخاصة بجامعة "ز" فى بداية هذه السنة بينما كان يقف بين الطلبة الآخرين من نفس المدرسة التمهيدية وهم يطالعون استماراتهم .

لقـد عمـل "جونـتاروووه" بنصيحة "يامادا" حين لجأ إلى "تاكاغى" والذى قام بدوره بتسهيل إنهاء الإجراءات عن طريق موظف يعرفه داخل مكتب استقبال الطلبات.

بعـد أن لـصق "جونـتاروووه" صورته الشخصية – التى أحضرها معه – على الاستمارة ، حصل بعد ذلك على الأختام وتسلم فى النهاية بطاقته المدرسية .

وبعد أن دفس "جونتاروووه" تلك البطاقة فى جيبه شعر لأول مـرة بعد أيام من الاضطراب بأن حالته النفسية قد استقرت ، واقنع نفسه بأن الأمر لن يختلف طالما كان مسجلاً رسمياً بأى مدرسة كانت .

وجـد "جونـتاروووه" نفـسه يوافق دون تردد على اقتراح "يامـادا" بالـذهاب ثلاثـتهم لتناول الغذاء فى مكان ما ، وبعد لحظات غادر الثلاثة غرفة المكتب .

كانت السماء زرقاء صافية ، والشمس ترسل أشعتها الدافئة لكى تدفئ أوصاله وحين كان الثلاثة يسيرون جنباً إلى جنب ، تهيأ لـ"جونتاروووه" إن كلاً منهم كانت تنبعث من ملابسه رائحة تخـتلف عـن الآخـر ، وعلى وجه الخصوص كانت رائحة تاكاغى "واضحة مميزة عن الاثنين الآخرين.

كانت سترة "تاكاغى" القديمة البالية قد تحول لونها مع مر السنين إلى لون غريب تارة يظهر كحلياً وتارة يظهر بنياً وتارة أخرى بنفسجياً بسبب الجلخ الذى تكلس بها ، وكانت ياقة السترة مفرودة مشرعة إلى أعلى ... أما طرف السترة السفلى فكان على العكس ممطوطاً مدلى لأسفل ، وكانت مؤخرة سرواله من ناحية المقعدة مهترئة من كثرة الاحتكاك والجلوس ... فعالجها "تاكاغى" بترقيعها بقطعة من القماش تختلف درجتها عن درجة قماش البذلة ، ولم تكن تلك الرقعة محكمة الحياكة بحيث كانت تفغر فاها وتغلقه حين تنظر إليها من الخلف مع كل خطوة يخطوها "تاكاغى" وكأنما كانت مثل غطاء آلة نفخ الكير!!

أما سترة "يامادا" فقد كانت تشبه فى مجملها سترة المبشرين بالمسيحية!! ، فقد كانت ياقتها السوداء مقواة مثل ياقتى الآخرين ، ولكنها كانت تبدو ضيقة على رقبته الكبيرة الطويلة وكانت البذلة كلها فى مجملها تبدو كما لو كانت صندوقاً مربعاً حشر به "يامادا" جسده الضخم!

ومقارنته ببذلتى الآخرين - كانت تبدو بذلة "جونتاروو" أفضل منهما نوعاً ما . لقد كان "جونتاروو" يرتدى تلك البذلة المفصلة ... غير إن "جونتاروو" كان قد قام بنزع الأزرار التى حملت شعار جامعة "ز" ووضع بدلاً أزراراً عادية ووضع على رأسه قبعة تحمل علامة المدارس التمهيدية.

هـذه الـبذلة لمـتدحها الخياط ووصف قماشها بأنه أجود نوعيات الأقمشة الموجودة تحت يده بالورشة هذه الأيام ، ولذلك فهى بالمقارنة بالبذلة الكحلية التى كان يرتديها "جونتاروو" من قبل فهى مطابقة لمقاس جسمه تماما وخفيفة فى وزنها ، ولكن لم يكن هذا يعنى على الإطلاق إنه كان مرتاحا بارتدائها . فمن فـرط لـيونة قماشها كانت تلتصق بأقدامه حين يسير ولم تكن تجعلـه يشعر بالحرية فى الحركة مثل البذلة القديمة . وقد كان "جونتاروو" "حين يتحرك ويسير كانت تنبعث من البذلة رائحة القمـاش الجديد المميز وتدغدغ خياشيمه ، وكانت تلك الرائحة تذكـره بـسطحية أمـه وسذاجتها ... نعم أمه تلك التى كانت تتصابى فى تصرفاتها معه لكى تشعره بأنها ليست مجرد أمه ، بل فى نفس الوقت كصديقة أو حبيبة . وكان "جونتاروو" حين تـراوده تلك الخواطر يشعر بنفسه وكأنه يرى نفسه يغرق فى مـستنقع للمـياه وأنه مغمور من أخمص قدميه حتى رقبته فى جسم رطب معتم يقيد حركته ويشل حريته!

وهـنا كـان يـشعر "جونـتاروو" وهو يسير مع زميليه بإحـساس مخـتلف تماما عن إحساسه بنفسه وهو مجرد داخل البـيت . مع ذلك كان يشعر "جونتاروو" إنه حين يسير معهما كأنه خلع عن كتفيه معطفاً ثقيلا كان حقا يشعره بالدفء ولكنه فى نفس الوقت كان يقيد حركته.

لقـد سار ثلاثتهم عند حافة الخندق المائى . وبعد لحظات جاءت من الاتجاه الآخر للطريق ثلاث أو أربع فتيات من نفس

أعمـــارهم تقريباً ومررن من جانبهم . لقد كن تلميذات بالمعهد المنزلـــى الذى يدرس فنون تنظيم البيت للفتيات المقبلات على الـــزواج ، وهـــو المعهد الذى يقع على الجهة المقابلة للمدرسة التى تقدموا إليها ... ويفصله عنها ذلك الخندق المائى .

وهنا صاح "ياmادا" قائلاً لرفيقيه مشيراً إلى الفتيات اللاتى عبرن توا من جانبه :

"هـــل تعـــرفان ماذا يطلقون على مدرستنا الجديدة فى هذه المنطقة".

"لا نعرف" .

"إنهـــم يقولـــون إن معهـــد الفنون المنزلية هذا هو زهرة الخندق، أما مدرستنا فهى مقلب للقمامة" !!

"مـــاذا؟ ولكن تلك الزهور لا تبدو لنا يانعة مزهزهة مثل بقـــية الـــزهور" ، قالوا تلك الجمل فى الوقت الذى مرقت فيه الفتـــيات مـــن جانبهم وقد أثرن رائحة عطرية منعشة فى الجو ممـــزوجة بـــرائحة أجسادهن الدافئة ... وهن يرتدين زى ذلك المعهد الذى كانت تميزه تلك التنورة الخضراء مع ذلك الجورب النـــسائى ذو اللـــون البرتقالـــى ... وهو الذى ذكرهم بملابس الراقصات فى مسرح "تاكارازوكا" الاستعراضى!

وهنا صاح "يامادا" مستنكرا:

"يا لهن من متعجرفات يتباهين ويتعالين على الخلق بالرغم من رائحتهن الريفية الفجة" ثم استطرد "يامادا" قائلاً :

"لقد كانت لى فتاة أزمع الزواج بها تداوم على الذهاب إلى مدرسة كاثوليكية للراهبات ولكنها أرسلت لى برسالة بالأمس تبرئ لى فيها ذمتها من الرغبة فى الارتباط بى !

وقد تحججت فى الرسالة بأنها تشفق على من إلزامى بانتظارها سنوات طويلة حتى أتخرج من الجامعة .

فرد عليه "جونتاروو" وهو يجاريه فى الحديث قائلا: "حقا!!" .

ولكن "جونتاروو" فى نفس اللحظة شعر فى قرارة نفسه بأن "يامادا" هذا على الرغم من هيئته فهو تغلب عليه صفات الطفولة بشكل واضح مقارنة بنفسه . لقد احتار "جونتاروو"فى أمر "يامادا" هذا .. فهو لا يصدق إنه نفس الشخص الذى كان منذ شهور فى حجرة الدراسة يجلس مختالاً متعجرفا لا يعير زملاءه أى اهتمام ... وها هو الآن يثرثر ويتحدث عن خصائص حياته دون أن يوجه إليه أحد أية أسئلة أو استفسارات.

إن والد "يامادا" مهندس ذو منصب كبير فى شركة "س" للصناعات الثقيلة ، وحاصل أيضا على الدكتوراه فى الهندسة ، أما أخو "يامادا" الأكبر فهو مهندس فنى وملازم بالقوات البحرية أما زوج أخته الكبرى فهو مهندس فى الترسانة ، أى أن والد "يامادا" حسب كلام "يامادا" نفسه يخطط لكى تكون الأسرة كلها من المهندسين ، ولذلك فقد قال "يامادا" معقبا على ذلك:-

"لذلك فأبى مصمم على ألا أدخل سوى كلية الهندسة مهما رسبت ومهما قضيت من سنوات فى المدرسة التمهيدية، ولذلك قد سئمت من عناد أبى وقررت أن أتقدم السنة القادمة إلى كلية الآداب ، مع أنى أحب الماكينات ... فالماكينة صادقة ولا تكذب أبداً"!!

ومقارنة بـ"يامادا" ... فإن "تاكاغى" كان يبدو لى إنساناً متزناً وقوراً ، فحين كنا نسير ثلاثتنا سوياً كان مطرقاً برأسه صامتاً لا يعقب على ما يقوله "يامادا" سوى بعبارات "نعم" و "حقاً" ، ومع ذلك لم يكن يعطينى انطباعاً بأنه إنسان بارد مجرد من الإحساس ، وكان "يامادا" على العكس بالرغم من قلة كلام "تاكاغى" إلا أنه كان يعطيه اعتباراً كبيراً ... حيث كان كلما يتفوه "تاكاغى" بعبارة" حقاً أو "نعم" فقد كان يتوقف عن السير وعن الكلام وكأنما رده القصير يؤثر فيه تأثيراً كبيراً .

وحين كان "يامادا" يتوقف ... كان تاكاغى" بدوره يصاب بالارتباك ، فيغالب ذلك الارتباك بضحكة مصطنعة وكأنما يحاول نفى ما قاله لتوه ، وهنا كان يبدو على "يامادا" شعوره بالارتياح فيستطرد مرة أخرى حديثه عن مدرسة خطيبته وعن مشاريع أبيها وغيره من الأمور التى لا تتصل بقريب أو بعيد باهتمامات من يستمع إليه .

وبعد فترة من سيرهم سوياً وصلوا إلى منطقة "كاندا"، وحينما مروا ببعض محال الكتب القديمة وبعض محال الثياب ، لاحظوا وجود طلبة كثيرين يرتدون قبعات مدرسية حديثة

يميـــزها وجود ذلك الشريط الأبيض ولكنهم مع هذا لم يشعروا بالحسد والغيرة من هؤلاء الطلبة وذلك مقارنة بحالهم منذ سنة أو سنتين ، بل على العكس فقد انعكست صورة هؤلاء الطلاب وهـــم يـــرتدون ملابس المدارس الإعدادية مع قبعات المدارس الثانوية ويضعون مناشف العرق فى أحزمتهم - وكأنها تعاويذ سحرية - ، وانعكست صورتهم فى شكل هزلى مثير للسخرية.

فى الطرقات الخلفية للشارع الرئيسى كانت تصطف بعض المقاهى ، وكانت تلك المقاهى تعج بطلبة من الجامعات الأهلية ، وكانت موسيقى الجاز تصدح من داخل تلك المقاهى ، وأمام كل من تلك المقاهى كانت تقف أجمل النازلات تدعون الزبائن للدخـــول . كانت تلك النازلات الجميلات ترسمن أحمر الشفاه على شكل القلب وترتدين تنورات ضيقه تبرز مفاتن الخصر ... بينما كن يوجهن نظراتهن الدافئة لكى تفتن المارة من الشباب .

كـــذلك داخـــل كـــل مقهـــى من تلك المقاهى كانت تجلس الـــنازلات خلف الواجهة الزجاجية القاتمة وهن يراقبن الغادي والرائح .

وفجـــأة توقفت قدما "تاكاغى" أمام أحد تلك المحال ، وقال بسرعة :-

"ما رأيكم فى هذا المقهى" ؟

فتـــبادل "جونتاروو" و "يامادا" النظرات ، فهذه هى المرة الأولـــى مـــنذ أن قطعوا الطريق سويا التى أبدى فيها "تاكاغى" رأيا واضحا خاصا بأمر ما ومما أدهش الاثنين أن ذلك المقهى

مـــن مظهـــره لـــم يكن يوحى بأى علاقة بينه وبين اهتمامات "تاكاغى" حسبما تصورها الاثنين ، ولكن لأن "جونتارووه" كان قـــد لاحـــظ بـــريقاً مشتعلاً مفعماً بالحيوية من عيون "تاكاغى" المثبتة على باب ذلك المقهى ، فقد رد بسرعة قائلا

"حسناً ... يبدو أن هذا المقهى لا بأس به ... فلندخل".

أصـــيب "يامـــادا" هنا بالحيرة والدهشة أيضاً من رد فعل "جونتارووه" السريع فلم يجد بدا من موافقة الاثنين مغلوباً على أمـــره . بينما كانت تبدو على وجهة علامات الامتعاض داخل المقهى كان الضوء خافتاً ... وكان دخان السجائر يملأ المكان .

عـــندما جلـــس الـــثلاثة إلى إحدى المناضد ، طلب يامادا مشروباً إسمه "بورت لاب" وهو عبارة عن نبيذ مخفف مخلوط بالسكر ، كذلك طلب "جونتارووه" نفس المشروب أما "تاكاغى" فقـــد قال فجأة بعد تردد وهو مطرق برأسه المحمر خجلاً إلى الأرض :-

"حسناً ... هل يوجد عندكم مكرونة الهند الصينية"؟

وقـــبل أن ينهى "تاكاغى" عبارته ، عاجله "يامادا" بسرعة وهو مضطرب قائلا :-

"أيهـــا الأحمق ... هل تعتقد بوجود تلك المكرونة هنا ، إذا كنت جائعاً فعليك أن تطلب ساندويتشاً أو شيئاً من هذا القبيل".

ولأن النادلة التى جاءت لأخذ الطلب أطلقت ضحكة عالية بـــسبب ســـماعها تلك المحادثة فقد أثار ذلك حنق "يامادا" وقال منفعلاً:-

"هيا بنا ... فلنخرج من هذا المكان".

ولكن "جونتاروووه" حاول تهدئة "يامادا" قائلا له :-

"اهدأ يا "يامادا" ، فلنشرب أولاً النبيذ ثم نخرج من هنا".

بينما كان يقول "جونتاروووه" تلك الجملة كان فى نفس الوقت يتساءل فى قرارة نفسه عن السبب الذى دفع "تاكاغى" إلى اختيار هذا المقهى بالذات . فترى هل تعمد "تاكاغى" إغاظة "يامادا" لأنه كان يتأفف من دخول هذا المقهى ، أم أنه اختار هذا المكان عن غير قصد معين سوى إنه كان فقط يريد الدخول هنا لكى يتعرف على المكان؟

كانت الفتاة التى تجلس عند مدخل المقهى لا تزال تحملق فى وجوه العابرين بالطريق دون ان تشرد للحظة.

ولأن المحل كان مظلماً ، والطريق على العكس كانت تغطية أشعة الشمس الدافئة فقد كانت حركة المارة بالطريق واضحة تماماً من داخل المقهى ، كانت الناذلات حين تقع عيونهن على عيون أحد المارة تنطلقن بسرعة فتصحن وهن ينادين على الزبون فى صوت واحد مدو قائلات :- "تفضل يا سيدى" .

لقد كان "جونتاروووه" يختلس النظر بين الحين والآخر إلى ذلك المشهد ، وكانت لا تمر عشر دقائق إلا ويتكرر ذلك المشهد فيدخل زبون جديد إلى المقهى . وكان هناك من يدخل وهو يهز جسمه مع نغمة موسيقى الجاز المنبعثة من آلة الأسطوانات ، وكان هناك من يدخل على مهل متثاقلا متصنعاً

الـوقار بخطـوات ثابتة ... فى المحصلة الأخيرة كان كل من يدخل من عتبة الباب يشعر بالاضطراب لإحساسه بان نظرات الموجـودين داخـل المقهى موجهة جميعاً إليه ، ولكنهم كلهم لحظة أن كانوا يدفسون أنفسهم فى مقاعدهم ... كانوا لا يبادلون النظـرات مع الآخرين من الزبائن ويأخذون فى شفط مشروب النبـيذ ذو الـسكر من الشفاطات البلاستيكية المغروسة داخل الأكـواب . لقـد كانـوا لا يجرءون علي ضم أكتاف الناذلات الواقفات عند الباب أو مسك أياديهن ... كما إنهم كانوا يخجلون من مداعبتهن بصوت عال .

ساعتها كان يراود "جونتاروه" إحساساً بأن وجه الخادمة ذات الأنـف المحمـر والذقن الصغير ذو الغمازة وتلك العين الـصغيرة الحدقة – والتى لا بأس بها – كان يظهر واضحاً فى مخيلـته ، ولكنه حين كان يتذكر مشهد إحضارها لتلك البطاقة البـريدية – التى أعلنت رسوبه – إلى فراشه ، عاد وقارن ذلك بمشهد الناذلات المبتسمات من حوله وأدرك لحظتها بأنه قد وقع فـى فخ مماثل للفخ الذى وقع فيه كل الزبائن من الشباب الذين يجلـسون حـوله والذين كانوا يبدون كما لو كانوا فى زنزانة مغلقـة . بعـدها حين نظر "جونتاروه" إلى "يامادا" الذى كان يـدور بمقلتـيه الجاحظتين فى أرجاء المقهى وهو يمط رقبته الطـويلة متعالـياً على الجالسين حوله بينما انتهى من رشف محتويات مشروبه الغريب هذا ، وحين نظر إلى وجه "تاكاغى" المحمر خجلاً بينما كان يمسك رأسه بكلتى راحتيه وهو مطرق

برأسه فى الأرض شعر "جونتاروو" بان وجهيهما يستحيلان فى عينيه إلى التعاسة والبؤس بكل معانيهما .

وجاء الوقت الذى بدأ فيه الفصل الدراسى الجديد للمدرسة التمهيدية فى العام الدراسى الماضى . لم يتأخر "جونتاروو" عن موعد محاضرة ولم يغب أبداً عن حضور أى محاضرة فنال لذلك شهادة تقدير من تلك المدرسة التمهيدية لالتزامه بالحضور . ولكن ذلك فى حد ذاته ليس دليلا على مثابرته وتفوقه ، فقد كان "جونتاروو" نموذجا للطالب الكسول والحقيقة إنه لم يكن من ذلك النوع الذى يحب اللهو ، فهو وحيد والديه .. ربما يكون عدم معرفته بقواعد لعبة البيسبول أو الشطرنج اليابانى راجعاً إلى التصاقه بأمه دائما . ولا يعنى ذلك أنه على العكس كان يفضل مشاركة الفتيات الصغار فى ألعابهن المعتادة التى تختلف عن ألعاب الصبية ، أى أنه لم يكن يفعل شيئاً بعينه حين وجوده بالبيت ، وكانت أقصى سعادة له وهو صغير أن تصطحبه أمه بين حين وآخر خارج البيت لكى تطعمه حلوى السكر التى كان يحبها ! أى أنه من منطق التربية المعهود لم يتلق التربية المفروضة كصبى عادى .. ولكنه فى نفس الوقت لم ينشأ على العكس صبيا مارقا متمردا . ولكن ها هو "جونتاروو" يصل إلى مرحلة تجعله يشعر بأنه لم يعد يتحمل ذلك الأسلوب فى الحياة .

لحسن الحظ أن أمه لم تكن من ذلك النوع الذى يدقق فى كل تصرف من تصرفات ابنها ... مثل توجيهه إلى رفع وخفض عصا الأكل بزاوية معين حين تناول الطعام أو غيرها

مـن الأمـور الدقيقة فى السلوكيات العامة ، ومع ذلك فقد كان "جونـتاروو" يـشعر بشيء ما ثقيل يجثم على صدره بمجرد تـواجد أمـه معه فى نفس المكان . ولم تكن أمه تأمره بشكل مباشـر بـأن يجلس إلى مكتبه ويستذكر دروسه ، ولكنها على العكس كانت تشعره بخيبة أملها ناحيته حين تقول له مثلاً : "لقد كنت قبل التحاقك بالمدارس حقاً طفلاً وديعاً ذكياً":

لـم تكن الأم حين تفتح هذا الحديث تستمر فى الاسترسال فـيه حتى تذكر له تفاصيل طفولته منذ كان يرضع لبنها حتى صار يحصل على أعلى النتائج فى مدرسة الحضانة ، فقد كانت حين تتطرق إلى الحديث عن طفولته تنتقل فجأة إلى الكلام عن الـبحث عن عروس له . ولكن مع تكرار رسوب "جونتاروو" فى المدرسة التمهيدية لم تعد الأم تتحدث كثيراً عن هذه الأمور.

أضف إلى ذلك إنه على العكس فمن ناحية "جونتاروو" فقد كانـت له ملحوظات على مظهر أمه وتصرفاتها والتى لم يكن يحـب ذكـرها لهـا ، وعلـى سـبيل المثال فلم يكن يعجب "جونتاروو" طريقة أمه فى لبسها للكيمونو .

لقد كانت أمه لا تحكم طرفى فتحة الكيمونو على صدرها . فكانت تترك تلك الفتحة لعدة ساعات دون مبالاة ، وكان يحدث ذلـك غالـبا فـى الـصيف حـين تشتد الحرارة . وإذا كان "جونتاروو" قد اعتاد رؤيتها بذلك المنظر ... فقد تكون هناك مـشكلة ما ، ولكن "جونتاروو" لم يكن يحب أن يستمر مظهر أمـه معـه على هذا الحال حتى الآن تماما مثلما كان مظهرها

وهـــى تدخل معه الحمام وهو طفل صغير لكى تقوم بمساعدته فـــى الاستحمام . ولهذه الأسباب فقد صار "جونتاروووه" يفضل قـــضاء الوقت مع أصدقائه فى المدرسة عن قضائه مع أمه فى البـــيت . والمدرســـة التمهـــيدية فى حد ذاتها لم يكن بها نظام الواجـــبات والمحاســـبة علـــى إعداد الدروس ومراجعتها مثل المـــدارس العاديـــة ، كما إنه لم يكن هناك نظام للرسوب بتلك المدارس ، كما لم تكن هناك تدريبات رياضية ... كذلك لم يكن هـــناك نظـــام الطالب المثالى أو رئيس الفصل .. الخ . ولهذا السبب أيضاً لم تكن هناك حاجة للطلبة لكى يتملقوا أساتذتهم أو يحاولوا خطب ودهم .

بالمناسبة ، فمع بداية السنة الدراسية الجديدة صارت هناك متعة ما لدى "جونتاروووه" تدفعه إلى الذهاب للمدرسة أكثر من ذى قـــبل . وذلـــك لوجـــود "يامادا" و "تاكاغى" معه فى نفس المدرسة .

أنهم يقولون فى الأمثال إن الأمر إذا اعتاد عليه المرء فى ماضـــيه يـــصير ممـــلاً ثقيلاً مع مرور الأيام ، ولكن هؤلاء الـــزملاء الـــثلاثة الذين تخلفوا عدة سنوات عن دخول الجامعة وسبقهم زملاؤهم إليها صاروا يشعرون بالوحشة والملل إذا لم يجتمعوا سوياً .. بصرف النظر عن تلاقى أمزجتهم مع بعضها البعض أو تنافرها.

ومع مرور الأيام ومع كثرة تعامل "جونتاروووه" مع "يامادا" و "تاكاغى" ، اكتشف "جونتاروووه" أن هذين الرفيقين جد مسليين

ممتعـين ! فقد صار الاثنان فى الفترة الأخيرة مولعين بالأدب وقـد يكـون تعبيـر "مولع" هذا مبالغا فيه ، غير أنه بالنسبة لـ"يامادا" على الأقل ... فلم تكن هناك كلمة أدق منها تصف الحال الذى وصل إليه من ولع بالأدب!

كان "تاكاغى" أحيانا يبادر "يامادا" قائلا :-

"قد لا يروق لك ما سأقوله الآن .. ولكنى أشعر بأن اليابان ستخسر هذه الحرب ! وإذا حدث ذلك فلن يكون هناك عائد من وراء دراسـة الهندسـة هـذه . إننا فى هذه الحالة سنقدم على عصر الأدب ... وستلقى دراسة الأدب ذيوعا وشعبية" .

كان "تاكاغى" يقول ذلك ، وكنا على هذا الأساس كثيرا ما نقوم بشراء تذاكر المسارح والحفلات الموسيقية ... ونكاد نذهب يوميا إلى المعارض الفنية . ثم فاجأنا "يامادا" فى يوم من الأيام بقوله:-

"لم تظهر فى اليابان بعد جامعة ثقافية دولية حيث بها طلبة أجانـب من مختلف دول العالم فيتبادلون المعرفة عن ثقافاتهم وديانـاتهم المختلفة . إن البروفيسور "كاميه مى يووسوكيه" هو صديق لأبى ، ولذلك فإننى أفكر حين أقابله عن قريب أن اقترح عليه السعى فى إنشاء مثل تلك الجامعة ... وساعتها أرجو منكم شحذ الهمم لكى تكونا من طلائع الخريجين منها.

قـال "يامـادا" كلامه الخيالى غير الواقعى هذا بوجه جاد وبلهجة حازمة .

وبالمقارنة بـ"يامادا" فقد كان "تاكاغى" ينطبق عليه انطباع الشاب المثقف المولع بالأدب ، فقد كانت دفاتره مملوءة بالقصص والأشعار المكتوبة بخط يده ، ولكنه أحياناً كان يفاجئ الآخرين بقوله :-

"إننى لم أعد أثق فى اللغة اليابانية وقواعدها ، وكان يبتكر رموزاً لغوية جديدة فى كتابته للأشعار التى يؤلفها" .

ولكن أكثر من هذا وذاك فالمفاجأة الكبرى التى أحدثها لكل من رفيقيه أن "تاكاغى" كان قد عرف طعم النساء !!

ففى يوم ما بينما كان ثلاثتهم يتجاذبون الحديث انزلق لسان "تاكاغى" دون عمد منه لكى يذكر لرفيقيه مغامرة عاطفية خاضها أثناء عودته لبلدته خلال الإجازة الدراسية . ومنذ ذلك اليوم صار "جونتاروو" و "يامادا" ينظران إلى "تاكاغى" نظرة مختلفة وكأنما صار "تاكاغى" أعلى مرتبة منهما وأكثر هيبة واحتراماً.

ولكن من وجهة نظر "جونتاروو" فقد كان هذا الأمر عجيباً . فمن بين الشباب الذين عرفهم "جونتاروو" لم يكن "تاكاغى" الوحيد الذى كانت له تجارب مع النساء . والمرة الأولى التى استمع فيها "جونتاروو" إلى مغامرة نسائية على لسان شاب يعرفه كانت عندما فاجأه صبى المغسلة الذى كان يتردد على منزله بالحديث وعن تجربته الشخصية ، وقد شعر "جونتاروو" حين سمع ذلك الكلام بالامتعاض والقرف ولم

يستحسن ذلك الحديث على الإطلاق . وكان "جونتاروو" وقتها تلميذاً بالمرحلة الابتدائية.

وعندما كبر "جونتاروو" قليلاً وصار طالباً بالمدرسة العليا، استمع إلى عدة تجارب مماثلة من زملاء له بالفصل، ولكنه شعر وقتها ناحية هؤلاء بأنهم تعساء ولم يشعر ناحيتهم بأى إحساس بالغيرة . ولكن ما الذى غير الأمور لكى يشعر "جونتاروو" شعوراً غريباً ناحية "تاكاغى" بأنه شاب يخبئ فى أعماقه أموراً عظيمة مهيبة . قد يكون ذلك لأن "جونتاروو" قد بلغ المرحلة التى يرغب فيها – عن أى مرحلة أخرى – فى الدخول إلى عالم النساء . نعم قد يكون ذلك هو السبب .

ولكن "جونتاروو" منذ طفولته لم يكن عنده فضول لمعرفة تلك الأمور ، ولكن مع كبر سنه صار يهتم فجأة بتلك الأمور . لا بل إن هذا المنطق فى حد ذاته قد لا يعطى تفسيراً كافياً لما يشعر به "جونتاروو" الآن ناحية "تاكاغى".

أضف إلى هذا إن هناك أمراً غريباً آخر ، وهو إنه على الرغم من معرفة "تاكاغى" بالنساء ... فما الذى أوقعه فى ذلك الارتباك والخجل حين دخل معه ذلك المقهى بمنطقة "كاندا"؟

لقد كان "جونتاروو" يعتقد إن خجله وتردده أمام الآخرين يرجع إلى كونه مازال أعذراً لا يعرف النساء ، وهذا أيضاً ما يفهمه من خلال قراءته لبعض الكتب وما جعله يصدق ذلك الأمر دون أى شك أو ريبة . ولكن ها هو "تاكاغى" يحمر وجهه خجلاً ويطرق برأسه فى الأرض حين تظهر أمامه امرأة

بالـرغم من معرفته بالنساء ... فترى ما هو تفسير ذلك الأمر؟ تـرى ... هـل إحساس الخجل هذا ليست له أى علاقة بكون الشاب اعذرا من عدمه؟

مرت الأيام وجاء فصل الربيع حيث أينعت أوراق زهور "الساكورا"

ومع حلول ذلك الفصل لم تعد أم "جونتاروووه" تتعب حظها مـثلما كانـت تفعـل من قبل كلما علمت برسوب ابنها . لقد صارت مسألة رسوب ابنها لا تعدو أن تمثل بالنسبة لها ظاهرة مؤقتة تسبب لها عدم الرضاء والارتياح ثم لا يلبث تأثيرها أن يزول . أما "جونتاروووه" فقد اعتاد على هذا الأمر حتى صارت مـسألة الرسوب هذه مرحلة معينة تجعله مهيئاً نفسياً لاستقبال مـرحلة أخـرى جديدة . لقد كانت زهور الساكورا مع تكاثفها وازدهارها تشعره فى البداية وكأنها تجثم فوق صدره جثماً .. ولكـن مع مرور الوقت صار يشعر بتذوقه لجمالها مع ظهور براعمها الجديدة .

والحقيقة إن "جونتاروووه" صار مرهف الإحساس بظواهر تغير الفصول منذ بدأ الرسوب وقد يكون هذا بسبب رتابة الحياة التى تفرض على الطالب الذى يتكرر رسوبه وهو يحاول دخول الجامعة سنة بعد أخرى .

الـسنة القبل الماضية والسنة الماضية ثم هذه السنة تكرر الرسـوب ، ومعها تكررت نفس الكتب ونفس التمرينات ونفس الأسـئلة ... ومعهـا أيضاً صارت نفس المعاناة ونفس الأمور المحبطة تتعايش معه وتقبع داخل صدره . كان التغيير الوحيد

فـــى حـــياته تلـــك هو تآكل أطراف كتب التدريب على أسئلة الامتحانات من كثرة تقليب صفحاتها وازدياد عدد الخطوط التى جرها تحت سطور تلك الكتب عن السنوات التى مضت.

لقد صارت له فلسفته الخاصة نحو الامتحانات.

"هناك نوعان من البشر : نوع يجتاز ما أمامه من عقبات من المرة الأولى ، ونوع آخر لا يستطيع أن ينجح فى أى أمر يـــواجهه إلا بعد أن يكرر الفشل فيه عدة مرات ، وذلك النوع الثانى من البشر يفشل فى أى أمر يواجهه مهما كان ذلك الأمر ســـهلا يـــسيرا ... ولكن ذلك الفشل فى هذه الحالة لا يصح أن يعتبـــر إلا أنه سلوك استعدادى قبل تنفيذ أمر بعينه ، ومع ذلك فـــلا يمكـــن تطبيق نفس النظرية على امتحان دخول الجامعة ولـــذلك فـــإن تكـــرارى للرسوب ثلاث مرات متوالية فى هذا الامـــتحان لا يعدو أن يكون دورانا فى حلقة مفرغة على نفس المدار ولا يؤدى فى النهاية على الإطلاق إلى الوصول لمحور الحلقة"!!

ولكن إذا وضعنا هنا الكلام جانبا ... فسنجد أن هناك أمورا أخرى جدت لكى تغير الصورة .

فـــى يـــوم مـــن الأيام جاءت خالة "جونتاروو" - وأسمها "كـــيووقو" - لـــزيارتهم فـــى بيتهم . لقد كانت على وشك عقد الخطـــوبة مـــع مـــدرس "جونتاروو" الخصوصى . وكانت أم "جونتاروو" وقتها تقوم بدور الخاطبة بينهما . وكانت أمه من قـــبل قـــد قامـــت بمحاولة أخرى لتوفيق الفتاة مع شاب آخر .

وحـــسب الكـــلام الذى سمعه "جونتاروووه" فقد كان ذلك الشاب السابق وسيما يشبه الممثل "جارى كوبر" ولذلك فكلما كانت تقع عيناً "جونتاروووه" على صورة ذلك الممثل كان يشعر بإحساس يثير حنقه لا يمكن تفسيره فقط على أنه مجرد إحساس بالغيرة ! ولكـــن لـــسبب ما لم يعد يراود "جونتاروووه" ذلك الإحساس ... وكانـــت محاولـــة التوفـــيق الجديـــدة بين ابنة خالته ومدرسه الخـــصوصى تـــسير بخطوات ناجحة ثابتة . وكانت الأم تبلغ "جونتاروووه" بكل تطور جديد فى ذلك الخصوص . وكان الأمر هو الشاغل لها والذى كان فى حد ذاته المتنفس الوحيد لها لكى تشعر بالحماس والانطلاق ، وكانت أحياناً تفاجئ "جونتاروووه" قائلة :-

"ما رأيك فى الأستاذ "يوشينو" ؟ يبدو إنه معجب كثيراً بابنة خالتك ، فقد قال لى ذات مرة إنه يحب عيونها ... هاهاها" .

حـــين طـــرحت الأم ذلك السؤال على ابنها "جونتاروووه"، كانت لهجتها تختلط بين التردد والحياء أحياناً ، وأحياناً إعطاء الإحساس بلذع "جونتاروووه" وتقريعه .

وهـــنا قـــال "جونتاروووه" وهو يحاول التظاهر والثبات فى الوقت الذى كان يشيح فيه بوجهه عنها حتى لا يفضحه وجهه : "نعـــم ... إننى أشعر أنها ستوفق هذه المرة" ولكن الأم لم تكتف بما سألته ، وإنما عقبت قائلة بلهجة يشوبها الشفقة والتشفى:-

"نعـــم قـــد يكون ذلك صحيحاً ... بيد أن أهلها كانوا يرون فيكما وقتها زوجين يليقان ببعضكما تماماً"

كمـــا يــبدو من لهجة الأم هذه إنها تلمح إلى تكرار مرات رســـوب "جونــتاروووه" على مدى الثلاث سنوات الماضية وأن فشله كان سبباً فى عدم توفيقه مع الفتاة . أو بتعبير آخر إنه إذا تــم حساب الأمر بطريقة صحيحة وكان "جونتاروووه" قد اجتاز أول امتحان بنجاح لكان الآن فى أول السنة الثالثة بالجامعة ولم يتــبق أمامه سوى سنتين على التخرج ولكن ها هو واقع الأمر بالنــسبة لــــ"جونــتاروووه" الذى لم يكن أمامه سوى أن يدخل الجامعة – حتى ولو اجتهد – بعد أن يكرر مرات رسوبه لثلاث سنوات متتالية على الأقل.

نعود إلى ذلك اليوم حيث زارت الفتاة بيت "جونتاروووه" مع أمهـــا – التـــى هى خالته – وهما يرتديان زى الكيمونو بكامل زينته ، كان شعرها المموج المصفف يوحى وكأنها تلبس شعراً مستعارا على رأسها !

لقد كانت الفتاة بوجهها المكتمل الأنوثة لا يوحى مطلقاً بأنه لم يمر على تخرجها من مدرسة البنات العليا سوى سنة واحدة فقط . فقد كان مظهرها هذا بكامل زينته يذكره بتماثيل العرائس وهـــى ترتدى زى الزفاف وهى معروضة فى واجهات محال الملابس الكبرى .

حـــين دخلـــت الفتاة إلى غرفة الجلوس انحنت برأسها فى تحية طويلة أمامه وأمام أمه حتى كادت جبهتها تلامس أرضية الغــرفة المفروشة بالحصير . ثم قالت الفتاة وهى تؤدى التحية فى مهابة وأدب جم :-

"كيف حالك يا خالتى .. لقد أوحشتنى كثيرا . وكيف حال عمـــى ؟ هـــل هو بخير ويؤدى دوره الوطنى كالمعتاد بمسرح المعركة ؟ وماذا عن "جونتاروو"؟ هل فعلها هذه السنة ..." .

وحينما وصلت الفتاة إلى هذه الجملة لم تكملها إلى النهاية .. وذلـــك بعد أن انتهت من جملتها الأولى التى رددتها كما لو كانـــت صادرة من أسطوانة مسجلة . لقد تهيأ لـــ"جونتاروو" لحظـــتها من فرط أسلوب الفتاة الرسمى البارد فى التحية إنه لم يكن ينقصها سوى أن تكمل عبارتها قائلة "أقدم تعزيتى إليك فى ابنك" !!

ولكن الفتاة قطعت جملتها ولم تكملها والتزمت بالصمت . وهـــنا فطنت أم "جونتاروو" إلى أن أختها على وشك أن تقول شـــيئاً لكى تصلح ما قالته ابنتها فبادرت قائلة وهى مرتبكة :- "أبداً ... إننى أريد من ابنى ألا يتعجل فى هذا الأمر وأن يترك تلك المسائل للوقت"!

لـــم يكـــن يعـــرف "جونتاروو" كيف يعالج الأمر فى هذا الموقـــف . فهل كان يجب عليه أن يظهر الخجل على وجهه؟ وحتـــى لو كان يجب عليه أن يفعل ذلك كأمر واجب ... فماذا كـــان عساه أن يفعل على وجه التحديد ، فحتى لو تعمد إظهار الحمرة على وجهة خجلا ... فكيف كان له أن يفعل ذلك ، حتى لـــو قام مثلا بحك رأسه بيده ... فهل كان هذا السلوك سيظهره فى صورة طبيعية أمامهم أم لا ؟

بعد حيرة من أمره وصل "جونتاروو" فى قرارة نفسه إلى حل وحيد بأن يترك ذلك المكان فى هدوء وبسرعة، ولكنه حتى لـم يستطع أن يجروء على فعل هذا . فقد كان يشعر فى نفسه بأنه لا يجب عليه أن يظهر فى صورة المهزوم أمامهم.

لقـد تنازعت عدة أفكار متضاربة داخل رأسه ، فتارة كان يـسأل نفسه عما إذا كان انسحابه من أمامهن سوف يعنى فعلاً هزيمته ... كذلك كان يتساءل فى نفسه عن النقطة المحددة التى لا يريد أن ينهزم فيها ، وبسبب حيرته هذه فقد انتهى به الأمر أن يظل جالسا فى مكانه يتظاهر بالسؤال عن الترتيبات الخاصة بـيوم زواج الفتاة وأن يجتهد لكى يحول دفة الحديث إلى ذلك الاتجاه!

وبعد تلك الزيارة بيومين أو ثلاثة قام "تاكاغى" باصطحاب جونتاروو" و "يامادا" إلى النزهة بالجهة الأخرى من النهر .

هكذا صار "جونتاروو" بعد ثلاث سنوات من الرسوب فى لمـرحلة التمهيدية تلك يكرر نفس البرنامج الروتينى المعتاد . فهـا هو يجلس إلى نفس المنضدة بالفصل يفتح دفتر التدريبات المعهـود ويـستمع إلـى نفس الشرح الممل من نفس الوجوه المألوفة ... وهو ذلك الشرح المكتوب على السبورة عن طريق استخدام التعريفات المختلفة ... وعن نفس المسائل الحسابية وقد صـار بـه الحـال إلى نبذ ذلك الملل.. فكان يخرج يومياً من المنزل وهو يحتضن حقيبته المدرسية دون أن يذهب – إلا نادرا – إلى المدرسة ، فيستعيض عن ذلك بالالتقاء برفيقيه الجديدين

حـيث يـذهب ثلاثـتهم لقضاء الوقت بغرفة أحدهم أو التسكع بالشوارع أو قتل الوقت داخل بعض المقاهى.

وذلك اليوم أيضاً لم يكمل الثلاثة يومهم الدراسى ، فخرجوا إلـى الطريق دونما وجهة أو مقصد محدد فقطعوا الطريق من مـنطقة "غينزا" حتى منطقة جسر "كاتشى دوكى" فتوقفوا هناك لكى يستمتعوا بمشاهدة عملية فتح الكوبرى - الذى أنشئ حديثاً - لكى تمر من خلاله بعض السفن ... وبعد ذلك ظلوا لفترة من الـوقت يـشاهدون المناظـر المحيطة بالنهر وهم يقفون فوق الجسر. وفجأة وجه "تاكاغى" كلامه إلى رفيقيه قائلاً :-

"أتذهبون معى إلى منطقة "تامانوإي"؟

لم تكن تظهر على وجه "تاكاغى" فى تلك اللحظة علامات الخجـل والحياء التى أظهرها فيما قبل حين دخلوا ذلك المقهى فـى مـنطقة "كاندا" على العكس فقد صار "تاكاغى" يأخذ دور القائـد والدليل دون أى مظهر للجبن والتردد لكى يرشد الاثنين الآخرين إلى مناطق لا يعرفونها داخل "طوكيو" وكأنما كان قد حفظ خريطة العاصمة عن ظهر قلب ولكن "تاكاغى" حين لفظ بكلمـة "تاما نوإي "هذه ، لم يستطع "جونتاروو" مغالبة شعوره بهاجس مفاجئ فى تلك اللحظة.

لقد كان "جونتاروو" يعلم من قبل بوجود منطقة داخل حى "تامانـوإي" يـستطيع فيها المرء مصاحبة الباغيات طالما دفع المقابـل . كمـا أن "جونتاروو" كان قد فكر فى أكثر من مرة بالذهاب إلى ذلك المكان حين كان يؤرقه السهاد ولا يستطيع أن

يـذوق طعم النوم فى بعض الليالى الكئيبة التى مرت به . لقد كان يتخيل دائماً تلك المنطقة غارقة فى الأضواء الحمراء التى تتحـرك خلالها ظلال سوداء صامته تمنحه السلوى والرضاء حينما يلجأ إليها . ولكنه فى الواقع لم يكن قد استجمع شجاعته بعد لكى يذهب إليها وحده .

والحقـيقة أن "جونـتاروو" كان قد سبق له ذات مرة أن عرج على إحدى تلك المناطق حين كان يبحث عن دار للسينما بأحـد الأحـياء التجارية الصاخبة فى أوساكا وهو فى طريق عـودته من أداء أحد الامتحانات بمدرسة عليا تقع بجنوب تلك المدينة.

لقـد كان الشارع الرئيسى لذلك الحى يشبه منطقة المربع الـسادس لحـى "أساكوسـا" بالعاصمة طوكيو ... حيث كانت تصطف هناك المسارح ودور السينما ودور العرض والمطاعم، وكـان الرجال والنساء يصطحبون أطفالهم ويسيرون هناك فى زحام وصخب وجلبة ، ولكن "جونتاروو" حين جرب الدخول إلـى شارع خلفى لا يفصله خطوات عن الشارع الرئيسى ذلك ... فوجئ بخلو ذلك الشارع وبظلمته وهدوئه ، وعندما أصيب بالـريبة والهواجس وشرع يعود أدراجه إلى الشارع الرئيسى الصاخب ، استوقفه صوت نسائى يقول "يا أخ .. يا أخ" وحينما التفت خلفه لمح امرأة فى الثلاثينات من عمرها تقف هناك وهى ترتدى زى الكيمونو التقليدى وتقص شعرها مثل فتيات "الجيشا" حين رأى "جونتاروو" تلك المرآة قفزت إلى مخيلته على الفور

أحاديث رفاقه عن ذلك الحى. "لقد أحس "جونتاروو" لحظتها بمدى التناقض الذى كانت تحمله صورة الشوارع الخلفية الهادئة التى لا يكاد يسير بها أحد بمفرده حيث البيوت المتراصة الساكنة المحاطة بالأسوار السوداء – بصورة "ذلك الحى" الذى اتضح له إنه كان يتخيله بصورة مختلفة تماماً . ولأن ذلك التناقض الكبير أوقعه فى رعب مبالغ فيه ... فقد وجد "جونتاروو" نفسه يطلق ساقيه للريح ويعود أدراجه إلى الشارع الرئيسى!

لقد كان إحساسه ذلك الوقت مختلفاً عن إحساسه هذا اليوم وهو بصحبة رفيقيه . فربما لو احتاط المرء وتجنب ذلك المرض البغيض وعيون عساكر الدرك لما كان هناك أى خوف أو قلق . ومع ذلك فلحظة أن يدعوه الآخرون إلى الذهاب كان يشعر – كالعادة بالخوف والتردد!

سأل "جونتاروو" يامادا" الذى يقف بجانبه قائلاً بينما كانت الريح التى هبت فجأة من ناحية صفحة النهر تدغدغ وجهيهما بينما كان هناك سرب من طيور النورس انطلقت لتوها من البحر –: ما رأيك يا "يامادا"؟!

وهنا رد "يامادا" بصوت قوى ملأه الحماس قائلا : "فلنذهب.. ما المانع""؟

تهيأ لـ "جونتاروو" وقتها أن "يامادا" بإيجابيته هذه كان يتصرف كما لو كان يرد الصفعة التى تلقاها فى ذلك المقهى بحى "كاندا":

وهنا عقب "تاكاغى" على حماسة "يامادا" قائلاً بلهجة رزينة كمـــا لو كان شيخاً عاقلاً يهدئ من حمية مراهق مندفع أخرق :"لا تظن أننا سندخل أحد تلك الأماكن ، فليس ذهابنا إلى هناك يعنى ما يدور برأسك إننا سنأخذ جولة على أقدامنا فقط".

لكـــم أصابتهم الدهشة والعجب - خصوصاً "جونتاروو" - مـــن وجـــود حى مثل هذا على ظهر الأرض لقد استحال لهم الوضـــع كأنهم يعيشون داخل فيلم سينمائى بمجرد دخولهم إلى أحـــد الـــشوارع الخلفية . كان يختلف ذلك الحى عن أى مكان تخيل "جونتاروو" وجوده من قبل، وظل "جونتاروو" غارقاً فى حيرته واندهاشه لدرجة أنه لم يكن يصدق أن المكان الذى يطأه الآن موجود فعلاً فى الواقع.

لقـــد كـــان الشارع ، أو إذا صحت التسمية "الحارة" التى يسيرون بها يكاد عرضها لا يتسع إلا لشخص واحد بالكاد لكى يمـــر ، وكانت على الجانبين تصطف بيوت بها طاقات ضيقة مفتوحة لا تزيد مساحتها عن قدم مربع ، وخلف كل طاقة وجه واحدة من النساء ... بحيث إذا نظر المرء من خلال تلك الطاقة فهو يتهيأ له أنه ينظر من خلال فتحة بئر !! ومن منطق أى حى عـــادى لـــم يكن هناك بديل عن اعتبار حى بهذا التصميم حياً يعكـــس الجـــنون بعينه . فقد كان مكتظاً بأماكن اللهو والطعام والشراب .

كان "جونتاروو" و "يامادا" يسيران قفزاً خلال تلك الحارة الثعبانية الضيقة وقد أحمر واحتقن وجهاهما ، وكانا كلما أدارا

وجهـيهما فـى أى اتجاه كانت عيونهم تقع على وجوه هؤلاء النـسوة وهن يطللن من تلك الطاقات الضيقة! كانا أحياناً يتهيأ لهمـا إن صوتا نسائياً يناديهما ويستوقفهما ، ولكنهما حين كان يلتفتان إلى مصدر ذلك الصوت فى كل مرة كانا لا يستطيعان تمييـز من نادتهما من كثرة الوجوه المطلة ! وكانت تختلط فى عـيونهم الألوان الخضراء والوردية والحمراء الكثيرة للظلام والتى كانت تتحرك داخل تلك النوافذ الضيقة . لقد ساروا كثيراً لدرجـة أنهـم لـم يشعروا بطول المسافة التى قطعوها وطول الوقت الذى قطعوه خلال السير . وحينما دخل "جونتاروووه" و "يامـادا" إلـى بـاب خلفى يقبع وراء أحد البيوت الضيقة وهم يلهـثون خلـف "تاكاغى" فإذا بهما يجدان نفسيهما فى عرض الطريق الرئيسى الذى تنيره أشعة الشمس فجأة!.

وهـنا بادر "تاكاغى" رفيقيه يسألهما وهو يمسح بكفه على فكه المربع العريض قائلا :

"هل استمتعتم بتلك الجولة"؟

ولأن السؤال كان مفاجئا فقد أجاب الاثنان بعد تفكير "حقاً كانـت جولة ممتعه " ، ولكنهما فى حقيقة الأمر لم يكونا حتى هـذه اللحظة يدر كان على وجه التحديد كنه ذلك العالم الغريب الـذى خـرجا منه لتوهما . كان "جونتاروووه" فى هذه اللحظة يـشعر بأن وجهه مشدوداً جامدا من الدهشة ... ثم وجد بعدها "جونتاروووه" نفسه لا يتمالك نفسه من الضحك بصوت عال دون

أن يستطيع التوقف وذلك نبعاً من شعور مبهم اختلط فيه حب الفضول بالخوف والرعب .

لقد كان من الطبيعي أن يقف المرء مذهولاً إذا علم إنه بمجرد دفعه لحفنة من النقود ستكون أى امرأة من ضمن تلك النساء التى يربو عددهن على المائة رهن إشارته وطوع أمره.

وهنا أشار "تاكاغى" بإصبعه ناحية الجهة الأخرى من الشارع الرئيسى وقال موجهاً حديثاً إليهما" - "هل تريدان المزيد من المشاهدة ... هناك فى تلك الناحية المزيد من تلك المحال "ولكن "جونتاروو" أجاب على الفور قائلاً فى نبرة صادقة :-

"لا يكفى هذا ... لقد تعبت ".

لقد كان "جونتاروو" يشعر هنا بالتعب والإرهاق من مجرد فتح فمه للكلام وحينما ركب ثلاثتهم قطار "أساكوسا" استعاد" يامادا" أخيراً حماسته وأخذ يطلب من "تاكاغى" مراراً وتكراراً أن يعود بهما الأدراج مرة أخرى إلى ذلك الشارع الخلفى . ولكنه ما لبث أن قال فى لهجة يشوبها الوهن والحسرة:-

"ولكنى لا أصدق إن كل تلك النساء المصطفة داخل تلك النوافذ لا تزيد فى كونها عن نوع من البضاعة"!!

وهنا أومأ "جونتاروو" إيماءة كبيرة وهو شارد وقال مؤكداً على كلام "يامادا" :-

"نعم ... نعم ، هذا صحيح".

لقد كان "جونتاروو" فى هذه اللحظة يبدل فى مخيلته صورة وجوه النساء الساقطات بصورة ابنة خالته وهى فى كامل زينتها وهيئتها!! .

حينما عاد "جونتاروو" إلى البيت ، كانت أمه تجلس هناك بملامح غاضبة أمام منضدة العشاء الذى كان قد برد من طول الانتظار.

لقد كان "جونتاروو" منزعجاً من تصوره أن تكون أمه قد استنتجت ذهابه إلى حى البغاء هذا وليس مجرد تمشية بريئة وزيارة للسينما بعد الهروب من المدرسة مثل كل يوم . لكن حدس "جونتاروو" هذه المرة لم يصب تماماً ... وكان سبب غضب أمه وحنقها لأمر آخر لم يكن يتوقعه . فلقد كان من عادة أمه ألا تستجوبه لتعرف تفاصيل أمر أغضبها منه ، وإنما كانت فقط تكتفى بإظهار حنقها وغضبها من النتيجة الظاهرة الملموسة لما فعله .

لقد كان سبب غضبها هذه المرة أنها علمت اليوم لأول مرة بأن ابن أختها "تاكيه أو" – الذى هو أخو العروس – قد نجح فى اختبار دخول الجامعة ، وذلك عندما قامت اليوم بزيارة ابنة أختها لإتمام موضوع الخطبة الذى كانت تسعى لإتمامه.

بادرت الأم "جونتاروو" قائلة له حين دخل الغرفة:–

"ما رأيك فيما حدث"!

"رأيى فى أى شئ" ؟

"إن" تاكيه أو "ابن خالتك هو أصغر منك بخمس سنوات ... أليس كذلك"؟

"بالطبع .. أليس هذا هو أمر مفروغ منه.."

ولكن بمجرد أن أنهى "جونتاروووه" جملته هذه حتى انفجر السكون على صوت شديد لتحطم قدح الشاى الذى كانت تمسكه أمه فى يديها ، هنا أدرك "جونتاروووه" أن نوبة الهستريا قد حلت بأمـــه ، فجلـــس "جونتاروووه" فى وضع الاستعداد لكى ينطلق هارباً من الغرفة .

لقـــد كان يعلم تماما منذ طفولته بتطورات السيناريو حين تنـــتاب أمه هذه الحالة ، فقد كانت ترغى وتزبد وتحطم ما فى طريقها لمدة نصف ساعة متواصلة ... بحيث لا يستطيع أحد أن يهدئ من ثورتها ، وفى موقف مثل هذا لم يكن من الحكمة أن يقاومهـــا وإلا ازداد الموقف اشتعالاً . وكانت عادة ما تهدأ بعد مـــرور ساعة واحدة تقريباً من ثورتها ، وبحلول صباح اليوم التالى كانت تهدأ وتنسى الأمر تماما .

ولكن تقدير "جونتاروووه" لسيناريو الأحداث كان مخطئاً هذا الـــيوم . فـــبعد تحطـــم ذلـــك القدح لم تحدث أية توابع ... بل اســـتمرت الأم جالسة فى مكانها تكتفى بتوجيه نظراتها النارية إليه!

ولكـــن بعـــد لحظات ما لبث وجهه أن تحول إلى الذبول والـــصفار بعد أن صارت نظراتها هادئة باردة . وبعد أن ظل "جونـــتاروووه" يتـــرقبها لدقائق ويبلغ ريقه ، وجدها تنهض من

مكانهـا وتـسير بخطـى بطيئة بجسمها الممتلئ فاتحة ساقيها حريـصة علـى ألا يحـتك فخذاها الممتلئان ، ثم توجهت إلى الـدولاب الموجـود بالغرفة وفتحت أحد الأدراج وتناولت من داخله مظروفا بنى اللون ، وأخرجت ما بداخله ثم قالت له:-

"على أى الأحوال إذا كنت ستستمر هكذا فى حالتك هذه ... فهذا يعنى أنك تريد فى النهاية ألا تلتحق بأى جامعة وأن تدخل الجندية ... أليس كذلك . حسناً فلتتقدم من نفسك للتطوع بالجيش ... هيا" .

بعـد أنهت الأم جملتها تلك ، قذفت بمحتويات الظرف إليه وتـركته يقرأها ، وحين قرأ "جونتاروه" الورقة وجدها عبارة عـن استمارة بشروط الالتحاق بمدرسة التجارة التابعة للقوات البحرية ، فاندهش "جونتاروه" وانزعج من هذا الأمر وقال فى نفسه :-

"ألهذا الحد بالرغم من أن أمى كانت ترفض وتكره دخولى الجيش ، فما الذى جعلها تغير موقفها هكذا ، ... لابد أن الكيل قـد طفـح بهـا" . ولكن ترى ما الذى جعل الأم تختار بالذات مدرسـة الـتجارة البحـرية البغيضة هذه ، لاشك أن الأم قد شـحنت شـحناً فـى بيت أختها وتلقت تلك النصيحة البغيضة الـسخيفة منها . وهنا قطع ذهوله صوت الأم وهى تزعق فيه قائلة !

"حسناً لا تقف شارداً هكذا ... أذهب على الفور الآن لكى تحصل على صور شخصية لك ، وقبل أن تخرج غير منطالك هذا" .

لقد اندهش "جونتاروووه" من طلب أمه هذا بحتمية تغيير المنطال ، ولكنه حين نظر مرة أخرى إلى استمارة الشروط أدرك السبب حيث كان مكتوباً بها "تلزم صورتان ملتصقتان بالاستمارة للجسم كاملاً على أن يكون النصف العلوى من الجسم عارياً.

على أى حال فالخروج من البيت مهما كان سببه كان أرحم بالنسبة لـ"جونتاروووه" من البقاء فيه وألمن له ، فسارع "جونتاروووه" بتغيير منطاله بأخر نظيف ، وذهب من فوره متوجهاً إلى دكان التصوير .

وفى صباح اليوم التالى حين تجمع الثلاثة ، حكى "جونتاروووه" لرفيقيه "تاكاغى" " و "يامادا" أحداث الليلة الماضية ... فاندهش زميلاه مما سمعاه منه . كان "يامادا" على وجه التحديد يبدو قلقاً مما سمعه ، فقطب جبينه ... وبدت لـ"جونتاروووه" أنف "يامادا" أكبر وأكبر عما كان يعهدها من قبل ، وقال "يامادا" :-

"لا أحسبك ستطاوعها وتتقدم لامتحان تلك المدرسة البغيضة ... أليس كذلك"؟

"أبدا ... إننى انوى دخول امتحان تلك المدرسة ، فعلى أى الأحوال فإننى سوف أرسب حتى فى ذلك الامتحان ولن أدخل

تلـك المدرسـة فـي نهايـة الأمر ، إذن فليس هناك داع لأن أعارض رغبتها الآن" .

"ولكن افترض إنك نجحت فى ذلك الامتحان ، فماذا عساك تفعل"؟

"إذا نجحـت فسوف أدخل تلك المدرسة ، فحتى لو صرت فى التجارة البحرية فلن أعدو أن أكون فى النهاية أكثر من طاه على إحدى السفن البحرية" .

"هل أنت فى وعيك وأنت تقول هذا؟ يا لك من أحمق. أن اليابان ستخسر هذه الحرب إن اليابان لا تواجه الآن سوى دول الهند الصينية ، ولكنها لن تلبث بعد فترة قصيرة أن تجد إنجلترا وأمريكا تدخل أمامها فى مواجهة عسكرية عنيفة ... ولن يخلو الأمـر من انضمام ألمانيا إلى هذه المعمعة ، ومع هذا ألا زلت نائماً فى العسل وتتفوه بتلك السفاهات"؟

"حتى ولو حدث ذلك فما عساى أن أفعل حتى أغير من هذا الأمر؟ إننى لن أفعل أكثر مما سأفعله وما أفعله الآن حتى ولو انهزمت اليابان أو انتصرت".

"إن كلامك هذا لا يستطيع حتى الحمقى موافقتك عليه".

وبالـرغم مـن محاولات "يامادا" لإقناعه ، فكان يبدو أن "جونتاروو" غير مكترث على الإطلاق بما يقال له ، فعلى أى الأحوال لم يكن "جونتاروو" يتوقع أبداً أن ينجح فى أى اختبار فـي هذه المرحلة ، وكان أهون عليه أن يوافق أمه على رأى تقوله بأمن شرها من أن يختار أى حل آخر .

وحينما تسلم "جونتاروه" صوره الشخصية من محل الصور .. شعر بشعور جد كئيب . فقد كانت ملامحه فى تلك الصورتين المكبرتين بحجم الضعف عن الصور الشخصية العادية والتى أخذت واحدة منها من الواجهة والأخرى من الجانب ، توحى بشكل شاب كئيب همجى تم اصطياده من أعماق الأدغال . فقد كانت عيونه تبدو مذهولة مفتوحة عن آخرها فى شرود وبلاهة ، وكان صدره العارى يبدو هزيلا مستضعفاً ، أما سيقانه فكانت تبدو مقوسة لا حول لها ولا قوة كأقدام سرطان البحر بينما كانت مكبلة تكبيلا فى منطال جديد لا يليق أبداً بدمامتها ، وكان مظهره هذا فى الصورة يوحى بكآبته وقلة حيلته بشكل واضح لكل من ينظر إلى الصورة . كانت صرته فى هذه الصورة تبدو بارزة إلى الأمام فى شكل مقزز ، وكان مظهره العام . فى هذه الصورة لا يوحى أبدا بأنه متطوع للتجنيد من تلقاء نفسه، وإنما كان يوحى تماما بأنه أرغم إرغاماً على أخذ هذه الصورة مثل مجرم ذو سوابق أدخل السجن لتوه .

أخذ "جونتاروه" امتحان تلك المدرسة فى اليوم الأول من شهر حزيران (يونيو) وكان مكان الاختبار بمقر المدرسة فى حى "توسوكوجى أوداوارا" . ولم يكن "جونتاروه" حتى ذلك اليوم يتخيل شكل المدرسة التجارية البحرية هذه ، ومما أثار دهشته إن تلك المدرسة كانت تقع بالقرب من جسر "كاتشى

دوكى" الذى مر به مع "يامادا" و "تاكاغى" وهم فى طريقهم إلى حى "تامانوإي" منذ أيام!!

ولكـــن اندهاشه من هذا الأمر كان لا يزال بسيطاً بالنسبة لأمر آخر سبب ذهوله وحيرته فحينما أشرف على الدخول من بوابة المدرسة وجد "يامادا" ينتظره هناك ! فبادره "جونتاروو" متسائلا :-

"ما الذى جاء بك إلى هنا" ؟

وهنا لم يستطع "يامادا" أن يكتم انفعاله فضحك فى هستيريا وهو يقول :-

"لأننى أحسست بالشفقة عليك من حضورك هنا وحدك فقد قررت أنا أيضاً أن أدخل معك الامتحان" !

لـــم تكـــن تبدو على وجه "يامادا" أية علامة من علامات الاســـتهزاء المعهـــودة ، ومـــع هذا فلم يمنع هذا من أن يشعر "جونـــتاروو" بأن "يامادا" يهزأ به ، فانفعل "جونتاروو" وقال لـــ"يامادا" :-

"أليس هذا سخف منك؟ لقد وصفتنى مراراً بالحمق والغباء ... ثم بعد هذا تأتى إلى هنا وتقول إنك ستدخل الامتحان معى"؟

"لا تـــسئ فهمى ، إننى بعد إن تركتك وعدت إلى البيت ، تحـــدثت مـــع أبـــى بخصوص فكرتك فى دخول امتحان هذه المدرسة ، ففوجئت بأن أبى قد راقته فكرتك وضغط على لكى أدخل معك الامتحان".

"إذا كـــان الأمـــر كذلك فلماذ ظللت صامتا حتى الآن ولم تخبرنى"؟

"لأنى أردت أن أفاجئك".

شعر "جونتاروووه" ساعتها بأنه لا يعنيه أن يتأكد على وجه الدقـــة من نوايا "يامادا" التى جعلته يدخل الامتحان معه ، وما كـــان يعنـــيه فقط أن وجود زميل له يشترك معه فى الامتحان اللـــيوم هـــو أمـــر سيبث الشجاعة فى نفسه ويسليه فى وحدته ووحشته .

لقد لاحظ "جونتاروووه" أن الطلبة الذين تجمعوا اليوم لدخول الامـــتحان يختلفون فى شئ ما عن الطلبة الآخرين الذين تعود على رؤيتهم فى المدارس الأخرى العادية . لقد كان منهم كثير يضعون النظارات الطبية على عيونهم ، وحسب تفسير "يامادا" لهـــذا الأمـــر فإن هذه المدرسة كانت شروطها أهون بكثير من شروط اختبارات الهيئة لمدارس القوات البحرية الأخرى ، وقد أحـــس هـــنا "جونتاروووه" بأن "يامادا" اجتهد فى جمع معلومات كثيرة عن المدرسة وشروطها دون أن يعلم.

كان هناك ضمن من تجمعوا هنا بعض الطلبة الذين تعرف "جونتاروووه" بهم فى المدرسة التمهيدية وكانوا كلهم ممن رسبوا ســـنتين أو ثلاث سنوات . لقد كانت شروط السن بالنسبة لهذه المدرسة أبسط بكثير من شروط السن بمدارس البحرية الأخرى مـــثلها فـــى ذلـــك مـــثل شـــروط كشف الهيئة . وحين سأل "جونتاروووه" معارفه هؤلاء عن سبب اختيارهم لهذه المدرسة ،

علـم إن هناك الكثيرين منهم ممن كانت دوافعهم مماثلة تماماً للدافـع الـذى جعله يأتى إلى هنا ، لدرجة أنه كان هناك شاب مـنهم اقترب منه وقال له :- "حسناً" إن هذه آخر فرصة لك ، وعليك أن تبذل جهدك لكى تنجح هذه المرة" ، وكان ذلك الشاب قـد فعل ذلك حينما علم إن "جونتاروو" قد رسب ثلاث مرات متوالية! كان هؤلاء الطلبة ممن يستهدفون التخصص بهذا النوع بالذات من مدارس البحرية ، ولكنهم لم يكن يبدو عليهم الذكاء من وجهة نظر "جونتاروو".

حـين كـان "جونتاروو" يتأمل وجوه هؤلاء الطلبة راوده خاطـر ملـح جعلـه يتوقع أن ينجح فى ذلك الامتحان ، وهنا تـساءل "جونتاروو" فى قرارة نفسه عما عساه يفعله إذا نجح فعـلاً فى الامتحان ! لقد كان يحاول أن يقنع نفسه إنه حتى لو نجح فى الامتحان فلن يعدو مصيره أن يكون فى النهاية سوى واحد من الطهاة للجنود على إحدى السفن الحربية.

وفجـأة صم الآذان صوت نفير التجمع ، فانطلق عدد من جنود البحرية لكى يجمعوا الطلبة المنتشرين بالساحة وسلموهم لمجموعة من جنود الصف . وبعد أن ظل جنود الصف هؤلاء يـتأملون وجوه الطلبة بتعبيرات لم يستطع "جونتاروو" تفسير كـنهها عما إذا كانت نظرات غاضبة أم نظرات ساخرة ، قطع الصمت صوت واحد منهم وهو يزعق قائلاً :- "من الآن سيبدأ الاختبار".

وبعد مرور ساعة تقريبا من انطلاق النفير ، كان "جونتاروو" قد غادر بوابة المدرسة إلى الشارع ، وعندما وصل إلى جسر "كاتشى دوكى" إرتكن على حاجز الجسر وهو يشم نسيم النهر .

لقد بدأ الاختبار بفحص الهيئة ، فبعد أن تم قياس الأطوال والأوزان وعرض الصدر بعد ذلك فحص المناطق الحساسة من الجسم مثل فتحة الشرج وغيرها ، وبعد أن دخل الطلبة المتقدمون إلى داخل غرفة الكشف أخذ طبيب ضابط كان يجلس على دكة عريضة وهو يفتح ساقيه عن أخرهما يصرخ بصوت جهورى قائلا :- "أيها الحمقى ... هل تظنون إنكم بمناظركم هذه ستستطيعون حمايـة بلدكم كضباط بالقوات البحرية الإمبراطورية"؟

لقد شعر لحظتها "جونتاروو" بحماقة ذلك الضابط وسفاهته، فهل كان لذلك الضابط الحق فى أن يوجه تلك البذاءات والإهانات إلى طلبة متقدمين بإرادتهم وليسوا واقعين بالفعل تحت إمرته وتصرفه؟

وجاء أخيراً دور "جونتاروو" فى الاختبار.

حينما وقف "جونتاروو" أمام الضابط الطبيب بلجنة الفحص .. انتابه شعور مفاجئ بأن هذا الضابط برتبة النقيب يشبه ضابطا كان كثيراً ما يزور والده "جونكيتشى" ببيتهم فتخيل هنا أنه لن يكون بمستغرب أن يكون هذا الضابط هو بشحمه ولحمه الرجل نفسه صديق والده ، وبينما كان يجول ذلك

الخاطـــر برأســـه بدأ "جونتاروووه" يفك رباط سرواله لكى يقوم الطبـــيب بالكـــشف على أجزائه الحساسة . ولكن "جونتاروووه" فوجئ فى هذه اللحظة بأن الرباط قد تعقد فى بعضه ولم يستطع فكه . وبينما كان منهمكاً هكذا فى محاولة فك الرباط نزل على أذنيه كالصاعقة صوت الضابط الطبيب وهو يصيح غاضباً :- "إذا كان أمر ذلك الرباط اللعين يعوقك فاقطعه فوراً ... اقطعه فوراً".

ولكـــن "جونـــتاروووه" على العكس تمالك نفسه وتعمد عدم إطاعـــة الأمـــر واستمر فى محاولة فك الرباط بهدوء ... بينما ينظر شزرا إلى وجه الضابط فى تحدٍ واضح.

ولكـــن بعد أن انتهى "جونتاروووه" من تلك المرحلة وانتقل إلـــى لجـــنة اختـــبار القوة ، تعلق "جونتاروووه" بقضيب العقلة المـــستعرض وحـــاول أن يرفع جسمه حتى يصل برأسه إلى مـــستوى القـــضيب ، ولكـــنه شعر هنا بأن قوته قد خانته ولم يستطع ذراعاه أن ترفعا جسمه ، وهنا أقترب منه جندى الصف وصرخ فيه قائلاً :" ماذا حدث"؟

ثم قام جندى الصف بعد ذلك بفك يديه من العقلة.

كانـــت قواعد الاختبار تقضى بأنه إذا فشل الطالب فى أى مـــرحلة من مراحل الاختبار كانت تلغى بقية المراحل الأخرى وينتهـــى الامتحان بالفشل . حقاً لقد كانت تلك القواعد صارمة محكمـــة ! ولكن بعد أن خرج "جونتاروووه" من بوابة المدرسة وارتكـــن علـــى حاجز الجسر يداعبه النسيم أحس فجأة بالحنق

والغـضب يعتـريان صدره . فما الذى دفعه بحق السماء إلى تجـشوء العناء والمتاعب لكى يأتى إلى هنا ويتلطخ بعار كلمة "الرسوب" لقد شعر "جونتاروو" بأنه لم يعد يتحمل أن يكون بعد اليوم فى موقف المعرض للاختبار.

حينما كان "جونتاروو" عند عتبة بوابة المدرسة فى طريقه لخارجها همس له "يامادا" من مسافة قريبة "انتظرنى .. فسوف الحق بك بعد قليل".

ولكـن "جونتاروو" لم يكن يطيق أن ينتظر أكثر من هذا داخل ذلك المكان البغيض ، لقد كان يشعر لحظتها "جونتاروو" بأنه يريد أن يتحكم فى إرادته بنفسه.

حـين شـرد "جونتاروو" ببصره بعيدا فى النهر ... رأى قاربـا أبيض فى طريقه إلى الإقلاع . وكان ذلك القارب بمثابة محفز له لكى يشعر برغبة فى الانطلاق هو الآخر.

ولكـن ... تـرى إلـى أين عساه ينطلق ، إذا كانت هناك وسـيلة للخروج من اليابان والذهاب إلى مكان ما ... فلم يكن هـناك سوى أن يتلقفه الجيش ليجد نفسه فى أحد ميادين القتال خـارج اليابان ، وهنا تخيل "جونتاروو" صورة جندى هارب من الجيش . تخيل "جونتاروو" ذلك الجندى الوهمى وهو يسير وحـيدا فـى خـط مستقيم عند رصيف أحد الموانى التى يلفها الـضباب الكثـيف ، حيث لم يكن لذلك الجندى أب ولا أم ولا أخـوه ولا زوجة ولا حتى حبيبة ! وكان ذلك الجندى قد تجرد مـن جنـسيته ومـن واجـبه الوطنـى كمجند . حين وصل

"جونتاروه" بخياله إلى ذلك الحد ، شعر فجأة بإحساس بالجفاف الشديد في صدره . ثم عاد "جونتاروه" لكى يتشكك فى إحساسه هذا ليقنع نفسه بأنه يتخيل مشهداً للممثل "جان جابان" بأحد الأفلام ، وإن ما يجثم على صدره الآن لا يزيد عن شعوره بمدى سيطرة أمه عليه!!

لقد أخذ "جونتاروه" يسائل نفسه قائلاً :"لماذا لا أحاول أن أكون حراً؟ لماذا لا أعبر عما أريد قوله بوضوح وصراحة أكثر إذا كنت حقاً أتضرر من التقدم لهذه المدرسة، إذا كنت أكره هذه المدرسة فليس هناك ما يجبرني على أن أحضر بقدمي إلى هنا . إنني حتى ولو لم أدخل هذه المدرسة فهناك الكثيرون مثلى فى هذه الدنيا ممن يعملون ويتزوجون ويعيشون على هواهم وهم يتمتعون بحياتهم حتى يزورهم الموت ويأتيهم القدر . وحتى لو افترضت إننى لم أوفق فى تلك الحياة التى أختارها ... فيكفيني إنني سأختار مصيرى بنفسى وأكون مسئولاً عنه وحدى . وقد تكون هناك مأساة ما تقبع فى انتظارى وتتربص بى إذا سرت فى ذلك الطريق ... ولكن على أية حال يجب أن أقنع نفسى بأن ذلك المصير سيكون أهون عندى بكثير من رضوخى تحت سيطرة أمى وتحكماتها . ولكن ماذا عساى أن أفعل كى لحصل على حريتى وأفلت من قيود أمى" .

دارت هـذه التساؤلات برأس "جونتاروووه" وألحت عليه ، وفى النهاية وجد نفسه يجيب على نفسه قائلا :" نعم ... يمكننى أن أذهب إلى ذلك الحى"!!

بعـد أن قام "جونتاروووه" بقتل الوقت بالتسكع فى طرقات "أساكوسـا" حتى حلول الظلام ، أوقف إحدى سيارات الأجرة وانطلق بها مباشرة إلى "ذلك" الحى.

أفـاق "جونتاروووه" على صوت سائق السيارة الأجرة وهو يقول له :-

"هنا يا سيدى" .

وحيـنما غـادر "جونـتاروووه" السيارة ، وجد نفسه عند مفترق طرق تقع على جوانبه بعض متاجر المخللات والبقالة . لقـد شعر للوهلة الأولى بأن السائق قد خدعه وأن هذا ليس هو المكـان الـذى يقصده ... وأحس ساعتها بأنه يوشك على أن يصيح فى وجه السائق ، ولكنه بعد أن نزل من السيارة وعرج علـى إحـدى الطـرقات الجانبية التى يقع عند ناصيتها دكان للبقالة، وجد نفسه فجأة داخل الحى "اياه". لقد سمع صوتاً نسائياً يـنادى على أحد الزبائن ... ولكنه للوهلة الأولى شعر أن ذلك الـصوت لا يـناديه هو بالذات ، ولكنه فوجئ بالصوت نفسه يحذره قائلا :-

"أيهـا التلميذ ... أخلع قبعتك المدرسية بسرعة ، فلو رآك عساكر الدرك لاقتادوك إلى قسم الشرطة على الفور"!!

وبحـركة عفـوية خلع "جونتاروه" قبعته من فوق رأسه والـتفت إلـى مصدر الصوت ليجد وجه امرأة يطل من إحدى النوافذ ... وكانت المرأة تناديه إلى مكانها وهى تضحك . كان يتهـيأ له ساعتها أنه يعيش فى حلم ، ذلك لأن وجه تلك المرأة كان يشبه وجه ابنة خالته ... وكان أنفها الأحمر ذلك يشبه أنف خادمته!

وحيـنما اقترب "جونتاروه" من تلك المرأة ... فوجئ بها تصيح قائلة له : "أسرع إلى هنا" ، ثم قامت المرأة بسرعة من الـداخل إلـى بـاب ضـيق مجاور للنافذة وفتحته له ، فقفز "جونتاروه" على الفور إلى داخل الغرفة دون أن يفكر فى شئ لقد كان حال الغرفة مختلفاً تماماً عما كان يتخيله حين ينظر إلى المنزل من الخارج.

لقـد شـعر بأنه دخل إلى دكان للمرطبات يبيع الليمونادة والثلج!!

حيـنما أزاحـت المرأة التى ترشده إلى داخل المكان تلك الـستارة القـصيرة المنسدلة من العتبة العليا للمدخل ... وبينما كانت الحلى المعدنية الصغيرة المدلاة من أطراف تلك الستارة تصطدم ببعضها البعض محدثة رنيناً ، وجد "جونتاروه" نفسه يتبع المرأة إلى درجات سلم خشبية تؤدى إلى الدور العلوى ... فتردد "جونتاروه" للحظة وتساءل فى نفسه قائلا :- هل يحسن لى أن أتبع هذه المرأة حيثما تذهب"؟

ولكـنه فـى أثناء تردده هذه وجد أقدامه تقوده إلى الغرفة التـى أرشـدته إليها المرأة . وكانت تلك الغرفة معتمة يلوث

جـدرانها الـسناج الأسـود ومفروشة بالحصير القديم البالى ، وحيـنما كان يرشف الشاى الذى قدمته له المرأة ... فوجئ بها تقول له :- "حسناً ... عليك أن تحزم أمرك بسرعة"!

قالت المرأة له تلك الجملة وهى تدفع إليه بكفها المفتوح . حين تأمل "جونتاروووه" وجه تلك المرأة ... أدرك بان ملامحها تخـتلف تماماً عن ابنة خالته وعن خادمته أيضاً لقد كان كتفها نحيلاً ضعيفاً تبرز عظامه ، وكانت تبدو له تلك المرأة من عالم آخـر لا تنتمـى إلـيه بأى صلة . لم يكن "جونتاروووه" يعرف أجرتها واحتار فى أمره ، فدس يده فى الجيب الداخلى لعباءته وأخـرج عملة ورقية فئة من عشرة ينات وأعطاها لها ، وهنا تحولت تعبيرات وجهها فجأة وهى تقول له:- "شكراً جزيلاً يا سيدى "ثم أومأت برأسها تعبيراً عن الشكر وانطلقت إلى الدور الأسـفل وهـى تضع العملة الورقية فوق الصينية التى كانت تحملها بين يديها!

لقد انتاب "جونتاروووه" شعور قوى بالقلق وعدم الارتياح ، فقـد شك فى أن تكون المرأة قد خدعته وأخذت نقوده وهربت دون أن تقـدم له أى نوع من الخدمات . بل إنه شك فى أنه قد وقع فى فخ وصار حبيساً داخل تلك الغرفة الكئيبة.

ولكن المرأة عادت إليه بعد قليل وهى تقول :-

"مـاذا ... هـل مازلـت تنتظـر هنا؟ ... تفضل من هذا الطريق"!

قالـت لـه هـذه الجملـة بلهجة بها نوع من التدلل عليه وأرشـدته إلـى جانب من الغرفة حيث فتحت ذلك الباب البنى المحروق على مصراعيه ... لكى يرى داخل تلك الغرفة فراشاً نظيفاً مفروشاً على الأرض مغطى بملاءة ناصعة البياض . بعد أن قالـت المـرأة له "أنتظر قليلاً" ، بدأت فجأة تشرع فى خلع ملابسها ، ففكت أولاً النطاق الذى يلف خصرها ويربط الروب اليابانى التقليدى الذى تلبسه.

كان "جونتاروو" يقف مشدوهاً وهو ينظر إلى ذلك المشهد . لقد كان "جونتاروو" أثناء تلك اللحظات يحادث نفسه قائلاً :" هـا هـى المعجزة فى سبيلها إلى الوقوع ولكن المرأة لم تكمل خلع ملابسها ، بل دست يدها فجأة داخل روبها وهى تقف أمامه وأخذت تحركها بحركات سريعة متتابعة وهى تقول له:-

"أفعـل ذلـك دائمـاً قـبل الجماع ... فأنا مصابة بالبرود الجنسى"!!

بعد ذلك شدت المرأة قطعة صوفية سوداء من تحت طرف ردائهـا ، وبعد أن خلعت الرداء لاحظ "جونتاروو" بأن خصر المرأة ونصفها السفلى ممتلئان نوعاً ما مقارنة بكتفيها الهزيلين.

لقـد كـان "جونـتاروو" يتوقع كما لو كانت تلك المرأة ستفاجئه وتخرج له من تحتها قطة تقفز فى وجهه وكأنها ساحرة من السحرة!!

وفـى اللحظـة التالية اضطجعت المرأة على فراش النوم المفـروش علـى الأرض وهـى برداء الكيمونو المربوط من

الخصر بنطاق رفيع ، ثم فتحت المرأة ساقيها عن آخرهما وهى تعريه وتقول له:-

"هيا .. كن رجلاً وتعال إليّ"!

لكــن "جونــتارووه" ظــل يقف مشدوهاً وهو لا يستطيع الحراك . لقد كان "جونتارووه" يسائل نفسه خلال تلك اللحظات قائلاً :- "ترى هل هذا الشيء المسودُ الذى يقع تحت تلك البطن البيــضاء هو الذى كنت أحلم لسنوات طويلة أن أختلس النظر إليه"؟

لقــد كان ذلك الجزء الذى يراه أمامه الآن يبدو حقاً مقززاً منفراً .. ولكنه لم يشعر - على العكس إنه يشعر بالرغبة فى أن يشيح بنظره بعيداً عنه .

لقــد أفاق "جونتارووه" على صوت المرأة وهى تصيح به قائلة:-

"لمــاذا لا تخلــع سروالك؟ هيا ... إخلعه وأخلع ملابسك الداخلية أيضا"!

لقــد تذكــر "جونــتارووه" فى هذه اللحظة طبيب مدرسة الإدارة العــسكرية للقــوات البحرية ، ولكنه لم يشعر بأن لقاءه بذلك الطبيب كان صبيحة هذا اليوم .. وإنما أحس بأن ذلك كان منذ زمن بعيد قد يكون منذ عشر سنوات أو أكثر .

أمــا المرأة فقد بدا عليها الضجر وهى تلملم طرف ثوبها وتغطى ساقيها وتقول:-

"مـــاذا حدث بك؟ هل أسرفت فى الخمر قبل حضورك إلى هنا"؟

لقــد حاول "جونتاررووه" أن يستوقفها ويعيدها إلى الوضع الذى كانت عليه وهو يقول:-

"انتظري قليلاً".

ولكـــنه لـــم يعرف بعد كيف ينتقي الكلمات المناسبة لكى يخطب ودها ، وهنا جاءه صوتها فجأة بنبرة دلال يقول:-

"نعم نعم .. فهمت .. تراك من ذلك النوع الذى يحب تهيئة المـــناخ الرومانسى ، إننى أيضاً مثلك تماماً .. نعم إننى أكره المتسرع اللحوح"!

أحـــس "جونـــتاررووه" أنه مضطر إلى مسايرتها وموافقتها على تفسيرها فأومأ برأسه لكى يوهمها بصواب رأيها .. ولكنه بعـــد لحظـــات أحس بعدم ارتياحه لذلك فعاد يقول وهو يحاول إخفاء ارتعاش صوته :- "ليس بالضبط"! "ولكن .. أعتقد أنك لا تمانعين لو تركتنى أتأملك قليلاً"!

فردت المرأة ضاحكة بنبرة وقالت :-

"حسناً ... لا أمانع طالما لم تمد يدك وتلمسنى"

لقد بدأ يدرك "جونتاررووه" هنا أن هذه المرأة طيبة القلب .. حتـــى أنه أراد أن يستمع إليها لو فتحت له قلبها لكى تشكو إليه هموماً لها.

لقـــد قطع السكون صوت الجرس المعلق عند الباب بالدور السفلى وهو يرن ، فانبرت المرأة تقول:-

"ياله من مزعج حقاً ذلك الجرس ، لا محالة ... فقد انتهى وقتك .. تستطيع أن تزورنا مرة أخرى .. نعم سوف أغضب منك لو خلفت بوعدك ولم تحضر لزيارتي"!

لقد تظاهر "جونتاروووه" برضائه فأومأ برأسه مصدقاً على جملتها ثم شرع فى نزول درجات السلم وعند البوابة الخارجية انكفأت المرأة عند عتبة البوابة وهى تصلح له وضع الحذاء لكى يسهل عليه انتعاله ثم جلست المرأة على مقعد مجاور للمدخل بحيث صار ظهرها له وجهها أمام مرآه كبيرة فى صدر المدخل فحين خرج "جونتاروووه" إلى الطريق ونظر من خلال النافذة المفتوحة إلى داخل المكان ، التقت عيونه بهذه المرأة المنعكسة فى المرآة ، فلوح لها بيده وهو يقول :-

"سوف أحضر مرة أخرى"

وهنا جاءته جملة لم يكن يتوقعها .. فقد قالت له :-

"إننى أعتذر لك .. فأننى لم أقم بالواجب كما ينبغى".

إن "جونتاروووه" لم يكن يعى بالضبط كيف سار وإلى أين قادته ساقاه ، ولكنه بعد فترة وجد نفسه عند ساحل النهر، وتوقفت أمام عينيه حروف مكتوبة على يافطة تقول "جسر شيراهيغيه" لقد ساءل "جونتاروووه" نفسه قائلاً :- "ترى .. هل أحسنت التصرف"؟ ثم تمتم قائلاً : "هل استطعت بهذا أن أتحرر من قيود أمى؟ إن جملة المرأة الأخيرة "إننى لم أقم بالواجب كما ينبغى" تثير قلقى وحيرتى .. ترى هل تصرفت تصرفاً جرح مشاعرها؟ أم أن الذى حدث هو العكس من ذلك ؟".

وبينما كان "جونتاروه" يردد تلك التساؤلات فى نفسه ظل يواصل السير بحذاء سور أشجار الساكورا التى تكاثفت أوراقها وتشابكت غصونها!!

- انتهت -

WARUI NAKAMA
رفاق السوء

حين صارت أنباء الحادث السياسى العسكرى الكبير[1] الذى وقع بالقارة الصينية تأخذ شيئاً فشيئاً شكل ركن ممل من أركان الحياة الممل العادية اليومية كان حب الشباب الذى أنتشر بوجو هنا معبراً عن هويتنا كطلبة للمدارس العليا قد بدأ فى الزوال والاندثار.

الزمان هو أول إجازة صيفية تمر بى بعد أن تقدمت لألتحق بالسنة التمهيدية للجامعة . كنت قد اعتذرت لتوى لصديقى وزميلى فى الدراسة "كورانا شينغو" حين عاد للذهاب معه لقضاء إجازة الصيف ببلدته التى تقع بجزيرة "هوكايدو" شمال اليابان ولم يكن فى الواقع سبب اعتذارى هذا لوجود خطة معينة لدى لكى أقوم برحلة بديلة إلى مكان آخر ما ، ولكننى - وبغرض قتل الوقت والملل - صرت أتردد على فصل

[1] تدخل اليابان فى جنوب شرق أسيا .

الدراسات الحرة بحى "كاندا" بطوكيو لتحصيل اللغة الفرنسية . حتى كان ذلك اليوم حين دخلت إلى غرفة الدراسة كالعادة وهممت بالجلوس على مقعدى المعتاد، ولكننى وجدت مقعدى هذا محتلا بامتعة شخص ما ... وهو المقعد الذى كان يوجد بأول صف من الصفوف لم يكن على الإطلاق مقعداً مخصصاً بالذات لى أنا شخصياً ولكنى كنت أعتاد الجلوس عليه ... ولذلك فقد أزحت تلك الأمتعة ونقلتها إلى مقعد مجاور ثم جلست على مقعدى المفضل وبعد ذلك خرجت إلى الردهة الموجودة خارج غرفة الدراسة لكى أدخن السجائر ولكن بعد برهة حضرت المدرسة ودخلت إلى الغرفة ولذلك فقد أطفأت سيجارتى ودخلت بعدها إلى الغرفة ، فإذا بشاب قصير القامة شاحب اللون يجلس هناك محتلاً مقعدى!!

كان وجه ذلك الشاب نحيلاً ، وكان يرتدى قميصاً بدا لونه لى مثل لون مريلة المطبخ ، وكان يبدو من مظهره ضعيفاً قليل الحيلة ... ذلك مما أزاد من حنقى وشعورى ناحيته بمدى جرأته وسماجته . تعمدت أن أخطف كتابى من فوق الدرج الذى جلس هو أمامه وبقوة لكى ألفت انتباهه ... ولكنه لم يعرنى أى انتباه يذكر ، بل ظل يتصنع عدم إدراكه لوجودى شاخصاً ببصره إلى الأمام – بينما كانت أنفه تلك البارزة تبدو غير مناسبة لحجم وجهه النحيل ... مما جعلنى ذلك ازداد حنقاً وغيظاً منه ، ولما غلب على الأمر ... ابتعدت عنه وأنا أكظم غيظى وأخترت مقعداً هناك فى أقصى ركن الغرفة وجلست عليه .. وبعد فترة

بـدأت المدرسة تشرع فى حصر الحاضرين كان كل من يسمع إسـمه مـنا يجيب عليها قائلا بالفرنسية "PRESENT" وحين نادت مدموازيل "روفلوكر" الشقراء النحيلة قائلة "مسيو فوجى" بينما كانت ترمق وجوه الحاضرين بعينها من خلف نظارتها ، وقف ذلك الشاب ذو القميص الأزرق فجأة صائحا بصوت عال قائلا بالفرنسية "جيه فوو رويون" بينما كان يتعمد وضع فواصل بين كل كلمة وأخرى ، ثم عاد وجلس إلى مقعده بحركة أنثوية مـصطنعه ، فأحـدث بذلك موجة من الهمهمة بين الحاضرين قطعت الصمت والسكون اللذين كانا يخيمان على الغرفة ، فبدا لـى ذلـك الـشاب الـضئيل من الخلف يجلس مكورا ظهره كعصفور صغير مرتعد فوق جذع شجرة بينما أحمر خلف أذنيه بشده ، فلم أشعر بنفسى الا وأنا أهمهم قائلا (ياله من أخرق)!

لقد علمت فيما بعد من ذلك الشاب الذى كان يدعى "فوجى إى قوما هيقو" بأنه كان يتعمد لفت انتباه المدرسة إلى وجوده ، وكان هذا مما أثار دهشتى منه لقد كانت الآنسة "روفلوكر" تلك فـى الخامسة أو السادسة والثلاثين من عمرها.. وكانت امرأة قبـيحة بغيـضة الطـباع . وفى يوم من الأيام وأثناء عودتى بالقطـار بعـد انتهاء أحد دروس اللغة الفرنسية ، تصادف أن ركب معى فى نفس القطار ذلك الشاب النحيل . على الرغم من أننـى كنت أبغضه وأتعمد تجنبه ، إلا أنه حين لاحظ جلوسى بعـربة القطار فقد أبتسم لى من بعيد حين رآنى ثم أقترب منى وأخـذ مكانا له بجوارى. وهنا أحسست فجأة برائحة فجة تفوح

مـنه وتـستثير خياشيمى وعلى الرغم من ازدرائى له فقد بدأ يوجه لى الحديث بطريقة كما لو كان صديقا ذا معرفة قديمة بى وبينما كان يحدثنى كان يحرك جسمه كله فى حماس وانفعال ، وكلما كان يرفع يديه ويحركها فى الهواء كان يظهر كم قميصه مـن تحـت سترته اسود قذرا وتفوح من تلك الرائحة البغيضه المزكمة للأنوف .. وبينما كنت أتمنى قدوم اللحظة التى ينهض فـيها من جوارى ويبتعد على ، جاريته رغما عنى فى الحديث قائلا "أين بيتك"؟ فأجاب قائلا" فى "شيموكيتازاوا" ولسوء الحظ كانت تلك المحطة تقع قبل المحطة التى أنزل فيها مباشرة.

لقـد علمـت من ثرثرته الطويلة إنه ولد وتربى بمحافظة "شيغي" بشبه الجزيرة الكورية [٢] وإنه يقطن حالياً وحده بشقة صـغيرة يملكها أخ أكبر له يدرس بكلية الطب يقضى أجازته الـصيفية حالياً مع الأسرة بشبه الجزيرة الكورية ، وإنها المرة الأولـى له التى يزور فيها العاصمة "طوكيو" وإنه حالياً ملتحق بإحـدى المـدارس الـثانوية بمحافظة "كيوطو" غرب اليابان وغيرها من الأمور وكنت كلما تبادلت معه الحديث يقترب منى أكثـر ويحـتك ساقه بساقى .. فتفوح منه رائحة البصل النفاذ لـتعود وتزكم أنفى . وبعد فترة من تبادل الحديث معه وجدت شعورى بالعداء والكراهية نحوه منذ أن احتل مقعدى فى الفصل يختفيان شيئاً فشيئاً ... وصرت لا يشغلنى أمر سوى تجنب تلك الرائحة العفنة التى تصدر منه وحين صرنا على مسافة محطة

[٢] كانت شبه الجزيرة الكورية تحت الاحتلال اليابانى .

واحدة من "شيموكيتازاوا" ، غير "فوجى إى" فجأة مسار حديثه وباغتنى بسأل : هل تعرف من هو "كورت وايل"؟

لقد دغدغ ذلك السؤال فضولى واهتمامى حيث لم يكن هناك أفضل عندى من الإجابة عن أسئلة من هذه النوعية فى تلك الفترة من الزمن ، فانطلقت أجيبه عن هذا الشخص الذى كان يؤلف نوعاً من أنواع الأوبرا . وهنا تحولت دفة الحديث فجأة حيث صار للمرة الأولى مستمعاً إلى وبالتالى زادت حركات جسمه المبالغ فيها والتى كانت تنم عن شغفه واهتمامه الشديد بالموضوع . لقد كان يهز رأسه فى حركة عصبية ويومئ بها إيماءة شديد كلما أنهيت مقطعاً من مقاطع الحديث .. وكان يقترب منى شيئاً فشيئاً حتى كادت أذنه تصطدم بفمى – والغريب فى الأمر إننى فى تلك اللحظة لم أعد أشعر برغبتى فى تجاهله وتجنب الحديث معه ، بل أننى وجدتنى أحدثه عن الفنان "بول فوو" وعن مجموعة صور الإعلانات عن الأوبرات المختلفة والتى كنت أتفاخر بأننى استطعت تجميعها أثناء فترة دراستى بالمدرسة العليا . بل وجدتنى أدعوه إلى النزول معى والحضور إلى بيتى لكى أريه تلك الصور بينما كان على وشك مغادرة القطار للنزول فى محطته ، ولكننى فوجئت بإجابة غير متوقعة قائلاً : "إننى أشعر بالخجل من دعوتك هذه لكى أذهب معك إلى بيتك "لقد قال هذه الجملة بينما احمرت وجنتاه وأحمر جفناه خجلاً وحياء وهو يبتسم ابتسامة خجولة تنم عن طبعه الواهى الضعيف ، ثم قال لى فجأة :"بدلاً من هذا ... ألا تأتى

لتزورنـــى فى غرفتى ... إنها هنالك "وأشار بإصبعه من النافذة إلـــى أحد المنازل المجاورة للمحطة وبينما كنت أشعر بالدهشة مـــن سلوكه هذا وجدتنى أعتذر له متحججاً بأننى سوف أزوره فى وقت آخر.

إننى لم أكن أشعر بوعدى له بالزيارة بأنه على قدر ما من الجدية.

وحينما عدت إلى البيت وجدت هناك ابنة خالتى التى كانت تـــسكن بمنطقة "دن إن تشووفو" تقوم بزيارة لنا . لقد صارت إيـــنة خالتى تقل من زيارتها لنا بعد أن تمت خطبتها فى الفترة الأخيـــرة . ولقـــد صارت إينة خالتى هذه تبدو فى عينى أكثر أنـــوثة بعـــد أن تمت خطبتها أكثر مما مضى : لقد كنت أتعمد إغاظـــتها بتقليدى لخطيبها القادم من أرياف منطقة شمال شرق الـــيابان فى طريقة كلامه باللكنة الريفية وطريقة أكله الهمجية وطـــريقة إلقائـــه الريفية للتحية وذلك بقيامى بحركات كوميدية اســـتفزازية . وكنت كلما استفيض فى تقليده. كلما كانت تظهر الامتعاض والحنق على وجهها مغلوبة على أمرها ومتسائلة فى نفسها عن سبب تحاملى عليه وفى اليوم التالى وحين ذهبت إلى درس اللغة الفرنسية، فوجئت بـــ "فوجى إي" وهو يعدو نحوى فـــور دخولـــى غـــرفة الدراسة وبادرنى بقوله :"لماذا لم تأت لزيارتـــى الـــبارحة" ولكنـــى ظللت صامتاً دون أن أجد إجابة فاسترســـل فـــى كلامـــه وهو ينظر ملياً إلى وجهى قائلاً "لقد اشتريت تفاحاً وموزاً وظللت أنتظر حضورك "ولسبب ما كانت

طريقة لومه لى ونظرته إلى مبعثاً للسخرية والضحك ، ولكنى بطريقة أو بأخرى استطعت كتم ضحكى . لقد أدركت لحظتها شيئاً ما لم أكن أنتبه إليه أشعر به من طريقة نظرته تلك ، فبينما كنت أبحث عن إجابة على سؤاله أدركت فى نفسى للمرة الأولى إننى قد خلفت وعداً لصديق لى بسبب فتاة ما.

ولأننى لم استطع ذكر الحقيقة له فقد تحججت قائلاً "لم استطع ترك المنزل بسبب مرض أمى "وربما كان تعمدى الكذب عليه وشعورى بالذنب من جراء ذلك هو الذى دفعنى هذا اليوم إلى أن أمر بشقته وأنا عائد من الدرس . والأمر الغريب إن تلك الرائحة الفجة التى كانت تزعجنى والتى كانت تفوح منه لم أشعر منذ ذلك اليوم بأننى أشمها مطلقاً.

ومنذ ذلك اليوم الذى زرته فيه تحولت علاقتنا فجأة إلى علاقة قوية حميمة لقد كان غياب أبى عن البيت وعن أسرتنا هو أكثر الأمور التى جعلته يشعر بالراحة والحرية فى مصاحبتى . ولقد كانت طريقة "فوجى إى" فى العيش وحيداً فى غرفته حيث تصطف دواة الحبر وقبعة المدرسة والكتب جنباً إلى جنب مع مقلاة البيض وبراد القهوة هى التى جعلتنى أشعر باهتمام وفضول بالغين به.

كنت حين أزور "فوجى إى" فى الصباح الباكر أجده يبرز من تحت الملاءة المنكوشة التى يتغطى بها ثم يفاجئنى فور دخولى مادا يده ناحيتى طالباً منى أن أعطيه سيجارة . وحين

كـنت أصـنع فى يده السيجارة وعلبة الثقاب كان يفتح عينيه المنتفختين قليلا وينظر إلى بينما يقهقه ضاحكا . وفى مثل ذلك الموقـف ودون أن أشعر – كنت أطابق وضعه هذا فى مخيلتى بمشهد عاطفى رومانسى فى فيلم أو رواية رومانسية عدا شكل أنفه الكبير جداً الذى كان لا يتلاءم لحجمه مع ضآلة جسمه ... فقـد كـان وجهه وسيماً وعيناه كبيرتين واضحتين . وكأنى لا أعنـى بهـذا فأننى كنت أعتبره ضعيفاً واهناً ، فقد كان بداخله نـوع مـن الـصلابة والعناد لا أجدهما بداخلى ... وكان ذلك الإحـساس ينتابنى حين الحظه يتبادل الحديث مع مالك المنزل الـذى يـسكن بـه ومـع جيرانه وغيرهم . وكان "فوجى إى قوماهـيقو" يستطيع أن يأكل فى نهم وجبة السمك فى المطاعم الفقيـرة بينما يتسابق عدد من الذباب على الوقوف فوق صحنه دونما أن يلتفت إلى ذلك الذباب أو حتى يشعر بالقرف منه ... والحق إننى كنت مشدوداً إلى شخصيته من عدة زوايا إلا مسألة الذباب هذه التى لم أكن أرتاح لها.

تـوطدت علاقتنا كثيراً إلى أن جاء ذلك اليوم الذى لم أجد مناصاً فيه من الشعور بصدمة شديدة من مفاجأة فى سلوكه لم اكن أتوقعها .

كـنا نـسير سـويا فى أحد شوارع العاصمة .. ولا أذكر لحظتها من كان الذى بادر منا بقوله إن الجوع ينهش بطنه . لم أشعر بنفسى إلا وأنا أتبادل معه المشاورة لتنفيذ فكرة الأكل فى مطعم ما ثم الهرب دون دفع الحساب .. وهذا من الشعور الذى

ينبع من مزاج خيالى أعتقد إنه شعور ملازم – معتاد بشكل طبيعى مع الصداقة الحميمة.

بعد فترة من المشى فى الطريق الرئيسى عكفنا على شارع ضيق جانبى ، وحين كان يقوم "قوما هيقو" بدفع باب أحد المطاعم ويدخل إليه وأنا خلفه همس إلى قائلا "أنفعلها معا" ولكنى فى تلك اللحظة لم أكن آخذ كلامه مطلقا على محمل جاد.

إذا أصدقت القول فإنه حتى مجرد تناول الطعام فى مطعم خارج بيتى كنت أعده ضمن مغامراتى المحدودة ... فما بالك بمسألة الأكل والشرب هذه دون دفع الحساب ومما زاد من رهبتى وخوفى إن المطعم الذى اختاره "قوماهيقو" لم يكن من ذلك النوع من المطاعم الفقيرة الحقيرة ، وإنما كان مطعماً فاخراً يحتار فيه المرء حين تقدم إليه الفوطة فلا يعرف أن كان يجب عليه أن يدفسها فى ياقة قميصه ويغطى بها صدره أم يفردها على فخذيه .. وهى المشكلة البسيطة التى كانت فى حد ذاتها قد تتسبب فى اضطرابى وتلف أعصابى.

لقد كان المطعم مزدحماً للغاية ، وكان النذال يتحركون بين المناضد هنا وهناك بخطى سريعة – ولكنها منتظمة فى نفس الوقت – وهم يحملون الطلبات وكأنهم فراشات بيضاء طائرة!

كنا قد اخترنا منضدة تقع فى أحد أركان المطعم يظللها أصيص زرع به شجرة نخيل قصيرة وارفة الأوراق وطلبنا طبقين فقط . وحين انتهينا من الطعام بادرنى "قوجى إى قوما

هـيقو" قـائلا" هل أنت مستعد"؟ وبينما كنت شاردا فاغرا فمى أمامـه لم أشعر بنفسى إلا وأنا أجيبه "نعم" وهنا جذب "فوجى إى" نحـوه فـرعا من الشجيرة وأشعل نقابا ثم أضرم النار فى ذلـك الفـرع! وفجـأة توهجت الشجرة أمام عينى ، وفى لمح البـصر اسـتحالت الشجيرة إلى كتلة من النار وارتفع عامود طويل من اللهب ، وهنا صار هرج ومرج وفوضى كبيرة داخل المطعـم وحين نهض الزبائن كلهم من مقاعدهم وبدأوا الأعداد للهرب .. كان المكان كله قد صار فى حالة حادث حريق فعلى. ولـم أفق أنا الذى مازلت جالسا على مقعدى فاغرا فا هى من فـرط الدهـشة إلا على حركة "فوجى إى" السريعة وهو يركل الكرسى الذى كنت أجلس عليه بعيدا فى نفس الوقت الذى همس لـى فـيه بكلمات ما فى أذنى لم أتبينها بسبب صوت ارتطام وجدتنـى أنطلـق خلف "قوماهيقو" الذى كان يندفع بكل سرعة مـزيحا كل شئ فى طريقه وهو يتجه نحو باب المطعم. كانت كل الأحداث التى مرت سريعا قد تجاوزت بكثير كل ما تخيلته، وكان الأمر مفاجئا لدرجة إنه كان يبدو لى من بدايته إلى نهايته وكأنـه حلم عابر وليست حقيقة واقعة . ولكن ما أدهشنى أكثر من هذا هو أننى اكتشفت بعد فترة من العدو هربا فى الطرقات الجانبيـة المـزدحمة أننى كنت أعدو وحدى وإننى فقدت أثر "فوجـى إى قوما هيقو" دون أن أشعر !! لقد توقفت أنهج بشدة مـن كثـرة العدو ومن فرط رعبى وخوفى حين وجدت نفسى وحدى ... أضف إلى ذلك إثارة المغامرة نفسها؟

وبينما كنت أرغب فى البحث عن "قوما هيقو" كنت فى نفس الوقت أشعر بالرغبة بالاستمرار فى العدو والهرب، وفى النهاية أسقط فى يدى ولم أدر كيف أتصرف .. فصرت أسير مسرعاً على غير هدى أجوب الشوارع والطرقات .

كان رصيف الشارع الإسمنتى يعكس أشعة الشمس الحارة، وكان العرق يتصبب من ظهرى وصدرى ومع ذلك فقد كان جسمى نفسه بارداً . كان القلق والخوف قد بدأ يحاصرانى ... وكان الشعور بالخطيئة ينجح فى السيطرة على . ولكنى فى هذه اللحظة لمحت "قوما هيقو" بعيداً هناك وهو يسير فى اتجاهى بالشارع الرئيسى بينما كانت تغطية أشعة الشمس وهو يرتدى قميصه الأزرق الواسع المعتاد .. وفى تلك اللحظة تحولت كل أحاسيسى السابقة إلى إحساس ملئ بروح نشوة البطولة والانتصار ، فرفعت صوتى مناديا "قوما هيقو" وقائلا "أووه" بينما أشعر بالرغبة فى معانقته . ومن فرط انفعالى واستثارتى لتلك المغامرة الجريئة فقد شرعت على الفور فى أن أحكى له ما مر بى منذ أن فقدت أثره وحتى وجدته أخيراً ، ولكنى توقفت فجأة عن الكلام حين وقعت عيناى على لفة كبيرة من الورق كان يمسك بها بإحدى يديه ... وسألته على الفور "ما هذا" فأجابنى وهو يتململ وبصوت خفيض قائلا" إنها من خلطة فول الصويا وبعض النواشف و .." حقاً لقد عجبت من أمره وبروده فى تلك اللحظة . نعم بعد أن قمنا بهذه المغامرة المرعبة مباشرة" لم يغفل "فوجى إي" شراء ما نحتاجه لطعام

العشاء من أحد محال البقالة . لقد قوض سلوكه هذا حميتى وإثارتى فى لحظة واحدة . فبالنسبة لى فإن ما قمنا به من سلوك كان مادة لمغامرة شيقة .. بينما كان يبدو ذلك بالنسبة له مجرد سلوك عادى كأى سلوك آخر فى حياته اليومية!!

لقد كنت أتخيل أنه بسبب ما اقترفناه من فعل فقد تلقى هؤلاء النذال فى المطعم جزاءاً مجحفاً جعلهم مضغوطين فى العمل أكثر من ذى قبل وافقدهم هيبتهم ، بينما كانوا حتى الآن متمتعين متباهين بأنفسهم أمام الزبائن... وبالتالى حولهم ذلك الحادث إلى الشعور بالحنق والغيظ وإرادة الانتقام مما تسبب لهم فى ذلك .

وفى يوم من الأيام حيث كانت إجازة الصيف قد شارفت على الانتهاء فوجئت حين دخلت غرفة "فوجى إى" بأنه كان مشغولاً بعمل بعض التركيبات عند نافذة الغرفة بينما استحال المكان إلى ورشة صغيرة للعمل تتبعثر بأرضيته شباك السلك والمسامير والمفكات وغيرها من الأدوات . لقد أخبرنى "فوجى إى" بأنه يقوم بتكوين منظار للمراقبة يعده من خلال تركيب عدة مرايات تستخدم فى حلاقة الذقون – وذلك لكى يكشف ما يدور بداخل غرفة الحمام للشقة التى تقع هناك على زاوية تبعد بعض الشىء عن شباك غرفته !

إننى لم أشعر بنفسى إلا وأنا اصدر صرخة دهشة وإعجاب عالية من فرط ما تفتق عنه ذهنه من فكرة رهيبة لم أكن أتوقعها على الإطلاق . وبينما كان فوجى إى" مستغرقاً فى

عملة سألنى قائلا : "ألم يكن عندك فى بيتك مرآة أكبر قليلاً من هـذه المرايات " ، فأجبته وأنا فى غاية الحماس "بالطبع عندى" ثـم انطلقـت مسرعاً خارج غرفته لكى أحضر تلك المرآة إليه وعند عودتى إلى غرفته وجدت أرضية الغرفة قد صارت خالية من المسامير والمفكات ووجدته جالساً مسترخياً فى شكل يوحى بأنه كان قد أنتهى بالفعل من أداء مهمته !

ولذلك فإننى لم أجد بداً من أن أضع تلك المرآة جانباً وأقوم بضبط المرايات العاكسة التى كان قد انتهى من وضعها .

وهـنا قـال "فوجـى إى" "لا تتعب فمهما فعلت الآن فلقد صـارت الدنيا ظلاماً ولن نستطيع الليلة رؤية شئ" ... وكانت نبـرته مليـئة بالبـرود والاستخفاف . ولكن ذلك جعلنى على العكـس أشـعر بالحرقة ... فقلت" ولو ... فلأقم وحدى بإكمال المهمة وأثبت له قدرتى على أن أفعل شيئاً" ... واستمررت فى عملى صامتاً.

ولكـن مع سرعة الشمس فى الغروب وازدياد الظلام شيئاً فـشيئاً . ضـعف الانعكاس بالتالى من المرايات . وصار ذلك الحمـام صـعب الرؤية مع إضاءته الضعيفة ، ولم نصر نميز شيئاً من ذلك الحمام سوى إنه يوجد شخص ما يتحرك داخله . ومـع عـنادى وإصـرارى استمررت فى عملى أحاول تثبيت وضع المرايا وهنا استوقفنى صوت "فوجى إى" وهو يستفزنى قائلاً بينما كان يضطجع على الأرض "هل تريد التلصص إلى هـذه الدرجـة" فرددت عليه قائلاً "بل إننى أريد أنا أن أسألك

نفسى السؤال "ولكن فوجى إى" ضحك بصوت عال مقهقها وهو يقول "أنا !! "ولكنى مع ذلك استمررت فى تضييق الخناق عليه، فأجابنـــى قائلا ، "حتى يومين أو ثلاثة أيام مضت كان الحمام المواجه مباشرة لنافذتى مكشوفا تماما لى ولكن نافذته للأسف قد أغلقـــت بالـــضبة والمفتاح" فقلت وأنا اشتعل غيظا : "ولماذا لم تخبرنى من قبل بهذا الأمر"؟ ففوجئت هنا بـــ"فوجى إى" يضع ساقا على ساق ناحية وجهى وهو مازال مضطجعا هناك على الأرض ويقول لى وهو يضحك ضحكته الخافتة المستقرة تلك" "للأسف لم اكن أستطيع أن أخبرك بهذا الأمر وخاصة "لشخص مثلك" .

وبخاطر سريع أدركت لأول مرة لحظتها بأن "فوجى إى" له تجارب مع النساء ، ومنذ لحظتها أيضا تغيرت نظرتى تماما ناحـــية .. فقـــد اتسعت أمام عيونى فجأة مساحة كبيرة لم أكن أعـــرفها من شخصية "قوما هيقو" الذى كنت أتوهم إننى أعرفه تمامـــا . ولذلك فقد وجدتنى ألتزم الصمت تماما أنتابنى شعور مفاجئ بأننى ضللت طريقى إلى منزل ما أجهله تماما.

الحـــق إننـــى كنت أشغل نفسى بالتفكير فى النساء . كنت دائمـــا أتخـــيل نفسى فى حلم مستقبلى أكون بطله .. حيث أجد نفـــسى باســـتمرار وبجانبـــى امرأة ما أخوض معها مغامرات جنـــسية مختلفة ، وبالرغم من ذلك فإن هذا كله كان ضربا من الخيال ... ولم أفكر أبدا بهذا الأمر تجاه أمرأة معينة أعرفها فى الواقع أى أن المرأة بالنسبة لى كانت مخلوقا يقبع فقط فى عالم

الخيال البعيد تماماً عن واقعى فالعديد من بنات خالتى وعماتى كن لا يدخلن فى عالم خيالى هذا ... كذا كل النساء اللاتى كنت أصـــادفهن فـــى الباصات أو القطارات أو فى الطريق لم أكن أتخـــيلهن بهـــذه الصورة .. بل كن جميعاً فى عالم بعيد عنى يفصلنى عنه جدار عال شفاف غير مرئى.

هنا وفى هذه اللحظة شعرت بالهوة السحيقة التى تفصلنى عـــن "فوجـــى إى" هـــذا الذى يرقد على الأرض بالقرب منى واستحال "فوجئ إى" كائنا آخر جاء إلى من بلاد المجهول.

بعد عودتى للبيت هذه الليلة لم استطع النوم ، وصرت أفكر دائمـــاً فـــى ذلك الأمر . لقد أحسست تلك الليلة بإعجاب كبير بـــ"قوما هيقو" حيث أننى خضت تجربة كبيرة بسببه لم أخضها مـــن قـــبل وذلك فى الفترة القصيرة التى تعرفت خلالها به فى إجـــازة الصيف هذه . ولكن هذه التجربة جعلتنى أراجع نفسى مرة أخرى فى أمور عدة وأنا أغالب النوم تلك الليلة . فإن عدم استطاعتى دخول تلك المطاعم الصغيرة الفقيرة لم يكن بالتحديد بسبب خوفى من المرض من المأكولات التى كانت تقدم فى تلك المطـــاعم .. وإنما كان بسبب الجو الكئيب المقبض الذى كان يـــشيع من تلك الأماكن، كذلك نفس الحال بالنسبة لبيوت البغاء والـــدعارة .. فلـــم أكن ما أخشاه بالضبط هو الإصابة بمرض جنـــسى مـــا أو بسبب أخلاقيات معينة أكثر منه بسبب أن عالم المرأة ذلك كان عالماً بعيداً كل البعد عن تفكيرى بحيث جعلنى ذلك أتجنب التفكير دائماً فى المخاطرة بالعبور إليه .

وكمـــا تـــبدو المرأة حين تقع فى الغرام ذات سحر غريب وجاذبية آخاذة ، فقد بدا لى "قوما هيقو" إنساناً ذا قدرات خارقة: لقـــد صارت كل دقائق حياته الشخصية وتفاصيلها تنعكس فى عينـــى زاهية متوهجة . وكما يلعب الأطفال الصغار بالبيادق الصغيرة فى ماكينة الأورغول وهى تتحرك مع الموسيقى ... فمن نفس المنطق كنت أشاهد النساء واتخيلهن من خلال "قوما هيقو" ومنذ اليوم التالى كنت أتحايل فى حديثى مع "قوما هيقو" كى أسمع منه مغامراته النسائية ولكن "قوما هيقو" بدهائه وخبثه كان يحول دائماً مجرى الحديث فيوقعنى أكثر وأكثر فى الحيرة والتخـــبط . ومع ذلك لم تكن لى القدرة على إجباره على كشف مـــا يخفيه منى ، إلى أن جاء اليوم الذى علمت منه إنه سيعود فـــى اليوم التالى إلى مدرسته بمدينة "كيوطو". لقد صار "قوما هيقو" يحكى لى عن مغامراته بينما كنا نسير ليلاً فى الطرقات، وقـــد كانت المرة الأولى التى اشعر فيها بوضوح بتبعيتى له . قال "قوما هيقو" إنه ليس شيئاً ذا بال كما تتصور ، ولذلك فمن الأفـــضل ألا تخوض فيه لأن الأمر سينتهى إن آجلاً أو عاجلا بالـــندم والحسرة" . وقد كان يتكلم كما لو كان يسدى نصحاً لى ويعطينـــى درساً فى الحياة ومع ذلك فقد ذهب إلى أماكن البغاء عدة مرات منذ زيارته لطوكيو – دون أن أشعر أنا بذلك .

ثم جاء الخريف .

بـــدأ الفـــصل الدراسى الجديد ، وحين عاد من "هو كايدو" صديقى وزميلى "كوراتا شينغو" فوجئ بما صار عليه حالى من

تـبدل وتغير . فقد بدا له أسلوبى فى الحديث ولمحاتى ولفتاتى وكـذلك محتوى حديثى شيئاً جديداً تماماً لم يعتده فى من قبل . وعلى العكس فقد أحسست بصديقى الحميم وزميلى فى الدراسة هـذا وكله مجرد جواد من الجياد. لقد صارت عاداتى القديمة معـه فى الاستماع إلى اسطوانات السيمفونيات والهيام بها ... كذلك صارت أحاديثه عن مهاراته فى التنس وفخره بها مجرد تفاهـات مملة . لقد كنت استمع إلى حديثه وهو منهمك يحرك رقبـته الطويلة فى حماس ونشوة دون تركيز ودون أن تستقر كلمـة واحـدة مـن كلماته فى رأسى . وحين لاحظ "كوراتا" ردودى الـباردة علـيه أخذ يحملق فجأة فى وجهى بينما كان وجهه الطويل النحيل هذا يلتصق بى . توقف "كوراتا" تماماً عن الحديث وهو يهمهم . وبالتالى التزمت أنا أيضاً الصمت . وهنا أحسـست فجأة برائحة التبن اليابس تفوح من خلال كم قميصه الصيفى: كانت تلك الرائحة توحى لى بأنها رائحة الأعذر الذى لم يعرف النساء بعد .. وتذكرت لحظتها أول رائحة شممتها من "فوجى إى" فتلك الرائحة الأخرى لا شك أنها كانت رائحة الذى فقد عذريته وعرف النساء .

إذا كـان الأمـر كذلك فترى ماذا عن رائحتى ، وإلى أى العالمين تنتمى؟ ، ومنذ اليوم التالى صرت أحمل قدميَّ إلى دار للغانـيات يقع على الناحية الأخرى من النهر ، وهى تلك الدار التى قرأت عنها فى إحدى الروايات المنشورة بمجلة ما .

لقـد أحسست بأن الدور قد جاء على "كوراتا" لكى تصيبه دهـشة مشابهة للدهشة التى تلقيتها من خلال علاقاتى بـ"قوما هيقو" .

لقد بدأت أطبق نفس الكورس الذى جربته مع "فوجى إى" خـلال إجازته الصيف بنفس تفاصيله مع "كوراتا" وأنا متعمد أحـياناً ... وغيـر متعمد أحياناً أخرى .. الأكل فى مطعم ما والهـرب دون دفـع الحـساب ... السرقة ... التلصص على الحمامـات ... الـخ ولكـن سـلوكى هذا كان يشوبه نوع من الإسراف والمبالغة وكـأنه نوع من الانتقام من "قوما هيقو" أو منافسته ، ولذلك لم أكن أشعر بالارتياح ألا لو أجبرت "كوراتا" علـى أن يـصاب بالحيـرة فـى أمره والاهتزاز فى مفاهيمه وشخصيته.

فمـثلاً ... فيما يخص موضوع الأكل والهروب دون دفع الحساب ، فقد كنت أفعل ذلك الأمر مع "كوراتا" دون أن انبهه مـن الـبداية إلى ذلك ، وكنت أفاجئه بأن أسرع بالهرب لكى يضطر إلى أن يعدو خلفى دون أى تفكير .

كانـت الحادثة التى شعرت فيها بأننى انتصرت انتصاراً تامـاً هـى عندما اختطفت ملعقة من أحد المطاعم الكبيرة من شـوارع حى "غينزا" وانطلقت أعدو خارج ذلك المطعم . فبعد تلك الحادثة شعرت بالنشوة لأن "كوراتا" أخذه العجب وبالتالى الإعجـاب مـن تصرفى الجرىء هذا . لقد كانت الملعقة التى سرقتها ذلك اليوم ذات تصميم فريد من نوعه ولا تجده إلا فى

ذلـك المطعـم ، والحق أننى سرقتها لأننى أعجبت بها كثيراً ولـذلك فقـد دفـستها فى جيبى ونحن على وشك الخروج من المطعـم معتقداً بأن أحداً ما لم يلحظ ذلك ، ولكن ناذل المطعم تعقبـنا بعد الخروج من المطعم ونادى على قائلاً : لو سمحت أنى أعتقد إنك أخذت ملعقة معك ... أليس كذلك "ولكنى لم أهتز والتفت إليه متباطئاً وأنا أقول له بإتزان : أيضايقك هذا ... لقد أعجبتنـى "ثـم أخرجتها من جيبى ورفعتها فى وجهه . وهنا اضطرب الناذل ورفع يده مشوحاً وهو يقول "لا أبداً تفضل" ثم عـاد الـناذل على أعقابه إلى داخل المطعم يرسم على وجهه ابتسامة كما لو كان قد خرج ليعيد لأحد الزبائن شيئاً نسيه على طاولة الطعام .

وحـين نظـرت جانبـى لـم أجد "كورانا" الذى كان من المفـروض أن يكـون ملاصقاً لى عند خروجنا من المطعم .. وإذا بـه هـناك علـى بعد سبعة أمتار منى يقف على جانب الطـريق يحملـق فى فاغراً فاه . ثم قال لى وهو يلتقط أنفاسه كمن يدلى بإعتراف ما "يالك من داهية" وقد كانت كلماته مليئة بالإعجاب لرباطه جأشى وثباتى.

لقـد كانت هذه أول مرة أشعر فيها بأننى استطعت مفاجأة "كورانا" وأن استحوذ على إعجابه دون مجهود كبير.

ولقد أدركت مدى إعجاب "كورانا" بى فى اليوم التالى حين كـرر بنفسه ما فعلته بأحد المطاعم القريبة من مدرستنا! لكن مغامرته هو كانت مبالغة فى حجمها ... حيث استطاع الحصول

على سكين وذلك برضاء طاهية المطعم وقبولها ! لقد أخذ تلك السكين وخرج بها دون حتى أن يخفيها داخل جيبه ودون أن يتخلص منها بإلقائه على جانب الطريق ، ليس هناك أدنى شك من أن "كوراتا" قد شعر بنشوة عارمة لا يمكن وصفها من جراء قيامه بتلك المغامرة. ولكن أكثر من هذا وذلك فقد اعتقدت إن الأمر الذى سيدهشه أكثر هو ذهابى إلى ذلك المكان المعهود فى الجهة الأخرى من النهر . ولكننى هنا وجدت نفسى حائراً متخبطا بين الرغبة فى الإفصاح له على الفور وبين تركه مطلقاً فى شباك الحيرة والشك لفترة ما ، وكنت على العكس كلما أنظر إلى وجهه أشعر بأننى أوقعت نفسى فى ورطة لا أستطيع الخروج منها.

قد أكون وقعت فى براثن الندم والحسرة تماماً كما قال "قوما هيقو" وذلك بعد أن عدت لتوى إلى "كوراتا" قادماً من ناحية الجهة الأخرى من النهر!

ولكن إذ فكرت فى الأمر ملياً فستجدنى قد ذهبت بأقدامى إلى ذلك "الندم" وتلك الحسرة التى أخبرنى "قوما هيقو" بشأنهما. ولكن قد يكون الأمر ليس مجرد شعورى بالندم والحسرة أكثر من كونه شعوراً بالتباهى لدرجة أننى صرت بعدها لفترة يومين أو ثلاثة أنظر إلى أى امرأة أصادفها فى الطريق بنظرة سخرية مما جعلنى أشعر فى النهاية بالغرابة من تصرفاتى!

ولكن ما كنت أتمناه فى نفسى لم يكن هذا الشعور بالتحديد. لقد كنت ما أهدف إليه هو جملة من الإطراء ! جملة

من الإطراء لا يحس بوقعها على الآخرين .. جملة من الإطراء أحلم بأن أحصل عليه وأحس بها أنا وحدى ، ولكن جملة الإطراء تلك لاشك إنها كانت بالنسبة لى بمثابة نيشان معلق بخلف أذني أو فى ظهرى ... وهنا عدت وأنا أسلك الكورس الذى علمه لى "فوجى إن" وأنا أشعر بنوع من عدم الرضا وانكسار النفس !! كنت وأنا أجلس بجانب "كوراتا" فى مسرح الإستريتيز" بحى "أساكوسا" فى الصف الأول أعيد فى رأسى نفس الجملة التى قالها لى من قبل "فوجى إى" لكى أقولها لـ "كوراتا" : هل تريد التلصص إلى هذه الدرجة".

ولكنى حين أوشكت على نطق تلك الجملة وجدتنى فجأة أشعر وكأنما من يريد التلصص بحق هو أنا نفسى أكثر من "كوراتا". لقد عجزت عن التفوه بتلك الكلمات وأنا أتخيل "فوجى إى" لو كان يجلس مكانى وأسأل نفسى عن التصرف الذى سيقوم به . لقد أخذت فى تلك اللحظات أسترجع شريط الذكريات وأتخيل لفتات وحركات "فوجى إى" ونظراته وأحاول أن استجمع قدراتى لكى أقلد صوته وهو ينطق تلك الجملة . ولكنى هيهات لى أن أستطيع تقليده مهما تفننت وأتقنت!

وفى النهاية شعرت بالقلق والإحباط ووجدتنى أقول فجأة لـ"كوراتا" أنه عرض ممل .. هيا بنا نخرج من هنا".

لاشك أن "كوراتا" قد شعر بالحنق نحوى لأننى كنت فى البداية متحمساً بشدة حين دعوته إلى مشاهدة العرض ... وها أنا أطلب منه الخروج فجأة قبل أن يدخل العرض أهم فقراته ...

وكظم غيظه متحاملا على نفسه دون أن ينطق قائلا" أريد أن أشاهد المزيد" .... ونظر مغلوبا على أمره لى وأنا أخرج من صالة العرض .. ولكنى أخذت أطيب خاطر "كوراتا" الذى أغضبه تصرفى وجعله حائرا من أمرى ... واستطعت فى النهاية أن أعيد البسمة إلى وجهه المكفهر! .

الخلاصة إننى ظللت أفكر طيلة الأمر فى شأن "توجى إى" وأنا أجر خلفى "كوراتا" هنا وهناك . ومع استحالة شكل "كوراتا" فى عينى لمجرد كونه جواد من الجياد إلى كونه إنسانا عاديا أحسست شيئا فشيئا أننى أقتربت أكثر من "توجى إى قوما هيقو" . ولذلك فمنذ ذلك الوقت صرت أحرص ألا أنظر لـ"كوراتا" على كونه مجرد جواد مثل بقية الجياد . ولكنى فى بعض الأحيان كان يطرأ لى خاطرا مثل الحلم ، حيث أتخيل "كوراتا" على معرفة مسبقة بـ"توجى إى" الذى كان من المفروض أنه يبتعد عن هذه الأحاديث بمئات الأميال ويقيم بمدينة . "كيوطو" كان هذا الخيال حقا يؤرقنى ويشعرنى بالقلق المستمر ... وكنت أسائل قائلا : إذا صح خاطرى .. فترى ما قيمة كل ما فعلته حتى الآن بـ"كوراتا" ؟

لقد تحقق الكابوس بالفعل!

ففى صباح أحد الأيام أيقظتنى الخادمة .. وحين نزلت إلى الدور السفلى عند بوابة البيت فوجئت به "وكوراتا" يقفان هناك جنباً إلى جنب !

لقـد تصادف أن ركب كلاهما معا فى نفس القطار ، وقد قـال لى "فوجى إى" الذى كان يرتدى معطفا فوق قميصه دون أن يحمـل أى أمتعة فى يديه "لقد جئت لتوى .. فلم أتحمل مال الإقامة بـ"كيوطو" ووجدتنى أركب القطار لأحضر إلى هنا" .

ولكنى – وللحق أحسست – أن تلك المفاجأة على العكس لم تسبب لى ضجراً وضيقاً بقدر ما جعلتنى أشعر بأنتعاش ونشوة لم أتوقعها ، ولم يلبث أن صار شعوراً بالسرور وصرنا نشعر ثلاثتـنا وكأنـنا مجمـوعة من الأصدقاء على معرفة ببعضنا الـبعض مـنذ زمـن طويل ! حقاً لقد كان أمراً عجيباً ، فإن "كـورانا" الـذى كان يلتزم الصمت أمام شخص يتعرف عليه للمـرة الأولى ، وجدته يتصرف أمام "فوجى إى" وكأنه يعرف مـنذ زمـن ، لقد صار "كورانا" صورة أخرى من "فوجى إى" الذى يقبع بداخلى ... وصار صديقاً حميماً له :

لقد كان حديثنا ثلاثتنا معاً ضاحكاً مليئاً بالصبور والسعادة، ولكـن ظهـور "فوجى إى" بلحمه وشحمه أمام "كورانا" جعله ينظـر إلى وكأننى مجرد ظل صغير خلف "فوجى إى" ولذلك فلقد صار على عبء ثقيل أن أبذل قصارى جهدى لاظل أحتفظ بـصورتى وهيبتـى قوية" داخل نفس "كورانا" فى ذات الوقت الـذى كنت فيه أحاول النفوذ مرة أخرى إلى داخل "فوجى إى" وكان على أن أجتهد فى أخذ دفة الحديث وإدارة العديد من مواد الـسمر والفكاهة فى نفس الوقت الذى أحافظ فيه على التوازن

فـــى العلاقـــة بينـــنا حتى لا يفقد "فوجى إى" صداقته بنا نحن الاثنين.

وفى يوم من الأيام فجأة وجدتنى أشعر برغبة فى أن أؤكد الإحـــساس داخـــل "كـــوراتا" بتفوقى عليه وإزاحته من مجال المنافسة بيننا نحن الثلاثة ، فاقترحت فجأة "أن نذهب ثلاثتنا إلى ذلك المكان المعهود هنالك عند الجهة الأخرى من النهر" ولكن خطتـــى تلـــك التـــى كان هدفها هز كيان "كوراتا" باءت أخيراً بالفشل فإن "كوراتا" الذى كنت أتوقع أنه سيفاجأ ويشحب وجهه ويضيع لونه تماماً ... وجدته يوافق على الفور بدون أى تردد .

وعندما راجعت نفسى ... اكتشفت إنه ما كان لى أن أبادر بطـــرح ذلـــك الاقتراح الغبى ! لقد كان "كوراتا" يشابهني بمن اســـتطاع القفـــز والهرب من داخل غرفة أضرمت فيها النار بفـــضل حـــلاوة الروح التى تجعل المرء تدب فى أوصاله قوة خارقة لا يتخيل وجودها فى حالته العادية . لقد كنت كمن ألقى بـــورقة غالـــية فأحـــرقها دون فائدة فى مباراة للمقامرة! فمن لحظـــتها صار ذهابنا إلى ذلك المكان عديم الطعم بالنسبة لى ، وبعد أن وصلنا إلى دار العاهرات انفصلنا ثلاثتنا كل منا بعيداً عـــن الآخر فى غرفة منفصلة . وبمجرد أن خرجنا من المكان فوجـــئت بمخبـــر يبدو من مظهره أنه ينتمى إلى قسم مكافحة الأحـــداث يقبض على ، مع أنى كنت أجتهد أمام "كوراتا" على الأقل أن أتظاهر بأننى شاب بالغ رابط الجأش!

وبعد مرور ثلاث ساعات من احتجازى فى مخفر الشرطة تم إطلاق سراحى ، فخرجت من هناك وأنا أحرص على الاختفاء من عيون الرفيقين ، ولكنى فوجئت عندما دخلت إحدى الطرقات الجانبية بمن ينادى على ، فإذا بى أرى أمامى "كوراتا" "وفوجى إى" ينتظرانى هناك ولم تطل فرحتى كثيراً بلم الشمل مع هذين الصديقين ، فلقد علمت منهما ونحن نجلس بجانب بعضنا البعض داخل خيمة منصوبة لمطعم صغير ونحن نتناول الطيور المشوية ... أنهما كانا هناك يتلصصان على وأنا داخل مخفر الشرطة ويشاهدانى وأنا محاط من الخفر وهم يأخذون أقوالى ويعنفوننى بينما أضرع إليهم كي لا يضربونى وأعدهم بعدم تكرار ما فعلته وذلك على مدى أكثر من ساعة من الزمن ! كانا يخبرانى بذلك بينما كان يبدو منهما القلق على.

وعاد "فوجى إى" مرة أخرى إلى "كيوطو" ولكننى بعدها لم أعد قادراً على التعامل مع "كوراتا" على أنه مجرد جواد من الجياد!

لم يكن "فوجى إى" قد مكث بطوكيو أكثر من ليلتين ولكنهما مرا على كأنهما حولين كاملين . لقد كان "فوجى إى" خلال هاتين الليلتين كالبطل العداء الذى يطوف بالأماكن عدواً سريعاً على قدميه فينزل بالأماكن التى يحبها ويلهو بها بالساعات وهو يجرنا خلفه فقد كنا نركب سوياً سيارة الأجرة فيتوقف تارة عند حلبة المصارعة "السومووه" وتارة أخرى عند

مقهـــى معـــين يفضله ويقضى به وقتاً ممتعاً بينما نحن الاثنين نتسابق على تسليته . لم نكن نحتاج وقتها إلى خمر لكى ننتشى، وكنا نسير فى الشوارع الخلفية لحى "غينزا" الملىء بدور اللهو على هدى الوهج الخافت للقداحات التى كنا نمسكها بأيدينا بينما كـــان فوجى إى" يسير دائماً وسطنا نحن الاثنين أنا و "كوراتا" لقـــد مرت الأيام الثلاثة تلك كمولد كبير صاخب ، وبعد انتهاء ذلك المولد وبالرغم من غياب "قوما هيقو" إلا أن صورته التى تركها لدى صارت ذات وجود وحضور أكبر من ذى قبل ، كما أن صـــورتى فـــى عيون "كوراتا" لم تتعد أن تكون ظلاً باهتاً لـــ"قوما هيقو" .

فـــى البداية لم أكن أتحمل تلك النظرة من "كوراتا" ، ولكن مع مرور الأيام كان استرجاعنا أنا "وكوراتا" لوجود تأثير قوما هـــيقو" القوى بداخلنا يمثل نوعاً من السرور والابتهاج لقد كنا نـــسير فى نفس الطرقات التى سرنا بها مع "قوما هيقو" ودخلنا المقاهى التى ارتدناها ثلاثتنا وصرنا نتبادل تقليد "قوما هيقو" فى حركاته وكلامه وكأنها لعبة التبادل فى القفز على ظهر حصان للـــميرك! لدرجة إننا قلدنا "قوما هيقو" فى أدق حركاته . حيث كنا نمسك أقداح القهوة بنفس الطريقة التى كان يمسكها بها . إن "قـــوما هيقو" حين كان يمسك قدح القهوة لا يتناوله قط من أذن القـــدح ، وإنما كان يقبض على القدح كله براحته ثم يرفعه فى رفق إلى فمه حيث كان يضع طرف القدح على شفته الغليظة ،

ثـم يرشف القهوة على دفعات قصيرة بينما طرف لسانه يلعق القهوة لعقاً.

لقـد كـان يبدو "قوما هيقو" بطريقة رشفه تلك وكأنه حقاً يتمتع بتذوق طعم القهوة دون أن يفقد فى أى رشفة من رشفاته تلك المتعة بطعمها .

ودون أن نشعر صرنا نسير كلانا محدبى الظهر، لقد كان "قـوما هـيقو" على العكس يحرص على أن يفرد ظهره وهو يـسير، ولكنا من كثرة حرصنا على تقليده فى مشيته هذه كنا نتـناول تنبـيه بعـضنا للآخر حين ننسى للحظات تلك الهيئة ونكتـشف أننا نسير محدبى الظهر . لقد كنت أنا و"كوراتا" من النوع الذى يدقق فى أنواع الأطعمة التى نتناولها ... فنحب هذا ونكره ذلك ولكننا وجدنا أنفسنا فى نهاية الأمر نتسابق فى تناول الأطعمة التى يفضلها "قوما هيقو" حتى تلك الأطعمة لا تتناسب مـع أهوائـنا أصلاً ! لقد صارت أمى تتعجب من أمرى حيث أصـبحت شـرها فـى أكل الطماطم بالرغم من إننا فى فصل الخـريف حيث يندر وجودها فى الأسواق . كنت أنا "وكوراتا" نتبادل الشرب والأكل ولكننا على العكس كنا نحرص على تقليد "قـوما هيقو" مع إضافة لمسات معينة تعبر عن شخصيتنا نحن الاثنـين ، ولم يكن أحدنا يسامح الآخر إذا تعمد تطبيق أذواق "قـوما هيقو" – فى ارتداء الأشياء مثلاً حيث كان "قوما هيقو" ينـتعل الجـوارب ذات رسـوم لأسـماك مختلفة ، صرنا أنا "وكوراتا" ننتعل جوارب ذات رسوم لطيور أو فراشات .

لقد صارت الرسائل بين طوكيو "وكيوطو "تنهمر مثل السيل ، ولقد صارت تلك الخطابات فى وقت من الأوقات تمثل أهم حدث من أحداث حياتنا اليومية . لقد كان ما نفعله أنا أو "كوراتا" لا يمثل شيئاً من السعادة بقدر سعادتنا من الكتابة عن تلك الأفعال فى الرسائل التى كنا نرسلها إلى "قوما هيقو". لقد كان "قوما هيقو" يقارن بين أية خطابات نرسلها له نحن الاثنين ونتحدث فيها عن حدث بعينه .. فيغطى تقريره لمحتويات تلك الخطابات ويخبرنا فى كل مرة عن فارق المستوى بيننا فى الكتابة حتى صارت نوعاً من المسابقة فى التعبير والإنشاء بينى وبين "كوراتا" وكانت خطابات "قوما هيقو" المرسلة من كيوطو" إلينا معنونة دائماً باسمينا نحن الاثنين ، وتارة كان يرسل خطابات إلى عنوانى وتارة أخرى إلى عنوان "كوراتا" وفى كل مرة كنا نتلو محتويات تلك الخطابات أمام بعضنا البعض ونقارن عدد الأوراق المرسلة ومع مرور الأيام صار "قوما هيقو" مثلاً أعلى بالنسبة لنا نحن الاثنين . وبالرغم من اشتداد حمى المنافسة بينى وبين "كوراتا" فى هذا الأمر ، إلا أن صداقتنا.. مع هذا ازدادت أوصارها شيئاً فشيئاً وكنا فى كل موقف معين يحدث لنا ونحن معاً ننظر إلى بعضنا البعض ونقول : لو كان "قوما هيقو" ... وكان هذا يحدث أحياناً يتصادف مثلاً أن يتعطل بنا الباص ونحن نركبه ... أو فى أى مواقف ومفارقات أخرى .

لقد كنا نحس بأن "توما هيقو" صار مشغولاً لأذنيه وهو فى "كيوطو" بكتابة الخطابات إلينا فقد كان يكتب لنا بمعدل خطاب واحد كل يومين ، وكنا نتخيل إنه لم يكن ليكتب بهذه الكثافة لو كانت من يرسل إلينا خليلة له !! لقد كان ماهراً فى الكتابة لدرجة أنه كان يكرر ما يقوله مئات المرات . فقد كان هذا فى حد ذاته يمثل لنا باستمرار خبراً جديداً ، وكان بذلك ينقل إلينا مشاعره ، ونتفاعل معها ولكن مع مرور الوقت صرت أشعر بأننى لم أعد أتقبل هذا كرجل، مع كثرة الخطابات أحسست فى وقت ما بأن وجود "توما هيقو" فى حياتى قد صار يأخذ مكاناً أعلى منى بمراحل ، وصرت أدور بنظرى فيما حولى من الأمور والأشياء وأسائل نفسى عما وصلت إليه من حال !! لقد كان أوضح شئ أشعر به فى ذلك الوقت هو أننى كما لو كنت أريد دائماً أن أجذب ناحيتى من يسكروننى فى نفس الوقت الذى أشعر فيه بالخوف والقلق من ثمالتى التى تصور لى أننى أسير طافياً فوق السحاب .

لقد صار "فوجى إى" فى دوامة صنعها بنفسه دون أن يشعر . لقد بدأ يدرك تماماً مثلى أنا و "كوراتا" أن إحساس الجمال فى حياته ما هو إلا تجربته مع المرأة واكتشافه لعالمها. ومن هناك صار تردده على بيوت الهوى نابعاً من تلك الفكرة . كذلك كانت كتاباته عن تلك الأمور بالذات فى خطاباته حافزاً لى أنا وكوراتا على التسابق لقراءتها . وفى يوم من الأيام حين ذهبت لزيارة "كوراتا" فى بيته الكائن بحى "هارلجوكو" وحين

دخلت من باب البيت وجدته هناك يقوم بنقل ذلك الكم من الكؤوس الذى كان مصطفاً على رف بجانب الباب ، وكانت الكؤوس كلها قد حصل عليها والده فى مسابقات رياضة الجوالة، وقد بادرته متسائلاً ، ماذا حدث؟ ولكنه من فرط انفعاله الواضح لم يرد بأى كلمة بل إنه استمر منهمكاً فى عمله وهو يقذف بتلك الكؤوس قذفاً - وهو منفعل - داخل دولاب اللعب الخاص باخوته! ولقد كدت أنفجر فيه غاضباً وأنا أنظر إلى وجهه العبوس هذا وأنا أسأل نفسى عما يفعله وعما ألم به . ولكننى أحسست بأنه يعانى من أمر ما يشابه ما أعانيه - فلم أضغط عليه أكثر من ذلك بأسئلتى .

لقد كان الحال فى بيتنا نحن الاثنين متشابهاً إلى حد كبير فلقد كان والدى رجلاً عسكرياً موفداً إلى شمال الهند الصينية (حيث المستعمرات اليابانية وقتها) ، وكذلك والد "كوراتا" موفداً إلى بعض أقاليم اليابان للإشراف على سير العمل فى بعض المصانع العسكرية حيث كان يشغل منصباً كبيراً فى شركة للأشغال العسكرية ، ولذلك فلقد كان كلانا يتصرف بحرية إلى حد كبير فى غياب الوالد . ولكنى فى الفترة الأخيرة صرت أشعر بالضيق والضجر لسبب ما - من الوجود بالبيت.

الحقيقة لم يكن هناك شئ معين قد تغير من أحوال البيت عما سبق ، ولكن ارتباطنا نحن الثلاثة "مع "فوجى إى" فى الفترة الأخيرة وما تبع ذلك من تغير فى التصرفات والغياب الطويل عن المنزل قد أحدث نوعاً من الخلل . لقد كنت لا

أشعر بنوع من الحرج ولا الخوف فى العودة إلى البيت فى ساعة متأخرة من الليل ... ولكن هذا الأمر على العكس جعلنى موضعاً للانتقاد من أمى ، وكانت أمى توبخنى من أن أغسل يدى داخل دورة المياه ...

لقد كنت أنا "وكوراتا" قد تعودنا على أمور وتصرفات لا حصر لها ولا عد نقوم بها تأثراً بـ"قوجى إى" حيث كانت تلك السلوكيات ترجمة لمفهوم وفلسفة "قوجى إى" الجمالية إبان ممارسته للحياة اليومية ، وأعتقد إن هذا كان نتيجة طبيعية لإرتباطنا بـ"قوجى إى" ولذلك لم يكن هناك مناص من أن أتحول إلى إنسان يكسل عن ممارسة الأمور بطريقة منظمة مرتبة داخل البيت لقد كنت مثلاً أحول غرفتى بقدر ما أستطيع إلى مكان منعكش قذر ، لدرجة أننى كنت أتعمد أن أغرق نفسى داخل البيت فى فيضان من الأوراق المتناثرة والأتربة المتراكمة . ولكن المعاناة التى كان يعانيها "كوراتا" بسبب صداقاتنا نحن الثلاثة تلك كانت تأخذ خطاً آخر ففى حالتى أنا كنت أكتفى بتأمل صور الممثلات التى تنتشر على جدران الغرفة بينما صار يغطيها التراب وأعشاش العنكبوت ، بينما كانت غرفة "كوراتا" مزينة بأدوات التزلج على الجليد ومضارب التنس ونماذج الطائرات الخشبية المكسورة ، كذلك وبعد غياب أبيه صار "كوراتا" ينقل متعلقات أبيه العسكرية وتلك النماذج المعدنية والفضية لقاذفات القنابل التابعة لسلاح البحرية اليابانى – وهى التى كانت موزعة بغرفة الزوار – إلى

غرفته أيضاً ويتسلى بالنظر إليها ويتفاخر بها غير أن "كوراتا" صـــار فجـــأة "يضج بوجود تلك الأشياء فى غرفته ويسأم من نشرها حوله فى فوضى ... وكأنما صار "كوراتا" مثل شخص ضـــجر أخيـــراً من وشم "جانبارجان" الذى رسمه على جميع أنحـــاء جسمه عن طيب خاطر فى يوم من الأيام ... ولكنه عاد وشعر برغبة جامحة فى إزالتها ومحوها من فوق جلده !!

لقد صارت حالة "كوراتا" النفسية تزداد اكتئاباً شيئاً فشيئاً ، وصار يجد لزاماً عليه أن يعيد نموذج الطائرة الفضى ذلك إلى مكانه الأول فى الخفاء حتى لاتكشفه عيون أصدقائه . لقد ظلت معاناته هذه تتراكم شيئاً فشيئاً حتى تفجر غيظه فى النهاية لكى تمـــتد يده حتى إلى كؤوس والده تلك المرصوصة بجانب باب البيت.

طالمـــا وصـــلت الأمـــور إلى حد أن يشعر الابن بالقنوط والـــضجر مـــن هوايات أبيه إلى هذه الدرجة فلك أن تتخيل ما يمكـــن أن يتطور إليه الحال من غضب ليس له حد . لقد كانت أركان البيت كلها تمتلئ بمتعلقات والد "كوراتا" .

أمـــا أنا فقد صارت تستفزنى أيضاً متعلقات أبى الموجودة هنا وهناك ، وذلك بدءاً من ذلك السيف اليابانى الأصل المعلق فـــى غـــرفة الضيوف إلى اللوحات المكتوبة المعلقة والزهور المنـــسقة علـــى طريقة "الإيكيبانا" ويتطور الأمر أكثر من ذلك ليصل إلى أشياء أخرى مثل الأوراق الملصقة على الحائط وإلى الـــشقوق بالأعمدة الخشبية للبيت .. صار كل شئ هناك يسبب

استفزازاً غريباً من مجرد رؤيته . وحتى وجبات الغذاء ، لم يعد هناك أى صنف من أصناف الأكل يروق لى ، وحتى أصناف الأكل تلك التى كان يحبها "فوجى إى" والتى صارت أمى أحياناً تصنعها إرضاء لى لم تعد هى الأخرى ذات طعم مستساغ ، وصرت أشرع بالقرف حين أشعر فى أكلها!!

على أى حال فقد وصل بنا الأمر أنا و "كوراتا" إلى درجة أننا لم نعد نطيق حتى مجرد التواجد داخل جدران بيوتنا ، وصرنا نقضى معظم وقتنا خارج البيت فى مقاه تشبه الغرز والمخور المتوارية المظلمة . وصرنا نتغلب على قلة حيلتنا فى الإنفاق على الأكل خارج البيت باختراع أكلات جديدة رخيصة مثل البطاطا المشوية المدهونة بالزبد وغيرها ! كانت الأحوال العامة أيضاً فى اليابان فى ذلك الوقت تأخذ مساراً لا يختلف كثيراً عما كانت تعتريه صدورنا نحن من ضيق ورغبة فى التعبير . لقد كانت المفاهيم والقيم المستحدثة والتى تقوم على أساس من الممارسات التخيلية المختلفة تسبب نوعاً من الأرق والقلق لعامة الشعب ! لقد كانت أحياناً جمهرة من الناس تفاجأ بخراطيم المياه الخاصة بوحدات الإطفاء تصب على رؤوسهم مياهه بينما يقفون خارج دار للسينما فى انتظار الدخول والتمتع برؤية ممثلين سينمائيين معينين وذلك بدعوى إعطاء نوع من إزالة التوتر للجو النفسى العام!!

وكنا أحياناً نشاهد جنود فرق الإرساليات والاتصال اللاسلكى يركضون هنا وهناك فى شوارع المدينة ليس بسبب

نقص معسكرات التدريب أكثر مما كان ذلك نوعاً من التدريب على مقاومة المظاهرات ، لقد كان هؤلاء يعيقون حركة المارة بينما كان يبدو عليهم التعب والإعياء بسبب أسلاك النحاس الغليظة تلك التى كانوا يربطونها حول صدورهم!!

كانت هناك مدرسة معينة تتلقى أحياناً تعليمات من القيادة العسكرية ، وفى كل مرة كان يحدث فيها ذلك .. كان يتم تجميع التلاميذ على وجه السرعة فى فناء المدرسة ... وهنا كان يقف ناظر المدرسة يلبس قفازاً باللون الكاكى على المنصة وكأنه تمثال من البرونز فيلقى خطبة عصماء فى جموع التلاميذ قائلاً إن رقصة "القطة" المتبعة فى تلقينكم التدريبات العسكرية تشابه تسيير قطة صغيرة فوق صفيح ساخن فتضطر القطة للقفز وهى تسير فوق ذلك السطح من فرط السخونة فتبدو كما لو كانت ترقص . وهذا فى حد ذاته نوع من التدريب الذى ستتلقونه" !!

ولكن الأمر كان بالنسبة للتلاميذ نوعاً من الحماقة واللغط ، وكان من الصعب على عقولهم الصغيرة استيعاب ما يصرخ به ذلك الناظر ، وكان الكثير من هؤلاء التلاميذ يحاولون جاهدين كبت ضحكاتهم الساخرة من هذه الخطبة الحمقاء وهم يتهامسون بين بعضهم البعض متسائلين" وهل نحن قطط صغيرة !! ولم يكن أحد منهم - ومن بينهم الناظر نفسه - يعى ماذا يقصد بـ"السطح الساخن" هذا بعد سنوات من هذه الأحداث سقط الكثير من هؤلاء الذين كانوا تلاميذهم جرحى وقتلى ، ولكن

الوحـيد الـذى سـقط متأثراً بحروقه كان ذلك الناظر ولا أحد غيره!!

كـان قد بدأ زمن يعاقب فيه الذى لا حول له ولا قوة أكثر مـن أى شـخص أخر . كان هناك من الطلبة الذين يتصفون بالجديـة والمواظـبة على حضور الحصص فى المدرسة من يواجه الأخطار والتنكيل لمجرد تواجده بمحال المقاهى التى لم يكـن يوضع فى رفوفها سوى أنواع بريئة من الحلوى ، بينما كنا نرتع نحن – رفاق السوء – فى دور البغاء دون أن يسائلها أحـد عما نفعله ! أحياناً كان رجال الشرطة يلقون القبض على بعـض الطلبة المغلوبين على أمرهم والذين ليس لهم فى أمور اللهـو والعربدة لمجرد وقوفهم أمام ناد من نوادى البلياردو فى عز الظهر ويحتجزونهم فى مخفر الشرطة ، وبعد ساعات يعود هؤلاء الصبية وهم يبكون مثل الأطفال .

لـم نكن نستطيع أن نضع تفسيراً لأسباب ما يحدث حولنا فـى تلـك الأوقـات التى كنا نشعر فيها بالملل من تلك الحياة اليومـية ... فى تلك الأوقات التى كنا نشعر فيها بأننا قد نسينا شـيئاً ما لا نستطيع تذكره ، كنا نشعر فقط بأننا نريد أن نقوم بعمـل أهوج ما حين كنا نشعر بذلك الملل الذى كنا نطلق عليه وقـتها "حالة الركود".. وهى تلك الحالة التى كانت تنتابنا بين وقت وآخر .

وكانت حالة الركود النفسى هذه تنتابنا بين الحين والآخر ، وكـان من الطبيعى أن تزول روح الإثارة من مغامرة ما نقوم

بخوضها مرة فلا نعود نشعر بالنشوة من خوضها مرة أخرى ، وإذا خضناها مرة أخرى كنا نشعر بالإحباط .. أو ذلك الشعور نفسه بالركود ! بل إن تلك الحملات البوليسية أحياناً كانت تخرجنا من ذلك الملل والركود ، ولكن تلك الحملات العشوائية أخذت فى الازدياد شيئاً فشيئاً حتى صار رجال الشرطة العسكرية يتولون أخيراً القيام بها حيث كانوا يتصيدون طلبة المدارس . كنا نشعر ونحن نراقب تلك الحملات وكأنما كنا نجلس على مقعد دوار نرقب من فوقه مشهداً مسرحياً فى الهواء الطلق ، ولكن مع ازدياد وتكرار تلك الحملات كنا نشعر بانخفاض روحنا المعنوية وكنا نصاب بالإحباط ! صرت أنا و"كوراتا" فى ذلك الوقت نقلل من ذهابنا إلى المدرسة ، ولكن ذلك على العكس لم يكن يدفعنا إلى الرغبة فى القيام بمغامرات جديدة بل كانت تمر علينا أيام ثقيلة كئيبة بينما أجلس أنا و"كوراتا" ننظر إلى بعضنا البعض ونحن داخل بعض المقاهى المزدحمة ضعيفة الإضاءة بقاع المدينة وكأن قلوبنا أكلها الصدأ!! وحين كنت أنظر إلى "كوراتا" الذى كان ينكفئ مقوساً ظهره كرجل عجوز يتدفأ أمام قصعة مملوءة بالفحم المشتعل تفوح منه رائحة عفنة لزجة ، كنت أحس إحساساً عفوياً "بـ "قوما هيقو" وأتذكره وعلى أغلب الظن فقد كانت هيئتى تستحيل إلى نفس الصورة فى عيون "كوراتا" ، كنا ساعتها نحاول جاهدين أن نضع خططاً لمغامرة ما جديدة بينما نكاد نوقن فى قلوبنا إن ذلك الحديث لا يتعدى أن يكون كلاماً فى الهواء ،

وبالفعل لا نلبث فى النهاية أن نقطع الكلام فى ذلك الموضوع . وكـــان يقطع ذلك الكلام أحياناً عبور مجموعة من الجنود وهم يركضون بحثاً عن زملاء لهم هربوا من ثكناتهم ... بينما كانوا يـــشهرون فـــى أيـــديهم البنادق التى تلمع فى أطرافها نصال السونكى ... حيث كنا نراقبهم من خلف نافذة المقهى المعتم!

صـــارت خطابات "قوما هيقو" المرسلة من "كيوطو" تحمل لهجة عنيفة عن ذى قبل لم نكن نعرف إن ذلك الأسلوب يقصد مـــنه بعـــث الحمـــاس فى نفسنا حيث كنا قد غرقنا فى جنون المنافـــسة معاً ، وكان "قوما هيقو" على الطرف الآخر متحمساً رافضاً للخضوع للإحباط . كان أسلوبه فى الكتابة لا يفقد رونقه المعتاد وبلاغته المعهودة ورغم ذلك فقد كانت شطحاته الفكرية ورعونـــته فى الحكم على الأشياء من منظوره الواثق إلى أبعد الحـــدود فى نفسه تجعلنا نشكك فيما يكتبه . حتى جاء يوم من أقسى أيام الشتاء برودة حيث وصلتنا رسالة منه كتب فيها قطعة شـــعر من تأليفه قال فيها : "ها قد جاء الربيع حيث أعود إلى الوطن .. تماماً بنفس شعور الوحشة الذى جئت به من هناك !!

فـــى تلك الرسالة أخبرنا "قوما هيقو" بأنه ينوى العودة إلى الـــوطن – كوريا – وأن أمر الإيقاف عن الدراسة قد وصله .. وبأنه قد أصيب بمرض عضال!

كـــان الخطـــاب قـــد وصل إلى منزل "كوراتا" ، فجاء به "كـــوراتا" يعـــدو لاهـــثاً مثل الفرس الذى أصيب بفيروس معد وزارنى فى بيتى بحى "سيتاغايا" .

حـين قـرأت الخطاب ، أسقط فى يدى وشعرت بالدهشة والحيـرة لدرجـة أننى عجزت عن التفكير فى أى شئ. كنت أشعر بالرعب من إكمال قراءة الرسالة ، ولا اشك إن "كوراتا أيـضا" كـان يشعر بنفس شعورى بعدها خرجت أنا و"كوراتا" هائمـين علـى وجهينا نسير فى الشوارع. كنا ونحن فى تلك الحالة من الضياع نتوقف أحياناً... ثم نعاود المسير مسرعين ، وأحـياناً أخرى كنا نتبادل الحديث بشكل عصبى وصوت عال ولكن فى أمور لم يكن لها معنى محدد وأحسست ساعتها أن كل ما حدث خلال تلك الستة أشهر الفائته كان شريطاً من الأحلام والأوهـام ، ولكـن الحقـيقة أن كل تلك الأحداث التى تخيلتها أحلاما ... كانت تتوقف عليها حياتى الواقعة كلها.

ولـم نشعر كلانا إلا ونحن على العكس - نقفز قفزاً بسبب نـشوة مـا !! واعتقدت فى نفسى ساعتها بأن ذلك الإنتشاء قد اعترانا من فرط الانزعاج والقلق . كان ينازعنى بداخلى شعور آخر كنت أتهرب منه - حيث وجدتنى أشعر بالغبطة والسرور بسبب تعاسة صديق !! لقد فطنت إلى مدى المشاعر التى كانت تكمـن بداخلى ، ولذلك فقد صحت فى سخرية نابعة من حقيقة شـعورى - بينما كنت فى نفس الوقت أوهم نفسى بأننى أقصد عكسها - قائلاً "كوراتا" ماذا إنه يوم سعيد يا صاحبى ... تعال لأعـزمك علـى تـناول شئ ما بهذه المناسبة" . وكأنما كان "كـوراتا" ينتظـر منى هذه الجملة لكى يطلق العنان لما يكبحه

داخل صدره ، فرد على قائلا" نعم ... نعم فلنقم بمغامرة كبرى من مغامرات "فوجى إى"!

ذلك اليوم اخترنا بقدر الإمكان مطعما كبيرا فاخرا . كنت فى البداية أحسب إننى لن أشغل بالى بالتفكير فى أى أمر منغص لأن كل حواسى ستكون مركزة فى تناول الطعام نفسه حيث يكبل المرء هنا – من فخامة المكان ومهابته – بالالتزام بالمسكة الصحيحة للشوكة والسكين ، ويحرص كل الحرص على إلا تقفز من الطبق قطعة اللحم وهو يقطعها ، ويتحاشى أن تنزلق وتفلت خيوط المكرونة الإسباجتى من بين أسنان الشوكة . ولكن على العكس فقد وجدت أن هذه الطريقة المبالغة فى رسميتها فى الأكل قد قضت على ما كنت أرجوه حين دخلت المطعم وجعلتنى أشعر بالزهق والضيق . ولكى أكسر جو التوتر والسكون والمعاناة النفسية التى أعانيها وجدتنى أقول متصنعا البشاشة "على أى حال دعنا ندق برقية للتهنئة " وهنا أجاب "كوراتا" قائلا "موافق" .

ولكننا بعد أن خرجنا من ذلك المطعم الكبير المبهر الأضواء ، وجدنا أقدامنا تسوقنا إلى ذلك المقهى الكئيب ضعيف الإضاءة الذى نذهب إليه دائما ، وجلسنا هناك لانفعل شيئا معينا سوى انتظار موعد إغلاق المحل ، وحتى افتراقنا عن بعضنا البعض تلك الليلة ، لم يفتح أحدنا سيرة برقية التهنئة تلك مرة أخرى .

إن مـــا كـــان يقلقنـــى لم يكن أمر "فوجى إى" على وجه التحديد، بل كان ما يقلقنى حقاً هو شعور "كوراتا" الحقيقى الذى كنت أعانى من عدم فهمه . لقد كان واضحاً لى تماماً بأننى لو اســتمررنا على هذا النمط فى الحياة فسوف نجد أنفسنا – ولو طال الوقت – نتجرع من نفس الكأس التى تجرعها "فوجى إى" ونسلك نفس مصيره ، وهو ذلك المصير الذى أكره إن اذوقه ! ولـــو سألتمونى "لماذا تكرهه لما وجدت إجابة واضحة وكل ما أســتطيع أن أقـــوله إننـــى كنت أشعر بقلق ما من المستقبل لا أعـــرف كنهه .. قلق يتحول داخلى حتى يستحيل رعباً جامحاً وحين كنت أشعر بتلك الهواجس ... كنت أحس بالرغبة فى أن أفـــضى إلى شخص ما بما يعترى داخلى ... مجرد الرغبة فى الإفصاح دون أن أفكر فيما لو كان ذلك الإفصاح سيعنى التنكر أو عدم التنكر لصديقى "فوجى إى" بالطبع حتى لو كان الشعور بالتفكير له هو الشعور الحقيقى الذى أخفيه داخل نفسى .

لقـــد كان "كوراتا" كئيباً قاتماً أكثر منى وكنت كلما أتنافس مـــع "كوراتا" على أمر من الأمور كنت أستغل هذه النقطة فى شخـــصيته . ولكنـــى علـــى العكس ففى تلك الليلة كانت كآبه "كوراتا" بالنسبة لى عبئاً كبيراً يصعب على تحمله وناهيك عما إذا كنت أنا الذى حفر تلك الحفرة أو كان "كوراتا" هو الذى قام بحفرها . إلا أن الحقيقة هو أن تلك الحفرة العميقة موجودة .. ولم يكن لى أن أستطيع الفكاك مما أنا فيه بدون القفز من فوقها.

لـــم يكـــن أمامى إلا أن أزرع القلق فى قلب "كوراتا" بقدر الإمكـــان . فمـــنذ اليوم التالى لتلك الليلة كنت فى الوقت الذى

أمجد فيه سلوكيات "كوراتا فوجى إى" فى الحياة اليومية وأعدد فيه من مزايا شخصيته أمام "كوراتا" ، كنت بين الفينة والأخرى أنوه إلى المأساة التى يمكن أن تنتظر "فوجى إى" فى حياته فيما بعد ، وعليها فلو كان "كوراتا" ألمح لى ساعتها برغبته فى الفكاك من هذه الحياة اليومية وأسلوبها لكنت قد تبعته على الفور! فى النهاية نجحت خطتى!! لم تكن كلماتى ذات تأثير سحرى على "كوراتا" بقدر ما كان هو فى الحقيقة ينتظر - فى قرارة نفسه - منى التفوه بتلك الكلمات ، فإننا لم نلبث أن وجدنا أنفسنا نتبادل المشاورة حول استعارة كراسات المحاضرات من الزملاء فى الفصل مع اقتراب موسم الامتحانات واشتعال جو الرهبة من اقترابه.

لقد كانت كلمات الرفاق فى الفصل التى كنا نسخر منها من قبل لها وقع السحر علينا فقد كان الرفاق دائما يقولون لنا "يكثر عدد مرات الرسوب حين التقدم للسنة الثانية أكثر منه فى أى سنة أخرى "أو" إذا رسب المرء فى أول سنة سيعتاد على ذلك ولن يستطيع عبورها إلى الأبد".

وفى يوم وجدتنى أقول لـ كوراتا مازحا "دعنا نذهب إلى قبر المدرس "ف"" فقد كان هناك تقليد يقضى بذهاب جميع الطلبة إلى قبر ذلك المدرس الذى أنشأ المدرسة وذلك فى يوم ذكرى وفاته ، ولقد شاعت شائعة تفيد بأن من يتخلف عن زيارة ذلك القبر فى ذلك اليوم سيجد إسمه فى قائمة الراسبين! وبالرغم من ذلك كنت أنا وكوراتا نتخلف عن الذهاب .

لقد وجدت "كوراتا" يجيبنى فى حماس قائلاً" نعم .. فلنذهب"

كان اليوم مشمساً دافئاً وكانت التمشية بين القبور تعطينا إحساساً بالراحة والانتعاش ، ولكى أجعل الأمر تسلية ومتعة لدى "كوراتا" صرت أمرح وأمزح معه كى أشعره بأننى كما لو كنت فى نزهة خلوية سعيدة. كنت أشعر ساعتها وكأننى طبيب نفسى يقوم بعلاج حالة مستعصية أمامه . ومن فرط شعورى بالانتشاء من تملكى لزمام تلك المبادرة قررت أن أفاجئ اليوم التالى "كوراتا" بأن اسبقه فى حضور أول محاضرة فى الصباح وذلك على غير عادتى .

ولكن "كوراتا" لم يحضر تلك المحاضرة! وحتى بعد أن حل موعد المحاضرة الثانية لم يظهر "لـ كوراتا" أى أثر، وهنا بدأ القلق يأخذ طريقة إلى قلبى.

أحسست للحظة بهاجس مفاده أن يكون "كوراتا" الآن موجوداً مع "فوجى إى". كنت بينما استمع فى ملل إلى تلك المحاضرة التعسة وأنا أجلس على أحد مقاعد الفصل ذات القوائم الحديدية أشعر بالندم للاستيقاظ مبكراً وتجشؤ عناء الحضور إلى الفصل خصيصاً لحضور تلك المحاضرة ، ولكنى كنت أمنى نفسى بظهور "كوراتا" مع بداية المحاضرة التالية ، ولذلك فقد تحاملت على نفسى وبقيت بالفصل ولكن هاهى محاضرة بعد الظهر تبدأ ولا تبدو أى بادرة لظهوره ! إننى لم أشعر فى يوم ما برغبتى فى انتظار "كوراتا" قدر ما شعرت به

ذلك اليوم ولكن ترى هل بقيت فى الفصل فقط من أجل انتظار "كوراتا" لقد كان من الأحرى بى ، إذا كنت أريد مقابلته مثلاً – أن أذهب من البداية إلى ذلك المقهى الذى اعتدنا ارتياده أو أن أذهب إلى بيته مباشرة.

لم ترى أن السبب الحقيقى لتشبثى فى البقاء هنا كان نابعاً مـــن رغبتـــى فى أن أتقمص دور الطبيب الذى يتلذذ بمعالجة مريـــضه؟ وعندما عدت إلى بيتى .. فوجئت برسالة تركها لى "فوجى إى" بنفسه هناك "جئت لأقابلك قبل أن أعود إلى كوريا . أنا الآن أقيم بأحد الفنادق الرخيصة بمنطقة "أساكوسا باشى"."

كان هذا هو محتوى الرسالة .

لقد أحسست هنا بقليل من الرضا والثقة بالنفس لأن حدسى كان صحيحاً .. ولكنى على الأطلاق لم أندهش لذلك.

لقـــد تـــرك "فوجى إى" فى رسالته – كعهدى به – خريطة كـــروكية بخـــط يده للفندق الرخيص الذى ينزل به ، فمررت ببـــصرى على ذلك الرسم ببرود ساخر ! وهنا وجدت نفسى لا أعبأ بشأن "كوراتا" ووجدتنى أقول فى نفسى "ياله من مسكين".

ولكـــن هيهات لى أن أنزلق إلى الحسرة عليه أو التعاطف معـــه .. فقد يجرنى ذلك إلى عواقب وخيمة حيث أسلك نفسى مصيره . لقد غالبنى ساعتها شعور على العكس بأن صديقى قد خذلنى بعد أن ظللت مربوطا بسببه طول اليوم داخل المدرسة . وبسبب هذا الموقف الصغير الذى راعيت فيه صداقتنا أحسست بنوع من الرضا من نفسى بسبب هذه اللفته التى تتسم بالشهامة!

لقـد كان ذلك التغير فى مشاعرى وذلك الميل منى إلى محاولة الوصـول إلى صورة الفتى الطيب الجاد لم يكن بالأمر السهل علـى الإطـلاق والدليل على ذلك أننى فى صباح اليوم التالى بـدأت أشعر بالتخبط مرة أخرى . أى أن رغبتى فى الكسل قد عادت إلى الظهور مثل سابق عهدها . وحين ركبت القطار فى الصباح فى وقت ضغط الزحام بالصباح ووصلت إلى المحطة التـى أغير دائماً القطار فيها لكى أتوجه إلى المدرسة وجدتنى أجلس على أحد المقاعد برصيف المحطة ولا أركب أول قطار مـر بـى وحين شرعت فى إشعال سيجارة والبدء فى تدخينها شـعرت ببرودة ذلك المقعد ذى القوائم المعدنية وبرودة أرضية الفصل الإسمنتية تهاجمنى هجوما شرسا شعرت به بوضوح ، فوجدتنى أكسل عن ركوب القطار الذى تلا القطار السابق . لقد وصلت نسبة غيابى عن الفصل بهذا إلى أسوأ حالاتها وصرت لهـذا السبب على قيد خطوة أو أدنى من الرسوب فى هذا العام الدراسـى . لقد كان هذا اليوم الدراسى وحتمية حضورى إياه مـسألة قـدر ومـصير ، ولكنى على العكس أحسست بشعور مـنعش وانتشاء غريب لأننى رغم يقينى من أهمية ذلك اليوم الدراسـى إلا أننى تجاهلته متعمداً . وبعد أن شيعت بشاخصى آخـر قطـار مـزدحم يحمـل آخر أمل لى فى اللحاق باليوم المدرسى هذا ، وجدتنى أقف فجأة وأترك مقعدى على رصيف المحطة وأنا أتمتم فى نفسى قائلا . "لا تلق بالا فلن يغير اليوم من الأمر شيئاً"!!

صـــرت أتخـــبط ولا أدرى كـــنها لقلبى هذا الذى يخون إرادتـــى. فمثل الإنسان الذى يعتاد الكذب فيجد نفسه يصدق ما يقـــوله وينـــسى أنه يكذب .. صرت ها أنا لا أجد تفسيراً لما أفعله! لا بل إنى حتى لم أحاول أن اجتهد لإيجاد تفسير لهذا بعد أن أقلعت عن الذهاب إلى المدرسة ، وجدت أقدامى تقودني إلى المقهـــى المعـــتاد حين دخلت المقهى فى الصباح حيث لم يكن هناك أحد من الرواد ، كانت رائحة دورة المياه تزكم الأنوف . كانت رأسى تعانى من دوخة كبيرة بسبب قلة النوم وأنا أتوجه إلى أقصى ركن فى المقهى وكأننى أختبئ به ... فاتخذت لنفسى مقعداً هناك ، وأخذت أجول بعينى الزائغتين فى الستائر القذرة والـــبقع الموجـــودة على ورق الحائط وكأننى أمسحها بعيونى مسحاً . كنت أجلس هناك أقتل الوقت دون أن أفعل شيئاً محدداً. كـــنت أسائل نفسى عما أنا فيه . قد أكون ما فيه من حال الآن هـــو على أكثر تقدير هو حالة نفسية ما كما لو كان كلب يعيش بـــداخل صـــدرى يلاحق فى وفاء وإخلاص صاحبه ومروضه الذى يهرب منه هنا وهناك وعلى الرغم من ذلك يلح إلحاحاً فى ملاحقته ، بنفسية الكلب هذه الذى يعيش بداخلى .. ها أنا أصر علـــى الحفاظ على نفس النمط من السلوك حتى هذا اليوم بدءاً مـــنذ أسبوع مضى ، ولكنى على هدوئى وعقلاً نيتى هذه التى اتسم بها لم أكن أنتبه قط لى وجود ذلك الشعور بداخلى .

وحين جاء الظهر تنبهت فجأة إلى أن موعد الغذاء قد حل، فوقفت فى حيرة وأخذت أفكر فى تناول الطعام بالرغم من أننى

لـم أكـن اشعر بالرغبة فى الأكل . وهنا .. وعلى حين فجأة تبادر إلى أسماعى صوت مألوف يصدر من خارج المقهى شيئاً فشيئاً . نعم لقد كان صاحباً الصوتين هنا "فوجى إى" و "كوراتا" لقـد انتفضت واقفاً كمن لدغه عقرب ... ووجدت نفسى أنطلق خارجاً من باب المطبخ الجانبى للمقهى . كان أول ما شعرت به حـين انتفـضت واقفاً هو شعور بالرعب لا أستطيع وصفه ، ووجـدت بعـدها شـعوراً آخر بالجبن والخزى يعترينى بشدة ويـبعث الضجر فى نفسى. وبينما كنت حائراً متردداً تنازعنى الـرغبة فى الاستمرار فى الهرب أو العودة إليهما ... وجدت أقدامى تسوقنى بعيداً شيئاً فشيئاً عن المكان . "ترى ماذا يجعلنى مـرعوباً هكذا" لقد استطعت رؤية قلبى الذى كنت أدفنه داخلى دائمـاً فـى لحظة وذلك وأنا أحاول إصغاء أذنى لصوتهما ... وكأنما هبت الريح فجأة وأنا أسير مسرعاً فأنفردت ياقة معطفى فجأة إلى أعلى مشرعة جناحها على مصراعيهما إننى إذا عدت إدراجـى الآن فـسوف الحق بهما ، ولكن قد يكون الاثنان فى نفس هذه اللحظة يلوكان سيرتى بألسنتهم .. بعد أن فطنا لقلبى هـذا الذى اكتشفته منذ لحظات وكشفا سره . وحينما روادتنى تلـك الهـواجس وجدت ذلك الإحساس بالرعب على العكس – يزول عنى شيئاً فشيئاً –صرت أخرج من شارع إلى حارة إلى شـارع آخر تقودنى أقدامى على غير هدى بينما تتعثر أقدامى فـى الألواح الخشبية المكسورة المبعثرة فى الأرض وتخوض فـى تجمعـات بقايـا مـياه الغسيل القذرة .. فى نفس الوقت

الـذى أحـاول فـيه جاهـداً فض بقايا أصداء صوتيهما عن أذنى ...

وحيـنما وصـلت إلى مسافة معينة بعيدة تبعد كثيراً عن المقهـى ويـستحيل معهـا العودة على الأعقاب مرة أخرى - وجدتنى فجأة أتوقف وأنظر خلفى ووجدتنى أحادث نفسى قائلا إنـه لـو لم يكونا قد تحدثا بذلك الصوت ولم أنتبه إليهما لكنت الآن مازلت أجلس فى نفس مقعدى هناك ولكنا بلاشك قد عدنا إلى ربط أواصر علاقاتنا نحن الثلاثة ! روادنى ذلك الإحساس لأننى كنت أتوقع حدوث ذلك الأمر دون شعور منى وذلك فى ركن عميق فى غياهب صدرى.

ولكـن خيانتـى وتنكرى لم تكن قد أخذت شكلها النهائى المكتمل بعد .

كـان ذلـك بعـد أن عدت إلى بيتى ليلا ، لأننى لو كنت مازلت هائماً على وجهى فى الشوارع على هذه الحال لكنت قد قابلـتهما رأيت امرأة هناك برداء أسود تقف أمام بوابة البيت . لقـد كانت أم "كوراتا" خرجت أمى إلى بوابة البيت لاستقبالها وبعـد لحظات وجدت أمى تنادينى لقد كان القلق قد اعترى أم "كوراتا" بسبب غيبته ليلتين كاملتين عن البيت وما زاد من قلقها وانـزعاجها هـو اخـتفاء دفتر توفير البريد من درج دولابها وكـذلك أخـتفاء حقيبتين كبيرتين للسفر وكذلك قبعة "كوراتا" ودبوساً من الجواهر لربطة عنق ومبلغاً نقدياً كبيراً من المال . لقد قالت لى أم "كوراتا" هى منفعلة أنها قد علمت من خلال تلك

المذكـرات الخاصـة بـ "كوراتا" ومن خلال تلك الخطابات الموجـودة فى درج مكتبه بما يدور من أمور حالياً ، فوجدتنى أرد عليها متظاهراً بالحسرة والدهشة قائلاً: "ترى إلى أين ذهب "كـوراتا" ؟ ولكـن كلماتـى هذه لم تخل على المرأة "كوراتا" فأحـست مـن خلالها بتظاهر بالغباء وعدم المعرفة فقد كانت المـرأة تشك فى سلوكى من أعماقها ... فوجدتها تبادرنى قائلة فـى حـدة "أخبرنـى بصراحة ودون مواربة أين تخفى ابنى "شـينغو"" ولـم يكـن أمامى لحظتها بد من أن أجيبها بأننى لا أعرف مكانه . فاسترسلت المرأة بلهجة حادة هجومية تصبغها لكـنة جزيرة "كيوشو" تتهمنى بالمسئولية عما حدث لأبنها لقد كـان الـزبد الأبـيض مـن لعابها ينساب على جانبى شفتيها الشاحبتين وهى ترغى وتزبد غاضبة ، ولكن هجوم المرأة على العكـس لم يزدنى سوى قوة ورباطة جأش ، فنظرت إلى أمى ونظرت أمى هى الأخرى بدورها إلى .

ولقد استشففت من وجه أمى الممتلئ فرحة النصر والفخر بأبـنها الـذى قارنته "بكوراتا" أين تلك المرأة التى كانت تقف هـناك تنـتفض غـضباً بوجهها النحيل المليء بالظلال وهنا أحسست بأنى أستطيع أن انسحب من المكان بإطمئنان وهدوء ، وهـنا وجدتنى أقول لها : حسناً سوف أخرج الآن للبحث عنه ومـن باب الاحتياط أغلقت درج مكتبى بالمفتاح قبل أن أنطلق خارج البيت.

كـان الظلام يحل بالشارع . وكنت بالطبع لا أنوى البحث عـن "كـوراتا" أو عـن "فوجـى إى" كما وعدت المرأة . لقد

وجدتنى أسير فى شارع آخر غير الشارع الذى يؤدى إلى ذلك المقهـــى المعهود ، ولم تكن فى رأسى أية فكرة ما عن المكان الذى أقصده وأنا أسير على غير هدى .

هبت على ريح رطبة دافئة من السماء الحالكة التى أختفت مـــنها النجوم ووجدتنى بحركة عفوية أوقف سيارة أجرة وأقفز داخلها ثم أطلب من سائقها أن يذهب بى عبر النهر إلى الناحية الأخـــرى ! وتمـــتمت فى نفسى قائلا "قد التقى بهما بالمصادفة هـــناك" ولكنـــى فـــى هـــذه اللحظة لم أكن أشعر بالرغبة على الإطلاق فى مقابلتهما.

ومع تحرك السيارة وزيادة سرعتها وجدتنى أشعر بإنتشاء غريب وبينما زحزحت نفسى لكى أجلس ملاصقاً لشباك السيارة ... وجدتنـــى أشخص بنظرى شاردا فى أضواء البيوت وأعمدة الإنـــارة التـــى كانـــت تختفى إلى الخلف مسرعة مع انطلاق السيارة فى نفس الوقت الذى أحسست فيه بعواطفى التى أحبت يوماً هذين الصديقين تنوح محشرجة الصوت من أعماق غياهب قلبى.

ولكـــن مـــع زيادة سرعة السيارة شيئاً فشيئاً وجدت نشوة الإنطلاق والتحليق تحتلان كيانى كله حينما كنا نعبر كل جسر مـــن الجـــسور ، كانت الدعامات العرضية المثبتة تحت بطن الجـــسر تنعكس ظلالها على ضوء كشافات السيارة الأمامية ثم تظهر كبيرة ولا تلبث أن تختفى مسرعة متتالية وهى تئن تحت جسم السيارة المندفعة .

ولـــم أشـــعر بنفسى إلا وأنا أثب بجسمى إلى الأمام وأنا أجلـــس علـــى الأريكة الخلفية وأتكئ بعضدى على ظهر مقعد الـــسائق حتى أحسست وكأنى أنا الذى أطير مندفعاً إلى الأمام بدلاً من السيارة .

ومع شتاء ذلك العام ... كانت اليابان تخوض حروباً أخرى جديدة مع بعض الدول .

- انتهت -

THE MOTH
البشارة
- GA -

فـــى بداية الأمر حين استمع الطبيب المعالج لى بمستشفى جامعـــة "كانـــازاوا" وإلى شرحى للأعراض التى أشعر بها ، أجابنى دون تفكير قائلاً :-

- "إنك تعانى يا بنى من درن العظام"!

ولأننـــى كنت أتوقع تلك الإجابة فلم أشعر بدهشة كبيرة ... وظللت واقفاً أمامه مستمراً دون أن أعقب بكلمة واحدة . ولكن يـــبدو أن تـــصرفى هذا لم يعجب الطبيب الذى عقب قائلاً فى حدة:-

-"ألا يعجبك ما أقوله لك؟ حسناً"!

ثم أمرنى بعد ذلك بأن أخلع ملابسى.

وفـــى لحظات كان ذلك الطبيب قد استدعى سبعة أو ثمانية مـــن طلـــبة الكلية وجعلهم يتحولقون حولى ثم قال لى فى حدة أيضا:-

- "هل أنت جاهز"؟

ثـــم بـــدأ الطبيب على الفور يدقدق بمطرقة صغيرة فوق ظهرى بينما يشرح للطلبة من حين للآخر قائلا :-

-"أنظر جيداً .. هذه الفقرة هل هى ترتفع لأعلى أم تنخفض لأسفل"؟

فكـــان الطلبة يجيبون إجابات مختلفة متضاربة .. فبعضهم كان يقول :-

-"نعم إنها تنخفض لأسفل"

وبعضهم الأخر كان يصيح قائلا :-

-"لا" إنها ترتفع لأعلى"

بينما قال آخرون:-

-"إنهـــا تـــرتفع لأعلـــى .. ولكنها أحياناً أخرى تنخفض لأسفل"!

كانـــت تلك الإجابات المتضاربة تستحيل بالنسبة لى دون معنى ، ولكن الطبيب من ناحيته أخذ يفسر لهم حالتى على أنها من قريب أو بعيد لا تعدو أن تكون حالة مصاب بدرن العظام فقد انبرى يقول لى فى ثقة :-

-"لقـــد أدركت منذ الوهلة الأولى لدخولك الغرفة علىّ هنا منذ قليل طبيعة مرضك"

قد يفسر البعض سلوك هذا الطبيب النائب بأنه بارد وشاذ وغيـر لائـق ، ولكن الأمر بالنسبة لى لم يكن يعدو أن يكون سلوكا مباشرا دون تورية أو مجاملة أو محاباة.

إن أى طبـيب أخر كان سيشعر بنفس الإحساس فى قرارة نفـسه ناحيتـى . وبـصرف النظـر عن مكسبهم المادى فإن إحساسهم باللذة فى طبيعة عملهم هنا يتلخص فى جزء كبير منه فى ذلك السلوك الذى يقوم به ذلك الطبيب المباشر لحالتى .

إننـى لا أعـتقد أن أحداً من الذين أصيبوا بالمرض مثلى وأحـسوا بـه تمامـاً وذهبوا لعرض أنفسهم على طبيب ما قد واجهـوا إجابـة تطمئنهم بأنهم لا يعانون من أى شئ أو أنهم واهمـون وشـعروا بالخـزى من هذا الموقف . فى مثل تلك المواقف اعتقد أن المرضى يفاجئون بانكشاف مقدار جبنهم أمام الطبـيب . إنهم فى مثل هذه الحالة يشبهون ذلك الجندى الذى يـشعر بالخزى والعار أمام قائد فصيلته حين ينكشف أمره من إنه لم يقم بإنجاز مشرف فى ميدان المعركة .

علـى أى حـال فـإن سـبب عدم حبى للأطباء هو إنهم يـستطيعون كـشف ما أخبئه مهما حاولت خداعهم! .. نعم .. فسيان كان الأمر بالسلب أو بالإيجاب فإننى كنت أشعر بالضجر والانـزعاج من أن يكشف آخرون خبايا جسدى هذا الذى من المفترض أن يكون ملكا لى.

إن شـكواى مـن ألـم أعانـى منه هو من أجل أن أخبر الآخرين أن ألماً ما يعترى جسدى ، وليس من أجل رغبة منى

فـــى أن يساعدنى الآخرين فى تخفيف ذلك الألم عنى ! فإنه قد يحدث أن يتعايش شخص ما مع ألمه ويتخذه صديقاً له!

إن صداع الرأس مثلاً يجعلنى أعيش حالة من الخوض فى حلم ، وهناك نوع من الإثارة والتشويق حين أضغط على نفسى لأقـــاوم الرغبة فى إفراز البول أو البراز.. وإننى أحياناً أشعر بالتلذذ من أن اشتم رائحة الغازات التى أخرجها!!

إننـــى لا أحب الخروج للتمشية والتريض ، وليس هذا من وازع الـــشعور بالتعب والإرهاق – ولكن السبب كله فى أننى إنسان من النوع الذى يفضل الانعزال والتقوقع . ولأننى أقضى معظـــم الـــوقت داخل البيت فأحياناً اشعر بالرغبة فى الخروج واســـتطلاع الأحوال خارج البيت . إننى فى مثل تلك الأوقات أشـــعر بأن منظر واجهات محال الفاكهة والبقالة والحلاقة التى تعلـــوها يافطة "كذا ... غينزا" أو مشهد نافذة عرض متجر بيع الخمـــور والـــبقالة المختلفة أو منظر أصابع يد البائعة البيضاء المطلـــية أظافـــرها بالمانيكيـــر الأحمـــر وهى تناول الزبائن الخضروات الطازجة أشعر بأن كل هذه المشاهد والمناظر تثير الحبور والارتياح داخل صدرى.

وبالرغم من هذا فإن السبب الذى لا يجعلنى أفضل التسكع فى شوارع ذلك الحى هو نظرات المارة التى لا تسمح لى بأن أسير هكذا متسكعاً على غير هدى!

علـــى ســـبيل المثال فإننى أحياناً حين أسير فى طريق ما مستقيم أشعر بالرغبة فى أن أعود أدراجى بعد أن أحس بالملل،

وهنا .. أشعر بأن عيون المارة والتجار والبائعين الواقفين أمام محـــالهم ترشقنى وتتركز على ! إنهم ينهروننى وينتقدوننى فى صـــمت وكـــأن لسان حالهم يوشك على أن يصرخ فى وجهى قائلا:-

-"ترى .. ما الذى يجعلك تتسكع هكذا بحق السماء"؟

وهنا فأجدنى على وشك أن أصيح بصوت عال قائلا:-

-"آه" لقد نسيت شيئاً ما"

أو أننى أشعر أنه على أن التفت للخلف وأعود أدراجى فى هدوء وخفه وكأنى تقمصت دور شبح غير مرئى!

ولكـــن هـــناك ألم كبير يعتصرنى أحياناً فى تلك المواقف يـــتجاوز حركة الالتفاف والعودة المخزية تلك وهو الاضطرار إلى الانحناء معذرة.

إننى حين أفكر فى أمر الانحناء هنا أجدنى أشعر بالرغبة دائما فى أن أتحول إلى كلب!!

آه .. فـــولا اللـــوم لأطلقـــت العنان لأقدامى فى مثل هذه المواقف لكى أركض بكل سرعتى مختفياً عن الأنظار .

إننـــى أشعر كم هو الوقت طويل وثقيل وممل حين أكون سائراً فى طريقى ويقترب ناحيتى شخص ما من الجهة المقابلة قـــبل أن يعبر من جانبى ! إن ذلك الشعور بالعناء من تفكيرى فـــى أن ألفـــظ بلفظتين أو ثلاثة بصوت خفيض وهو يكاد أن يـــسمعه أو لا يـــسمعه ذلك القادم نحوى فى نفس الوقت الذى أحـــرص فـــيه علـــى ألا أهدئ من سرعة خطواتى وأنا أميل

بنـصف جـسدى العلـوى إلـى الأمام . أضف إلى هذا ذلك الإحـساس المقزز البغيض بأن وهم التحية المتبادلة – التى لا تحـدث بالفعل – تتحول من خلال نظرات ذلك الشخص الآخر وهى تتشابك مع نظراتى إلى خيوط بيت عنكبوت تتعقد وتجثم فوق أنحاء وجهى بينما تثير فى لحظة تشابكها هذا ريحاً دافئة لزجة مشبعة بالشك والارتياب!!

ومـن بـين هؤلاء الذين لا أرتاح إلى نظراتهم أهل بيت عائلة الطبيب "أوكاوا" والذين يسكنون بالمنزل المجاور للمنزل الكـائن أمـام منزلى .. وخاصة رب تلك العائلة وهو الدكتور "أوكاوا هاروكيتشى".

كـان مـن الواضح أن الانحناء المتبادل للتحية بينى وبين الدكتور "أوكاوا" يختلف تماماً فى شكله وإحساسه عن أى انحناء آخـر مع أى شخص آخر . لم تكن انحناءتى وانحناءه الدكتور "أوكـاوا" مـن طراز تلك الانحناءات الواهمة التى أتخيل أنها تحـدث مـع المارة فى الشوارع ، فقد كنت حين أصادفه وأنا أسير أمام البيت وهو يأتى قادماً من الاتجاه المعاكس أشعر أننا نقتـرب من بعضنا البعض بإدراك واضح قوى كل منا للآخر وكأن هناك ترسين يقتربان من بعضهما ويوشكان على التلاحم معـاً ، وفى مثل تلك الحالة يرفع كل منا للآخر يده بالتحية فى توقيت واحد لحظة تلامس الكتف بالكتف وينحنى كل منا برأسه للآخـر أيـضاً فى نفس التوقيت ، فيبدو للناظر إلينا أننا نقوم

بتحـــية رجولية صافية ذات روح رياضية عالية . ولكن الواقع أن الأمر عكس ذلك!

إننى فى مثل تلك اللحظات لم أكن أنظر إلى وجهه مطلقاً . ولكنـــى كنت أشعر بوضوح بابتسامته المقبضة الصفراء وهى تعلو وجهه الشاحب ، وما كان يجعلنى أشعر بذلك الوضوح هو ببساطة أننى كنت أبادله نفس الابتسامة الصفراء!

لقـد كـــان الجزء الخفى من منزل الدكتور "أوكاوا" يظهر بوضوح من نافذة غرفتى .

لقد كان منزله ذلك ذو بركة داخل الحديقة ، وكانت تعيش بـــتلك البركة مجموعة من الضفادع الكبيرة التى يبدو أنها يتم تـــربيتها خصيـــصاً لأكـــل ، وكان البيت نفسه محاطاً بأشجار ضـــخمة للصنوبر . وقد كنت أحياناً ألمحه من بعيد وهو يقف عند الجانب المعتم المجاور للبئر يتشاور مع والدته التى تعمل ممرضـــة وزوجته التى تعمل صيدلية وجميعهم يرتدون أروابا بيضاء فوق ملابسهم . وفى مثل ذلك الوقت فقد كانوا بمظهرهم هذا بثيابهم البيضاء وخلفهم ذلك البيت الذى يبدو مثل ثمرة عش الغراب .. كانوا يعطوننى انطباعاً كئيباً مقبضاً وكأنهم ثلاثة من الأقـــزام الغراب الطباع يعيشون حياة مليئة بالغموض فى ذلك البيت.

لقد كان الدكتور "أوكاوا هاروكيتشى" هذا قد انتقل إلى ذلك البـــيت الذى يقع عند ساحل منطقة "كوغيه نوما" منذ سنتين ،

ومنذ لحظة انتقاله إلى هنا صار جميع الجيران يتناقلون سيرته ويتحدثون عنه.

لقد علق الدكتور "أوكاوا" يافطة عند بوابة منزله مكتوب عليها" عيادة أوكاوا" ، وكانت تلك اليافطة كبيرة بشكل ملحوظ ، ويقال إنه علق ستة أجراس مختلفة الأحجام بين بوابة الحديقة الخارجية وباب منزله ، وكنت كثيراً ما أسمع صوت تلك الأجراس وهي تدق متعاقبة دليلاً على مرور زوار كثيرين يدخلون إلى العيادة مما كان يعطى انطباعاً بكثرة زبائنه.

ولقد كنت من خلال تلك الطريقة التى يعلن بها عن نفسه أتخيل أنه رجل قصير القامة مستدير الوجه مرح الشخصية . ولقد علمت إن معظم الجيران كان لهم نفس التخيل عن شخصية وصورة الدكتور "أوكاوا" إلا أننى – مثل بقية الجيران – أصبت يوماً ما بدهشة شديدة حين رأيت شخصاً ما طويل القامة هزيلا شاحب الوجه يخرج من بوابة ذلك البيت .. وعلمت فيما بعد أنه هو الدكتور "أوكاوا" بعينه وليس زبوناً من المرضى!!

على أى الأحوال فإن شخصاً ما حين يصطدم باختلاف تخيله عن الواقع بدرجة كبيرة فهو لا شك يصاب بنوع من الإحباط فى نفسه . أضف إلى ذلك نقطة أخرى فى غير صالحه وهو أن الصورة الحقيقية له تدل على أنه أصغر بعشر سنوات على الأقل من الصورة التى كان يتخيلها الناس .. فقد كان يبدو أنه لا يزيد عن أثنين أو ثلاث أعوام من عمره.

ناهيك عن ذلك .. فإن الأمر الذى لم يعد يختلف عليه أحد هـو أن عيادة ذلك الطبيب لم تكن ذائعة الصيت عالية الشعبية كما كان الناس يتخيلون.

وقـد حـدث أن قابلته فى طريقى للمرة الأولى حين كنت أتمـشى بالقـرب مـن بيتى ورأيته يمشى متعجلاً وهو يحمل صـندوقاً كبيراً للأدوية مع والدته ومساعدته ، وقد ترك شكله انطباعاً لدى بأن سنه صغير بفضل وجود تلك المساعدة العجوز بجانبه!

لقد كان يأتى إلى بيتنا أحياناً ذلك الرجل العجوز وزوجته ، وكانا دائماً حين يحضران يتبادلان حديثاً ما مع أمى ، ثم يقترب الدكـتور "أوكـاوا" بعد ذلك منى وأنا أستلقى فى الشرفة فوق كرسى الاسترخاء الطويل ثم يقول لى منوها بشىء ما:-

"أيهـا الصبى (لقد كنت وقتها قد تجاوزت الثالثة والثلاثين مـن عمرى ورغم ذلك فما يزال ينادينى بذلك اللقب) إن لون وجهك شاحب للغاية .. فماذا حدث لك"؟

وأحياناً أخرى كان يصيح فى وجهى قائلاً :-

"ها أنت ازددت هزالاً عن ذى قبل"

وكـان وهـو يـردد كلماته تلك يتفحص وجهى بنظرات يـشوبها الوهن تماماً مثل نظرات الكلب الذى يحدق فى واجهة عرض متجر للحوم!

ولمـا كنت لا أجيبه مهما كرر نفس الأسئلة فقد كان يغير تعبيرات وجهه فجأة ويقول فى حدة :-

"سلامتك"!

ثـم كـان بعد ذلك يعاود أدراجه إلى داخل الغرفة بخطى ثابتة متأنية وكعب حذائه يطرقع فوق الأرضية وكأنه يدق بذلك الكعب مسامير لكى يثبتها فى الأرض!

لقـد صارت هناك شائعة جديدة مريبة تدور حول الدكتور "أوكاوا" فى الفترة الأخيرة.

لقد كان مفاد هذه الشائعة أنه كان أثناء الحرب يعمل طبيباً بالقـوات البحرية وأنه كان يمارس كل أنواع الطب من باطنى إلى جراحة إلى أطفال إلى غيره ، ومع ذلك فقد صار فى فترة الـثلاثة أو الأربعة أشهر الأخيرة يرفض استقبال أى حالة كما يرفض الانتقال إلى المنازل للكشف على المرضى.

لقـد سمعت هذه الشائعة من أمى التى قالت لى أنها على أسـاس تجـارب فعلية مر بها ثلاثة من جيرانها . على سبيل المـثال فقـد ذكرت السيدة "س" من جيراننا إنها حين فوجئت بطفلهـا الذى يبلغ من العمر أربع سنوات يعانى ذات ليلة من ضـيق فى التنفس ، فهرعت إلى عيادة الدكتور "أوكاوا" وفسر الحالة بها بأنه التهاب فى اللوز بناءاً على شرحها لحالة الطفل وأخذ يصف لها الأعراض وطريق العلاج ، إلا أنه رفض تماماً الانـتقال معهـا لإجراء الكشف الفعلى على الطفل بالرغم من توسـلاتها المتكررة له ، وفى النهاية ترك السيدة وحدها تقف عند بوابة البيت وهى ترغى وتزبد بعد أن قال لها فى برود :-

- "معذرة .. سوف أتركك وأدخل لكى أنام"

وبالفعل تركها واختفى داخل غرفته!

أمـــا القـــصتين اللتـــين قصهما الجاران الآخران فقد كانتا متشابهتين فى مجملهما إلا أن العبارات التى أعتذر وتحجج بها فى كل مرة كانت تختلف قليلاً عن بعضها . فمثلاً قال مرة إنه مجهد ومرة أخرى اكتفى بأن يقول إنه يكسل عن التحرك وليس أكثر.

إننـــى لـــم أكـــن أدرك علـــى وجه الدقة مدى درجة عناد وصـــلابة رأس الدكتور "أوكاوا" الذى رفض القيام بالكشف فى كـــل تلك الحالات ، ولكن على حد علمى فالدكتور "أوكاوا" لم يكن له دخل يرتزق منه سوى ممارسة مهنة الطب ، كما أنه لم يكن لأمه أو زوجته سبيل إلى القيام بعمل آخر للتكسب طالما لم يقم هو بأداء مهمته المهنية.

لقـــد اســـتحال ســـلوكه هذا فى نظرى ضرباً من ضروب المغامـــرة بالحياة ولقمة العيش ، ولذلك فقد كنت أشعر بغرابة الأمـــر إذا تـــصور الناس أن سلوكه هذا ينبع من مجرد الكسل عدم الاكتراث .

ولـــذلك فـــبعد سماعى لتلك الشائعات فقد صرت أشعر أن ابتسامته تلك التى يبادلها معى حين التقى به صدفة فى الطريق يشوبها استفزاز كبير.

فـــى لـــيلة مـــن ليالـــى الصيف الحارة المشبعة بالرطوبة اللـــزجة.. كـــنت أفـــتح النافذة على مصراعيها واستغرق فى القراءة.

لقد كانت المنطقة المحيطة بالبيت تعج بالحشرات ، فحين كان ينتصف الليل وتنطفئ الأنوار هنا وهناك كانت تملأ المكان على وجه الخصوص حشرات مثل الفراش والدبابير وقارضات الـورق وتطير فى مجموعات كبيرة فتلتصق التصاقا بالحوائط والأسـقف وكأنهـا ترسم نقوشا فارسية سوداء ، ولأننى كنت اشـعر بأننـى لـن أستطيع قتلها جميعا مهما حاولت فقد كنت استسلم للأمر الواقع وأتركها لحالها.

وفجـأة حين أمسكت بمصباح المكتب وقربته ناحيتى لكى أستوضح حروفا باهته مكتوبة على صفحة من صفحات الكتاب سـمعت صوت رفرفة جناح حشرة تقترب من أذنى ، وإذا بى أشعر بتلك الحشرة تقفز لتدخل من فتحة أذنى اليمنى!

لقـد حاولت التقاط الحشرة وإخراجها بدس إصبعى داخل إذنـى ولكن مع تلك الحركة انسد طريق الخروج على الحشرة فاندفعت تغوص فى عمق أذنى!

ومع ذلك فلم أكن أصدق أن حشرة ما تدخل إلى أذنى حتى ذلك العمق ولا تخرج ، ولذلك فقد حاولت نسيان الأمر وكففت عن العبث بأذنى وحاولت العودة للاستغراق فى القراءة.

ولكـن فـى اللحظة التى شرعت فيها فى استكمال القراءة فوجـئت بتلك الحشرة ترفرف بجناحيها مرة أخرى داخل أذنى وكأنها تعلن فى صراحة عن وجودها هناك!

لقد كنت وكأننى أعيش كابوسا مزعجا . كنت بينما أحاول الإمساك بها والتقاطها أنظر حولى وخلفى بعيون حائرة – وكأن

عيونى هى التى كانت تفكر وليس عقلى - لعلى أجد ذبابة ما أو فراشة ما أو دبورا ما يطير هناك فأقنع نفسى أن تلك هى الحشرة التى دخلت أذنى منذ قليل وأننى لا أستطيع التقاطها لأنها خرجت بالفعل من أذنى.

وهكذا فقد صرت أقطع الغرفة ذهابا وإيابا فاردا ذراعاى وأنا أتمتم قائلا:-

"على رسلك ... على رسلك "وكأننى أتعقب طائرا فى الظلام وذلك طوال الليل ، حتى أن والدى لاحظ سلوكى الغريب هذا فصاح يناديني قائلا :-

-"ما خطبك يا ولدى"؟

لقد أفقت على صوت والدى وأنا أقطع ردهات المنزل ولأخبط الأرضية بقدماي ، فرددت على أبى قائلا :-

-"هناك حشرة داخل أذنى"!

-"ماذا ؟ حشرة"؟

-"يبدو إنها حشرة فراش البشار .. نعم اعتقد أنها بشارة ... ألا تنظر يا أبى داخل أذنى لكى تستطلع الأمر" ؟

-"أرنى أذنك"

نهض أبى من مكانه ووضع نظارة القراءة على عينيه ، ثم أمسك بالطرف السفلى لأذنى . فى هذه اللحظة بالذات شعرت بتوتر كبير ، وبعد ذلك وجدت نفسى أصيح متأوها . وبعد أن صحت متأوها وسمعت بنفسى صوت ذلك التأوه .. أحسست أننى فقدت سيطرتى على أعصابى.

– "لا يوجد شئ هناك يا بنى"!

ولكـــن قبل أن يكمل أبى جملته تلك ، وجدت نفسى أنهض واقفـــاً فـــى عـــصبية وأضرب رأسى بقوة بقبضة يدى وأصيح متأوهاً مرة أخرى.

لقد فزعت أمى واستيقظت من سباتها العميق على صرختى تلك . أن أمى فى بداية الأمر لم تكن تدرك ما حدث وهى تنظر إلـــى فـــى دهـــشة . وحـــين شاهدت أمام عينى منظر والداى العجـــوزين وهما يقفان فاغرين فاههما يحدقان فى وجهى وأنا أقفـــز كالمجنون ... أدركت بأننى فقدت بالفعل صوابى وازداد جنونى والتياعى!

فـــى الحقـــيقة فإننى مع كل رفرفة شعرت بها لجناح تلك الحسرة داخل أذنى ... كنت أحس كما لو كانت هناك رافعة ثقيلة تشد جسدى كله شداً وترفعنى فى الهواء ، وكدت أن أسقط على الأرض لـــولا أننى تداركت الأمر واستندت بساقى اليسرى بقوة على الأرض .

وهكـــذا فقـــد ظللـــت أئن كالمجنون حتى الصباح ، ومع شعورى بضعف حركة الحشرة تدريجياً داخل أذنى أحسست بأن قـــواى قـــد خـــارت تماماً فسقطت فوق الفراش كالمغشى عليه وغرقت فى النوم .

لا أعلـــم كم ساعة مرت بى وأنا غارق فى النوم ، ولكننى كلما كنت أفيق للحظات من نومى كنت أفكر بشأن تلك الحشرة وكأنهـــا تقبع فى مجال اللاوعى المظلم بداخلى ، وكانت إفاقتى

هـــذه تجعلنـــى أشعر بمدى ثقل رأسى فأعود وأسند رأسى بكلتا يدى وأهزها وأنا أحاول أن أقنع نفسى بأن تلك الحشرة اللعينة لم تعد هناك.

الحقيقة أننى حين هززت رأسى بشدة وشعرت أننى أعيش مـــع إيقاع موسيقى "الرومبا" أحسست بأنه لم يعد هناك صوت لرفـــرفة جناحـــى تلك الحشرة التى دخلت الليلة الماضية داخل أذنى .

لقـــد أطمأنـــيت بعض الشيء وخرجت إلى الشرفة وفردت جسدى فوق المقعد الهزاز الطويل ، وحينما شرعت فى أن أنفث دخان سيجارة أشعلتها لتوى .. فوجئت بأن وهمى قد تحطم فى لحظـــة .. نعـــم فحين شرع الدخان فى المرور داخل حلقى .. فوجئت بنفس حركة تلك الأجنحة تعاود الظهور.

لقد قذفت بالسيجارة .. ثم صرت أقفز كالمجنون مرة أخرى مثل الليلة الماضية.

كان أبى وأمى فى هذه اللحظة يتناولان طعام الغداء، ومن شـــدة هياجى وقفزى هنا وهناك فقد أخذ الغبار يتناثر فى أرجاء البيت ، فوجدت أبى يصيح بى من مكانه قائلاً :-

-"توقف عن صياحك هذا .. عليك اللعنة"

-"إننـــى مهما صحت فى الحشرة كى تتوقف عن هياجها فهل ستتوقف"؟

-"فلتذهب إلى عيادة الطبيب بدلاً من ذلك".

-"حسناً ... اتركنى يا أبى فى حالى"

لقد أدركت فى لحظة ما أن ردى يجب أن يكون بهذا الشكل علـــى أبـــى . نعم لقد أدركت فى هذه اللحظة أن أثبت رجولتى أمامه ، ولكننى فى نفس الوقت قد أكون غير كامل الرجولة لعدم تحملى عذاب تلك الحشرة . لقد قررت الذهاب إلى عيادة طبيب متخصص فى الأنف والأذن والحنجرة.

دعانى الطبيب إلى أن أجلس إلى مقعد مزود بأحزمة يشبه مقعد التعذيب المشهور والذى كان معروفا فى القرون الوسطى ، وقـد أصـبت برعشة شديدة حين لمحت ذلك المقعد الموجود بركن غرفة الكشف .

إننـــى كـــنت أتـــساءل فى قرارة نفسى عن كيفية قيام ذلك الطبـــيب بتـــشخيص حالتى .. وهو الذى كان واقفاً أمامى وهو يربط على جبهته تلك المرآة المستديرة الخاصة بالكشف .

إن مجرد تفكيرى فى هذا الخاطر جعلنى أشعر بالخجل من حالتى الشاذة هذه.

علـــى أى حال فقد قررت أن أسيطر على أعصابى والتزم بالهدوء . نعم .. أليس الأمر لا يتعدى وجود مجرد حشرة داخل جسمى؟

لقـــد قررت أن أخرج إلى ساحل البحر القريب من البيت . نعـــم ... فلأســـتلق عل رمال الشاطئ ولأشغل نفسى بتأمل ذلك البحر الذى يشبه الحرية فى حد ذاته ، ولأجعل قلبى يذوب ذوباً فى مشهد ذلك البحر !

بالفعل غادرت متوجهاً إلى الساحل . ولكنى فوجئت بأقدامى تقودنى إلى اتجاه آخر.

لقد وجدت نفسى أسير وسط حى "غينزا" بالعاصمة طوكيو، ووصلت أخيراً إلى إحدى الصيدليات . وكأنما كان الصيدلى هناك قد أدرك ما ألم بى .. فقد وجدته ينبرى قائلاً:-

-"ها هى خمس أعواد لتسليك الأذن"!!

حينما نظرت إلى تلك الخمسة أعواد المصنوعة من الغاب والتى أعطاها لى ... أدركت للمرة الأولى أن رأسى الآن ليست فى حالتها الطبيعية .

وبينما كنت أفكر فى كيفية تهدئة رأسى ... وجدت نفسى أدخل إلى مطعم للسمك وبعض الوجبات الأخرى واشترى قطعتين من الأيس كريم وأقوم بازدرادهما.

وبعد ذلك وجدتنى أقوم بارتكاب حماقة أخرى تفوق السابقة . نعم فيبدو أن رأسى لم يعد بها سوى مجموعة من الخواطر الماكرة الحمقاء . لقد قادتنى تلك الخواطر الحمقاء إلى تصرف أخرق آخر .. نعم فقد وجدتنى أدخل إلى دكان للحلاقة .

لقد كان دكان الحلاقة الذى أعتاد الذهاب إليه به حلاق غريب الأطوار ، فقد كان يقوم بتصوير رؤوس الزبائن الذين أتهى للحلاقة لهم ويقوم بتعليق تلك الصور على حائط الدكان ويكتب تحت كل منها "العمل الفنى رقم كذا "لقد خطر لى أن أطلب منه القيام بإخراج تلك الحشرة - بطريقة سرية بدلاً من طبيب الأنف والأذن!

بعد أن جلست إلى مقعد الحلاقة قلت له بنبرة هادئة.

-"حسناً" هل تتفضل بتنظيف أذنى"!!

ووقـتها كان الدكان خالياً من أى زبائن ... ولم يكن هناك سوى أنا وذلك الحلاق.

-"هل تريد مجرد تنظيف أذنك"؟

-"نعم .. ولكن أحرص على تنظيفها بكل حرص وتؤدة ، هـناك سبب ما للجوئى إليك .. فإننى لا ائتمن أحداً من الهواة على القيام بهذه المهمة الحساسة .

يـبدو أن خطتـى قد حالفها النجاح ، فقد أخبرنى استعداده للقيام بهذه المهمة .

لقـد أخـذ الحلاق يغالب ضحكاته وهو يأخذ منى سلاكات الأذن ويخـرج من أحد الأدراج بعض محابس الشعر والأدوات الأخرى.

ولكـن بمجرد أن شرع الحلاق فى إدخال فرع من السلك الملفـوف على طرفه قطعة قطنية مبللة بالكحول حتى أحسست بـتلك الفراشة الكامنة تصاب بالهياج وتتخبط فى كل الاتجاهات داخل أذنى . لم أشعر هذه المرة بصوت رفرفة أجنحتها فقط .. وإنمـا فاقـت ثـورتها هذه المرة كل الحدود حين صار صدى صـوتها وهى تصطدم بطبلة أذنى محاولة الخروج قوياً مدوياً مثل دقات النواقيس .. وصار ذلك الصدى يرج رأسى رجاً .

ومـــن فـــرط خوفى وذعرى وجدت نفسى أدفع بيدى ذراع الحلاق بعيداً ، ثم صحت بصوت عال قائلاً وكأننى أصبت بمس من الجنون:-

-"شكراً لك .. لا أريد شيئاً"!

لقـــد استطعت بالكاد أن أنطق تلك العبارة ثم أطلقت ساقاى للريح مغادراً دكان الحلاقة!

-"إذا كـــان الأمـــر كذلك فما بالك لا تذهب من البداية إلى طبيب الأذن"؟

لم أكن لحظتها أعبأ بما يقوله ذلك الحلاق أو بما يحدث من حولى ، فقد كنت اهتم فقط بوضع كفى بقوة فوق أذنى وأركض بكل قوة فى الطرقات متجهاً إلى بيتى.

وبالقـــرب مـــن البيت ... وبالتحديد حين كنت أوشك على الالتفاف عند ناصية أحد الشوارع الخلفية فوجئت بوجود زوجة الدكتور "أوكاوا" العجوز أمامى وهى تمسك بمظلة قديمة ترفعها فـــوق رأســـها بـــيد وبالبيد الأخرى تمسك سلة مجدولة بأعواد الخوص مليئة بالخضراوات والمشتريات المختلفة .

لقد تعمدت التوقف فجأة وحاولت أن أتصنع رباطة الجأش وأن أسير بخطوات هادئة ، ثم بادرتها قائلاً :-

-"آه" إن الجو حقاً فى شدة الحرارة هذا اليوم"

ولكـــن المـــرأة العجوز أخذت تحدق فى وجهى بنظراتها المعهودة المتفحصة تلك ثم قالت:-

-ما خطبك اليوم؟ هل تشعر أيضاً بتعب ما"؟

لقد حدث أن تبادلت حالتى النفسية منذ هذه الليلة عما كانت عليه منذ أن استقرت الحشرة داخل أذنى ... باختصار ... فقد صرت مؤمناً بان تلك الحشرة تقبع هناك وسلمت بهذا الأمر الواقع . أننى كلما تحركت الحشرة داخل أذنى واهتاجت كعادتها وقمت على إثر ذلك القفز والصياح والتأوه وذرع أركان البيت ذهاباً وإياباً كلما راودنى شعور ما بالتسليم لهذا الأمر الواقع ، أى أن الصراخ والقفز فى هستيريا صارا وظيفة لى يحكمها الروتينية ، وطالما كنت أقوم بذلك السلوك كلما ازداد إدراكى بوجودى ... أى إننى أصبحت مزوداً – على العكس – بشعور بالسكينة والاستقرار!

أضف إلى ذلك إننى صرت أشعر بإحساس يشبه الألفة مع تلك الحشرة التى تعيش معى داخل أذنى!!

مثلاً حين كنت انفث سيجارة فى الصباح ، كانت الحشرة تبدأ فجأة فى التحرك بجسدها ومن هنا كنت أشعر بأنها تتجاوب بتلك الحركة مع سلوك يبدر من ناحيتى . ومنذ أن بدأ يراودنى هذا الشعور صرت أدرك أن تلك الحشرة بالرغم من ضعفها وضآلتها إلا إنها تصر على إثبات وجودها فى ذلك المكان العميق من أذنى والذى لا تصل إليه يدى وأن نفس تلك الحشرة التى تحاول السيطرة على تصاب بالغضب أحياناً من بعض حركاتى المفاجئة فتركل بكل قوتها الجانب الداخلى من صدغى وتنكش بأرجلها وتنبش فى الجزء الممتد من حلمة أذنى حتى منتصف صدغى.

مـــع اقتراب انتصاف الليل أخذت الحشرات الطائرة مرة أخرى تقفز نحو مصباح الغرفة وتتجمع حوله . إن نظرتى نحو تلك الحشرات صارت مختلفة كثيراً عما قبل . وخاصة حشرة فراشـــة البـــشارة تلك حين تختبئ خلف ظل مظلم لصندوق أو لمكـــتب وتـــبدأ فـــى تحريك ساقيها الأماميتين وهى تحك فى الخـــشب.. نعم لقد صرت أصدر زفرة عميقة من صدرى وأنا أشاهد سلوكها هذا وهى تستريح هناك بجسمها.

لقـــد صـــرت أشعر بإحساس غريب حامض لزج بأن تلك الحـــشرة رغـــم عجزى عن التخلص منها إلا أنها قد فرضت على فرضاً أن أكون صديقاً لها!!

أغلب الظن أن تلك الحشرة قد صارت تعتاد على وجودها بمسكنها الجديد هذا داخل أذنى وأنها أصبحت تشعر بالاستقرار هـــناك فـــصارت تحرك سيقانها لتحك جدار التجويف الداخلى لأذنى أحياناً بغرض المداعبة وليس العنف والتمرد والغضب.

نعـــم صارت الحشرة كلما تتحرك بساقيها وجسمها داخل أذنـــى تجعلنى أشعر بإحساس مختلط بين الألم وبين الدغدغة . بـــل إننى لهذا السبب صرت أعيش أحياناً فى خيال أننى بدأت شـــيئاً فشيئاً أقدم لتلك الحشرة مخى هذا (الذى صار فى أغلب الأمـــر مكـــسياً بالبـــياض مـــن قشور جسدها بسبب حركتها المستمرة) طعاماً لها!

نعـم .. لقـد صـارت تراودنـي تلك الأحاسيس الغريبة وتـسيطر عليّ .. وهى الأحاسيس التى اعجز تماماً عن تفسير كنهها .

وبعـد ذلـك فقد صرت منذ لحظة استيقاظى فى الصباح وحتى محاولتى للخلود إلى النوم فى الليل .. لا بل وحتى أثناء اسـتغراقى فـي الـنوم .. صرت أشعر بإحساس من الانتشاء لمجرد تصورى أن هذه الحشرة تراقب حركاتى كلها عن كثب؟

وفجأة إنتابنى خاطر غريب مفاجئ آخر .. نعم كان الأمر كـذلك فلـم لا أفاجئها بتصرفات أكثر بذاءة وأكثر سفالة لكى أضايقها وأثبت لها وجودى؟

فـي الـوقت الذى كانت فيه الفراشة تقطع مشاويرها فوق طـبلة أذنى اليمنى روحة وجيئة وتحجز الطريق تماماً هناك ، فقـد تذكرت فجأة أمر الدكتور "أوكاوا" لقد أحسست أننى أدرك تمامـاً شـعور ذلك الرجل حين يتلذذ بمضاعفة مرضاه الذى يكشف على أجسامهم متعمداً .. نعم .. لقد صرت الآن فى نفس وضع ذلك الطبيب .

لاشـك إن الدكـتور "أوكاوا" قد وعد زوجته (المضغوطة الأنـف قليلاً والقليلة الحجم فى نفس الوقت والتى تتمتع بجمال وجاذبـية) بأنـه سوف يفتح عكا وتعاظم وأغتر أمام أمه بأنه سوف يصول ويجول ، ولكنه بعد افتتاحه العيادة بقليل لم يزره أحد من المرضى وخذله الجيران من حوله . لاشك أن الدكتور "أوكاوا" قد شعر بالحرج أمام أهل بيته وأمام جيرانه بسبب هذا

الحـــال وأنه صار لا يستطيع تحمل شعوره بشك من حوله فى قدراتـــه المهنية وأنه من فرط معاناته تلك التى سببت له التوتر والأرق فـــى نهاره وليله قد أضطر أخيراً إلى ممارسة هوايته الـــشاذة تلـــك التـــى لا يضاهيها أى سرور وانتشاء فى التلذذ بمضايقة من يقع تحت يديه من مرضى والاستخفاف بهم ومن هـــنا فقد قررت اقتحام عيادته ودق أجراسه الستة تلك الكبيرة والصغيرة المعلقة على بابه فى جرأة وتبجح لكى أتحداه وأطلب مـــنه التخلص من حشرتى هذه ! نعم .. قررت أن اتحدى حتى الـــنهاية حتـــى ولـــو أدى الأمر به فى النهاية أن يلقينى خارج عـــيادته لكـــى أسقط فى تلك البركة التى تعيش بها الضفادع الكبيـــرة ! فلأدفعـــة لكى يقوم بقتل هذه الحشرة بيديه هو وهو مملوء بمشاعر الذل والمهانة والغضب !

فى صباح اليوم التالى ذهبت لزيارة عيادة الدكتور "أوكاوا" (ولكن النتيجة كانت حقاً انتهاء الألم بشكل ممسوخ ممل) .

كانـــت الـــبوابة المعلق فوقها يافطة العيادة مفتوحة نصف فـــتحة ، ولكن لأن ذلك الباب كان ملتوياً بعض الشيء فإنه لم ينفـــتح أكثـــر من ذلك مهما حاولت دفعه بقوة . ولذلك فلم أجد مناصـــا مـــن أن أحاول الإنزلاق بجسمى شيئاً فشيئاً من خلال الفتحة للباب الموارب حتى استطعت الدخول .

ولكـــن لأن معظم الأجراس والنواقيس الصغيرة والكبيرة المعلقة على البوابة كانت مفككة أو مكسورة فلم تصدر أصوات الـــرنين منها لكى تعلن عن دخولى ، ولذلك فقد قمت بالطرق

علـى زجـاج الـبوابة بـيدى بينما كنت أصيح بصوت عال للاستئذان فى الدخول .

لقـد فوجـئت بأن من خرج ليفتح باب البيت هو الدكتور "أوكاوا" بنفسه.

لقـد كـنت أنـوى التظاهر برباطة الجأش وأن أتلو عليه قـصتى ، ولكن لأننى كنت قد صحت بصوت عال عند البوابة (ربما كان هذا هو السبب الحقيقى) فقد كان صوتى وأنا أتحدث إلـيه ممـزوجاً بالانفعال بشكل ظاهر وكأننى مثل جندى يقوم بتقديم تقرير إلى قائده العسكرى .

وحـين انتهـيت من كلامى .. لم يكن يبدو على الدكتور "أوكـاوا" أى رد فعـل عن انزعاجه مما أخبرته به عن حالتى وقال فى هدوء :-

-"آه" حقاً ؟ لقد أدهشتنى"

ثم استطرد قائلاً وهو يشير إلى ناحية غرفة الكشف:-

-"على أى حال .. تفضل هنا"

فى هذه اللحظة طرأ لى خاطر أن أعود أدراجى وأنسحب ، ولكنى تبعته وتوجهت ناحية غرفة الكشف .

وحين دخلت تلك الغرفة وجدتها أيضاً حسب عهدى بغرف الكـشف الأخـرى ... قلـيلة الأثـاث تبعث شعوراً بالانقباض وبالبـرودة فى الأوصال وتفوح تلك الرائحة التى تميز العيادات الطبية. بادرنى الطبيب يسألنى :-

-"أتقول أن حشرة دخلت أذنك ؟ ... متى كان ذلك"؟

-"أول أمس ... حوالى الحادية عشرة ليلا"

-"ماذا؟ ... هل تركت الأمر هكذا طوال تلك الفترة؟ أراك طويل البال أيها الفتى"!

-"أبدا ... كنت أود أن أعجل بمعالجة الأمر أسرع من هذا .. ولكـــن مـــا جعلنى أتردد هو أن هذا الأمر قد لا يرقى إلى درجة عرض نفسى على الطبيب".

-"حقا حقا .. ولكنك لم تحسن تقدير الموقف"

لقد أدركت هنا أن هذا الموقف ليس معقدا إلى هذه الدرجة، فأنـــا ببـــساطة حالة مرضية والسيد "أوكاوا" لا يتعدى أن يكون طبيبا .

- "هـــيا هيا أرنى أذنك ... نعم أعطنى صدغك الأيمن . آه ... ليس هناك ورم ظاهر .. إذا كان الأمر كذلك فلا تجزع".

وبمجـــرد أن أنهى الدكتور "أوكاوا" جملته هذه حتى صاح مناديا زوجته بصوت عال:-

-ساتشيقووو"!!

وبعد لحظات دخلت إلى الغرفة زوجته وهى تحمل ماسورة قـــصيرة من الورق المقوى وكشافا يدويا أما ما حدث بعد ذلك فهو أمر غاية فى السذاجة والتفاهة.

لقـــد وضع الدكتور "أوكاوا" طرف الماسورة الورقية فوق أذنى واخذ ينظر من طرفها الآخر الخارجى على هدى الكشاف اليدوى. لقد فوجئت أن الأمر قد انتهى ببساطة متناهية . نعم فقد

انطلقت من خلال الماسورة الورقية حشرة من "فراشة البشارة" لا يزيد طولها عن سنتيمترين إلى الخارج.

لقد تمنيت أن تنطلق هذه الفراشة من النافذة المفتوحة وتخرج إلى الفضاء وهى ترفرف بجناحيها ولكنها ما لبثت أن خرجت إلى الضوء وحاولت الطيران حتى سقطت على أرضية الغرفة!

لم يكن هناك رد فعل واضح لدى سوى شعورى بأننى على وشك أن أصاب برعشة برد حين نظرت إلى الحوائط الرمادية المحيطة بى.

لقد انبرى الدكتور "أوكاوا" يقول لى :-

- إن مثل هذا الأمر كثيراً ما يحدث فى المناطق الريفية ففى فرنسا مثلاً وفى مناطق بساتين الفواكه فأحياناً يتحجج الفلاحون هناك أمام صاحب المزرعة بأنهم قاموا بصب نبيذ العنب فى الآذان لكى يقتلوا حشرة ما دلفت إلى هناك لكى يبرروا نقص كمية من النبيذ المخزون"!

لقد كنت أستمع فى ملل إلى حديث الدكتور "أوكاوا" بينما كنت أحدق فى الأرض تحت أقدامى حيث كانت الفراشة تلم جناحيها الرماديين على جانبيها فى تثاقل بينما كانت أقدامها بين حين وآخر ترتعش وترتجف!

- انتهت -

GARASU NO KUTSU
"الحذاء الزجاجى"

مـــن وقـــت لآخر يشق ذلك السكون صدى ضجيج سيارة تقطع الطريق فى سرعة كبيرة.

– "ماذا حدث"؟

هكـــذا رددت علـــى مكالمة "إيتسوكو" التى تلفنت لى وهى راقـــدة فى فراشها بينما كنت أقبض على السماعة بكفى المبلل العرق وأضطجع إلى الخلف بظهرى على ذلك المقعد الطويل أفرد ساقاى فوق المكتب !

– "أنـــى أريد أن أقابل دبا !! هل سبق أن رأيت دبا يسير هو يحمل على كتفه سمكة كبيرة"؟

– " لا بالطبع".

– "لا تجبنـــى بـــتلك النبـــرة التى توحى بالملل ، إن الدب حيوان بحق خفيف الدم . إنهم يقولون إنه يستطيع أن يتحدث مع البشر ... ترى هل هذا صحيح"؟

- "لا علم لى بذلك"
- "مــاذا تقــول ؟ ألم تخبرنى بأن بلدتك توجد بجزيرة " هوكايدو "بالشمال؟ ... ومع ذلك أتدعى عدم المعرفة"؟

لقــد كــنت أتأمــل صــفاً من بنادق الصيد هناك بهياكلها البتــرولية اللــون من خلال الباب الزجاجى للدولاب بينما كنت استمع إلى صوت "إيتسوقو" الرنان الذى كان يدوى عبر الصفحة المعدنية الرقيقة لسماعة الهاتف.

إن جــسد "إيتسوقو" هذا الذى يشبه جسد الأطفال بصدرها الممسوح ويديها وساقيها الرفيعتين الطويلتين بشكل غير عادى حين كنت أضمه إلى .. كنت أشعر بأنه سوف ينكسر وبأننى لا أســتطيع السيطرة عليها وكأنما قد تحول جسدها إلى مجموعة مــتكاثفة مــن أعــشاب أعماق البحر اللزجة تلتف التفافاً حول جسدى وأطرافى فأشعر فى النهاية بالضجر وعدم الارتياح .

مــا الــذى تقــوله الآن بحق السماء بشأن تلك الدببة ؟ لقد أخــذت أصب اللعنات داخل نفسى وأنا استمع إليها . نعم أعتقد أنه كان على أن أقوم برد فعل معين . ألم يكن هذا هو ما تتمناه "إيتسوقو" ؟ إنها تقول إنها تريد أن تلتقى بالدب ... نعم اعتقد أن هذه كلمة سر تعنى بها شيئاً .

لقد بادرتها قائلاً :-

- "هــا هى إجازة الصيف على وشك الانتهاء ... ترى كم بقى من الأيام عليها" ؟
- "لا تذكر هذا ... لا" !

لقد تعمدت أن أتطرق لذكر هذا الموضوع الذى كنا نتجنب الحديث عنه ونعتبره من المحظورات التى لا نقترب منها.

نعم ... لقد كانت مهنتى هى "الانتظار" !

لقد كانت مهنتى أنا الذى كنت أعمل فى ذلك الوقت حارساً ليلــيلاً لمتجر بنادق الصيد "ن" هى حماية المتجر أثناء الليل من اللصوص ومن اشتعال الحريق . ولكن ترى هل كنت حقاً أقوم بذلك العمل على ما يرام؟

إن ميـــزان قياس الرطوبة وميزان قياس الحرارة المعلقين على باب مخزن طلقات البارود كانا يشبهانى تماماً !

لـــم يكـــن لى أن أمنع الحريق من الاشتعال أو أتوقعه من خـــلال قراءة الحرارة ، كذلك لم تكن لدى الشجاعة إطلاقاً لكى أقاوم لصاً إذا اقتحم هذا المكان . نعم ... لم أكن أتعدى أن أكون منتظـــراً لنـــشوب حريق أو قدوم لص !! ولأنهذين الضيفين لم يـــشرفانى حتى هذه اللحظة فبفضل هذا ما زلت هنا فى عملى أقبض أجرى دون أن يقطعوا رقبتى.

وهكـــذا فقد كانت مواصفات هذا العمل مناسبة جداً بالنسبة لى حيث لم أكن أملك مسكناً معيناً مستقراً .. نعم فأهم شيء فى هـــذا المكان أننى أجد مساحة للجلوس والنوم فى الليل وأستطيع الحـــصول علـــى وجبتى الإفطار والعشاء ، أما بالنسبة لمكان راحتـــى وقت النهار فقد كنت أدبره فى المدرسة حيث كنت أنام فوق مقعدى داخل الفصل ... أو بمعنى أخر كان الهدف الرئيسى لذهابى إلى المدرسة هو النوم فوق ذلك المقعد!.

لقـد كانـت حركتها تبدو لى ضعيفة وهنه . وعندما كانت تحـاول إشـعال عود الثقاب لى أمسكت بطرف ذلك العود بيد مرتعـشة وكأنها تخشى اشتعال اللهب وكان وجهها حقا مشوبا بالخوف والرهبة وهى ترقب عود الثقاب .

لقـد طـرأ لى خاطر بأن تلك الفتاة من بيت أرستقراطى وعرق طيب من خلال سلوكها هذا . يومها قضيت وقتا طويلا معهـا دون أن اشـعر . وحينما نهضت لكى أشرع فى مغادرة المكان عادت وابتسمت تلك الابتسامة الخجولة وهى تطلب منى أن أقوم بزيارتها بين وقت وآخر .

لقد وجدت نفسى أنفذ ما طلبته منى ... نعم فقد كان ذهابى إلى ذلك البيت وقضاء النهار معها وأكثر من لجوئى إلى الذهاب للمدرسـة مـرغما لكى أنام فوق ذلك المقعد الصلب الموجود بحجرة الدراسة .

وهكذا فقد توطدت علاقتى بالخادمة "إيتسوقو" وكأن لم يكن فـى حسبانى أبدا أن أجد نفسى فيما بعد منجذبا لها ومغرما بها إلـى تلـك الدرجة ، فقد كانت تلك الفتاة تفتقر إلى الإمكانيات والمواصفات الأنثوية التى تجذب الرجال.

وبعـد مرور أسبوع من يوم لقائى بها لأول مرة حدث أن ذهـبت لزيارتها فوجدتها ترتدى ثوب الكيمونو الصيفى الخفيف والذى كان منقوشا عليه رسوما لمضارب التنس وأخبرتنى أنها ترتدى ثوب النوم هذا لشعورها بوعكة.

ولما داعبتها قائلا بأن ذلك الثوب بنقوشه تلك يجعلها تظهر أمامـــى كطفلـــة صغيرة وجدتها تبدأ حديثا معى حول ذكرياتها عندما كانت تلميذة بالمرحلة الابتدائية.

لقـــد قالت عن نفسها إنها كانت تلميذة متفوقة ، ولقد كنت أستـــشعر مـــن بشرتها البيضاء الصافية التى تظهر من تحتها عـــروقها الدقـــيقة الزرقاء ومن خلال تصرفاتها التى تدل على رقيها أنها ليست مثل أى خادمة عادية بل وكأنها كبيرة مديرات قصر ما . وقد استطعت أن أجد نقطة مشتركة بينى وبينها وهى كـــراهية اليوم الأول للدراسة واكتشفت أنها كانت الأخيرة على فصلها مثلى!

نعم ... نتشابه فى كآبتنا التى تتزايد مع كل يوم تقترب فيه إجـــازة الدراســـة من الانتهاء وفى تسرعنا وانفعالاتنا التى كنا نشعر بها فى قلوبنا الصغيرة حين يجد كل منا نفسه وحيداً فجأة بعد أن يختفى كل من حولنا فى يوم من أيام الصيف القائظ . لقد كانـــت تعود تلك الذكريات لكى تدغدغ قلوبنا ، ولم نكن نشعر بالـــشوق إلـــيها لابـــتعادها عنا بقدر ما كنا نشعر بها قريبة منا نتلامسها معا .

وفجأة بادرتنى قائلة بعد تفكير :-

– "هل سبق أن رأيت طائر الـــ "هيغوراشى"؟

لقد أدهشنى سؤالها هذا .

إن "إيتسوقو" فى العشرين من عمرها . لقد رسمت على وجهها ضحكة غامضة وأنا أسألها عما تعنيه بسؤالها هذا ، ولذلك فقد أخذت أشرح لها قائلا :-

- "إن الـ "هيغوراشى" هذه ليست طائرا ... إنها حشرة" ... لقد فتحت عينيها عن آخرهما من فرط الدهشة . لقد كانت عيونها صافية جميلة .

لقد فردت "إيتسوقو" ذراعيها عن آخرها وهى تقول:-

- كنت أظن أن الـ "هيغوراشى" هو طائر كبير بهذا الحجم"!

نعم ... لقد كانت تفرد ذراعيها لكى تعبر عن حجم ذلك الطائر الذى تتوهم وجوده وكأنما كان ذلك الطائر فى حجم البطيخة البيضاوية الكبيرة المشهورة بها إقليم "كوروبيه"[1]

لقد شعرت لحظتها وكأننى واقع تحت تأثير سحر ما. لقد أحسست بمئات الخيالات تحتشد أمام عينى لأرى أمامى فراشات فى حجم الحمير وخنفساء فى حجم الكلب!!.

لم اشعر إلا بجسدى وهو يهتز بشدة من فرط الضحك وأنا أشعر بانتشاء شديد ، وهنا فوجئت بها تنخرط فى البكاء وترتمى برأسها إلى كتفى وهى تقول :-

---

(1) بطيخ الـ "كوروبية" هو نوع من البطيخ البيضاوى الشكل الذى ينتجه إقليم يحمل نفس الاسم فى محافظة "طوياما" الواقعة على بحر اليابان على بعد حوالى ٤٠٠ كم من طوكيو.

– "إن كـل مـا تقـوله لى كذب ! ... نعم فلقد رأيت ذلك الطائر بالفعل فى منطقة "كاروى زاوا"!

كانـت دمـوعها الغزيـرة تنحدر فوق خديها . ولذلك فقد شعرت بارتباك شديد وحيرة فيم يجب على أن أفعله .

لقد ضممتها من كتفيها بشدة إلى صدرى ، وظللنا على هذا الحـال بـضع دقائق . لقد ظهرت عيونها أكبر فى نظرى من حجمهـا العادى مع تلألوء الدموع فيهما . لقد تعمدت أن أشتم رائحـة جـسدها وأنا أراقب وجهها الذى تنبت فوقه الشعيرات البيضاء الدقيقة التى تدل على نضارتها وطفولتها . قد تكون هذه الرائحة رائحة طفلة وليست رائحة فتاة بالغة . ولكن فى لحظة مـن اللحظات هاجمت أنفى رائحة اللبن الطازج جعلتنى أشعر بالأنثـى فـيها . ولذلك فقد وجدت نفسى دون وعى أرفع بيدى خصلات شعرها المنسدلة على صدغها وقبلتها فى طرف أذنها ! وبالرغم من ذلك فلم تبد "إيتسوكو" أى بادرة للتأفف أو المقاومة.

ولكـن بعد ذلك بلحظات بدأت أشعر بالقلق ، فقد أحسست بأن ذلك التصرف الذى أقدمت عليه وضيع ومبتذل. كذلك فإننى لم أستطع أن أدرك حقيقة مشاعرها واحساساتها . فترى هل هى فعـلاً فـتاة بكـر لا تفقه شيئاً من أمور البالغات ؟ لقد ارتبكت وشـعرت بالحـرج حـين طرأ لى خاطر بأن رد فعلها لم يكن يتعدى شعورها بابتلال طرف أذنها بلعابى الذى سال عليه! وفى لحظـة كدت أصدق بالفعل أن هناك نوع من فراشات الصيف

الطـــانة التـــى تبلغ فى حجمها البطيخة هناك فى إقليم "كاروى زاوا"!!.

ولكنى عدت لأدرك أن الكاذب هو "إيتسوقو" وليس أنا.

– "ماذا بك ... هل تشعر بوعكة ما"؟

لقد سألتنى ذلك السؤال حين سعلت فجأة وأنا أمسك بسماعة الهاتـــف بينما كنت أتخيل أن الحمى التى أصبت بها ظهر هذا اليوم كانت بسبب لعنة ما نزلت بى .

لقد فأجاتنى بعد ذلك بسؤال غريب وقالت :–

– "هـــناك عدد كبير من الضفادع يقفز حولى ولا أستطيع النوم . نعم هناك أشياء غريبة لزجة باردة تلامس وجهى . أننى حين أضأت النور لكى استطلع الأمر وجدت هناك ضفادعا من ضفادع البرك لا أعلم من أين تسللت ودخلت إلى غرفتى .:. إن عـــدداً كبيراً منها يتقافز فوق فراشى ... إنها ضفادع صغيرة لا يتعدى حجم الواحدة منها طول عقله إصبع"!!.

لقـــد أقـــنعت نفـــسى بـــأن ما تقوله "إيتسوقو" هو أمر من المـــستحيل تـــصديقه . فحتى إذا ما كانت تذكره عن الضفادع حقيقـــياً فقـــد كانت الساعة الثانية منتصف الليل والوقت متأخر تمامـــاً بالنسبة لمكالمة بهذا المضمون الغريب . لقد أدركت أنها تـــتعمد اخـــتلاق تلك الأكاذيب بخصوص تلك الضفادع لمجرد رغبـــتها فـــى إثارة قلقى ، وإذا كان الأمر هكذا فلا شك أن ما ذكرته أيضاً ظهر اليوم عن فراشة الـــ "هيغوراشى" هو أمر من صنع خيالها ، وها هى تعاود استخدام حيلتها هذه أكثر من مرة

لكـــى تستطلع رد فعلى وتستمتع بوقوعى فى الحيرة على سبيل المـــثال فقد كانت أكثر من مرة تلح فى سؤالى عن أسماء كثيرة ومتعددة لنباتات وأشجار وحيوانات مختلفة . وكنت حين أجيبها عـــن أسئلتها فى جدية وضيق كانت تضحك بصوت عال وهى منتشية وتقول :-

- "إنـــك تتظاهر بمعرفتك لكل شيء وتحاول رسم الجدية على وجهك".

لقـــد كانت "إيتسوقو" تزين معصمها بطوق بلاستيكى يشبه لعبة الأطفال .

كـــان يـــبدو أيـــضاً أن تكرار قول أو فعل شيء ما مرات ومـــرات دون كلل هو خصلة من خصالها . على سبيل المثال فـــإن لعبة بسيطة من ألعاب الورق مثل لعبة الصبر كانت تقوم بأدائها مراراً وتكراراً فى نهار بطوله .

حـــدث يـــوماً أن تحطمت كسارة البندق . نعم ففى يوم ما علمـــتها طريقة كسر البندق عن طريق حشره فى مفصلة ضلفة الباب وإغلاق الباب بشدة عليه ، وهى الطريقة التى تعلمتها من زملائـــى فـــى معسكر الكشافة أيام أن كنت تلميذاً فى المرحلة الابتدائية .

لقـــد أعجـــبت "إيتسوقو" بتلك اللعبة وانغمست فيها ، ففى الـــبداية أخبرتنى أنها ستقوم بكسر بعض المكسرات لاستخدامها فـــى صـــنع الحلوى ، ولذلك فقد كنت أظن أن الأمر سينقضى بكسر ثلاث أو أربع قطع من النقل ، ولكنى وجدتها تضع البندقه

تلـــو الأخرى فى مفصلة ضلفة باب المطبخ ثم تفتح الباب عن آخره وتعود فتغلقه بسرعة وهى تركض فى نصف دائرة وهى تلهث وتصيح:-

"هيا ... هذه واحدة أخرى"!

حتى صارت فى النهاية تستطيع كسر البندق بمهارة كبيرة.

وكنت حين أضطر أحياناً إلى تشجيعها وامتدح مهارتها فى كـــسر البندق لكى أرضيها كنت أفاجأ بأنها تفشل فتفتت الثمرة نفسها مع القشرة ، فتعود وتصيح بحماس قائلة:-

-"حسناً ... سأنجح المرة القادمة "

كـــان الأمـــر يـــصل بها أحياناً إلى أن يتصبب العرق من جبهـــتها بينما كانت من قبل تتفاخر بأنها لا تصب العرق مهما قامت بأى مجهود ، وكانت تواصل اندفاعها وركضها وهى تفتح وتغلـــق ضـــلفة ذلك الباب السميك الضخم المصنوع من خشب الـــسرو بكل قوتها وطاقتها ، وكنت فى آخر الأمر أسائل نفسى عن نهاية هذا العرض الصاخب المتعب المرهق للأعصاب الذى كانت تقوم به أمامى ، فقد كان يبدو أن نهايته لا تلوح فى الأفق.

كـــان الكلب "سيبكس" يعود باستمرار وهو يرقب منزعجا ذلك العرض ، وقد شعرت فى نهاية ذلك اليوم أننى أصبت بمس من الجنون من كثرة البندق الذى أجبرتنى هى على تناوله!

لقد أكثرت فى النهاية من ارتيادى ذلك البيت دون أن أشعر بحـــرج . لقد كنت أغادر متجر الأسلحة فى الصباح الباكر فور انتهاء نوبة حراستى متوجها إلى مكان "إيتسوقو" . وبعد أن كنت

أســتحم ، كنت أفرد جسدى فوق المقعد الطويل الموجود داخل غــرفة الاســتقبال حتــى صار ذلك التصرف اليومى عادة لا أقطعها.

كــنت أحياناً أفاجأ بشعور غريب يراودنى حينما أفتح باب ذلــك البــيت وأدخل منه وهو أننى تحولت منذ تلك اللحظة من حارس ليلى إلى مجرد لص ، وفى يوم من الأيام حين أفقت من نومتــى المعــتادة فــوق الكرسى وجدت أن "إيتسوقو" قد قامت بالفعل بصب القهوة وهى تقول :-

"آه ... إن هذه القهوة خفيفة".

أســتطيع أن أقــول إننــى كنت أحياناً أشعر أيضاً بشعور غريب ناحية "إيتسوقو".

ففــى مرة من المرات كانت تضطجع "إيتسوقو" فوق ذلك البــساط الوثير فى نصف نومه وهى تتكئ بكوعها على طنفسة مكــسوة بالجلــد ، وكانت تتكفئ على كتاب تقرأه فى استغراق شــديد . لقــد شعرت فى هذه اللحظة وأنا اتأملها بوضعها ذلك وكأنها تسكن بهذا البيت منذ طفولتها وأنها نشأت وتربت به .

لقــد كان هناك ركن عند جدار من جدران غرفة الاستقبال الواســعة هذه مصمم فى شكل ديوان من دواوين الدرجة الأولى بعربات القطار فقد كان ذلك المقعد الجلدى الطويل الكبير يوحى بهذا ، وكان ذلك المقعد بارزاً للخارج بمقدار نصف متر تقريباً، وكــان يــوجد بــذلك الــركن مدفأة محفورة بالحائط ، وكانت "إيتسوقو" مغرمة بتلك المدفأة . وقد كانت هناك كومة كبيرة من

شـــرائح الزجاج المطلى باللون الأسود توضع فى صدر المدفأة كديكـــور يوحـــى بأنها قطع من الحطب والفحم ، وكانت هناك مصابيح كهربائية مطلية بألوان متعددة مختفية خلف تلك الكومة تـــصدر انعكاســـات مخـــتلفة بالأضواء الملونة من خلال ذلك الـــزجاج ... وكان يغلب اللون الأحمر على تلك الألوان بحيث يوحى إليك المنظر كما لو كان هناك حطب مشتعل بالفعل داخل المـــوقد إذا وضعت إصبعك على مفتاح الكهرباء ، وكان يتخلل ذلـــك اللـــون الأحمر ألوان خضراء وصفراء تساعد على زيادة ذلـــك الإيحـــاء ، ومـــع ذلك فلم يكن الديكور يصدر أى شعور بالدفء ... نعم لم يكن يتعدى أن يكون ديكوراً .

لقد كنا كثيراً ما نتضاحك قائلين :-

"فلنذهب لنستقل القطار" !

ونـــتوجه بالفعل لذلك المقعد لكى نجلس عليه وكانت أحياناً فى ذلك المواقف تقول متفكهة وهى تحمل فى يدها صندوقاً من الحلوى :-

"يجب أن نأخذ معنا وجبة الغذاء".

ثـــم تـــبدأ فى التهام الحلوى وهى تنظر إلى اللوحة المعلقة فـــوق المقعـــد والمرسوم بها جبل ما وتصيح قائلة وهى تشير إليها:-

- "ها هو جبل "فوجى" يبدو واضحاً هناك".

ولكـــن لأن المسافة بين المقعدين المتواجهين اللذين نجلس علـــيهما وجهاً لوجه كانت بعيدة بعض الشيء فقد فضلنا النزول والجلوس على الأرض .

ولأن ديكور ديوان القطار هذا كان محفوراً داخل الحائط ، فقد كان الركن هو أكثر الأماكن ظلاماً الغرفة ، وكانت بالغرفة بمقاعدها ومنضدتها وأثاثها من حولنا تبدو من ركننا هذا وكأنها واد مظلم سحيق ، وكان ذلك الضوء الأحمر المنبعث من ديكور المـــدفأة فقـــط هو الذى ينعكس على وجهها فيغطى نصف ذلك الـــوجه . عندما تمرغت على الأرض فوق ذلك البساط الوثير شـــعرت بـــرطوبة لزجة تنتقل إلى من خلال شعيرات البساط الـــصوفية وتغطى جسدى كله ، وبعد ذلك بلحظات وحين وقفت عيـــناى على وجهها الذى انعكست عليه الظلال وهو محمر من ضوء المدفأة تذكرت من خلال شفتاي إحساس أرنبة أذنها التى لامستها بهما ... فاشتعل جسدى واندفع الدم إلى عروق رأسى .

لقـــد شعرت برغبة جارفة فى أن أمد يدى إليها ، وبالرغم من ذلك فقد كنت أشعر لسبب ما أننى لا أستطيع أن أحرك يدى رغم أن "إيتسوقو" هنا بجانبى على بعد سنتيمترات منى ، ولذلك فإننى فى نهاية الأمر وبعد طول تردد أقنعت نفسى بالعدول عن تلك الفكرة . لقد تساءلت فى نفسى عما إذا كنت أستطيع ترجمة هذه المشاعر على أنها إحساس الحب !

لقد بدأت أشعر فى تلك اللحظات أن انطباعى عن "إيتسوقو" فـــى بـــدايات تعارفـــى بها قد تغير مقارنة بالآن وأن ملامحها

صـــارت تبدو جميلة جذابة ، كذلك وجدت نفسى قد صرت آخذ دوراً فـــى حـــواديت الأطفال التى كانت تتلوها على، بل إننى صرت أشعر بالمتعة والانتشاء من اشتراكى معها بهذا الدور .

إننى كنت أشعر بأن قيامى بدور المستمع إلى حكاياتها كان يجعلنى على العكس أحس بأنها صارت ملكاً لى!

لقـــد وافقـــت على اقتراح "إيتسوقو" حين عرضت على أن ألعب معها لعبة الاختفاء . لقد أصبحت أتصرف هنا وكأن هذا البيت بكل أثاثه ومتاعه قد صار ملكا لى أنا وهى!! كانت هناك الكثيـــر مـــن الأماكن التى يمكن الاختباء بها ، تحت السرير ، خلـــف الـــستائر داخـــل الدواليب ... وحتى فى الحمام المليء بالأحجام والأشكال المختلفة من المرايا لقد ارتقيت درجات السلم وقطعت الردهة الموجودة بالدور الثانى حتى نهايتها حيث توجد غـــرفة صـــغيرة تستخدم لتخزين الأشياء واخترت جراباً جلدياً كبيراً يستخدم كقربة للماء فى ساحات المعارك لكى أختبئ به.

كان ذلك الجراب الجلدى معلقاً ومدلى من السقف ، وكنت اعتبـــر اختبائى بداخله حيلة مبتكرة قد يستعصى على "إيتسوقو" تخيلها.

لقـــد تـــسلقت ذلك الجراب المعلق وحينما شرعت فى رفع قدمى لأدخل بها أولاً من فتحة الجراب أخذ ذلك الجراب يتأرجح كالبندول فلم أستطيع الاستقرار أولاً ، ولكنى بعد أن نجحت فى إدخـــال جـــسدى بداخلـــه تماماً شعرت براحة تامة فى الجلوس بداخله!

حينما دببت إصبعى لكى أصنع فتحة فى الجراب من ناحية سحابة الإغلاق كى أستطلع الأمر وجدت - كما توقعت - "إيتسوقو" تذرع الردهة ذهابا وإيابا وهى متحيرة ولا يبدو عليها إطلاقا أنها قد طرأ لها خاطر إن أكون مختبأ هنا ، لقد دخلت غرفة النوم عدة مرات ثم عادت وفتحت باب الحمام بقوة وسرعة وقفزت داخل الحمام صارخة وهى تتخيل أننى مختبئ هناك لكى تفزعنى . وفى نهاية الأمر غلب عليها أمرها فسمعتها وهى تنادى على بأسمى وهى تنزل السلم متوجهة إلى الدور الأرضى حتى صار صوتها بعيداً أكاد لا أسمعه . لقد كنت فى بداية الأمر أقاوم الرغبة فى الانفجار فى الضحك حتى لا تكتشف مكانى ، ولكن بعد فترة من الوقت بدأت أشعر بالملل فغالبنى النعاس دون أن أشعر .

كانت طبيعة عملى هى الاستيقاظ ليلا وحتى الفجر ، ولذلك فعل العكس صارت عندى عادة النوم أثناء النهار .

لا أدرى كم مر من الوقت حتى أفقت من نعاسى لأشعر أن سكوناً غريباً يلف أرجاء البيت . لقد نزلت على السلم إلى الدور الأرضى وبدأت أسير فى تلك الردهة الطويلة التى يعلوها سقف عال مرتفع فى نفس الوقت الذى كنت أشعر فيه برائحة الغبار تفوح من ياقة قميصى .

وحين فتحت باب المطبخ وجدت "إيتسوقو" تجلس هناك مكسورة الإرادة أمام المائدة التى وضعت عليها فطيرة ضخمة من الجيلى ، فصرخت حين رأتنى قائلة:-

"آه ... وجدتك وجدتك"!

ثم نهضت من مكانها وأخذت تقفز كطفلة صغيرة فى حيوية وصخب ومرح ثم أخذت تقول لى إن هذه الفطيرة قد تعلمت سر صنعها من سيدتها الأمريكية وأنها فطيرة فى غاية اللذة ولكنها لن تسمح لى أبدا بان أذوقها عقابا وتأديبا لى ! ثم عقبت قائلة:-

- "إنـك شـقى مستفز ... ولذلك سوف أصير أنا الأخرى شـقية مـستفزة معـك من الآن فصاعدا إن هذه الفطيرة قمت بتسويتها هذا الصباح".

فرددت عليها أنا الآخر مداعبا وقلت لها:-

- "لا تكونـى قاسـية هكذا وأرجو أن تسمحى لى بأن آخذ قطعة منها".

وبيـنما كنا نتبادل المشاكسة هكذا بدأت أشعر بالفعل بجوع شديد ... وقد يكون هذا بسبب تلك الإغفاءة القصيرة التى غلبتنى منذ قليل .

لقـد أخـذت "إيتسوكو" تصر فى تدلل على التمسك بموقفها قائلة:-

- أبدا ... لا تحاول ... سوف ألتهم الكعكة وحدى".

- "أرجوك" تكفينى ولو قضمة واحدة"!

وبيـنما لـم أكـد أنهى جملتى هذه حتى وجدتها ترفع تلك الكعكـة الكبيـرة التى يصل قطرها إلى حوالى ثمانى بوصات بكلتـى يـديها ثم تقربها من فمها وتخرج لسانها ، وتلعق طبقة الجيلـى التـى تغطى الكعكة والتى كانت توشك على السقوط ،

فخرجت زفرة منى شعرت من خلالها بعض الشيء بأننى حانق ومحبط . وحين لاحظت "إيتسوقو" رد فعلى هذا تعمدت إغاظتى فضحكت فى استفزاز بينما كان جزء من فقاعات الكريم يلتصق بطرفى فمها من الجانب . ثم فاجأتنى قائلة:-

- "ما رأيك" هل تتناول قضمة من هذا الجزء"؟

كانـــت تقـــول هذا بينما كانت تشير إلى الطرف الخارجى لقطعة كبيرة من الكعك تقبض بشفتيها على الطرف الأخر منه .

إننـــى لم أضيع أى وقت فى التفكير فصرنا نتبادل القبلات ووجهنا كله ملطخ بالجيلى والكريم!

حـــدث ذلك فى أول يوم من رابع أسبوع بعد غياب العقيد "كريغو" عن البيت .

لقـــد أحسست أننى لا أستطيع أن أقضى يوما و "إيتسوقو" غائـــبة عنـــى لقـــد صار أى شيء ليست له علاقة بها يبدو فى ناظرى مملاً سقيماً . إن صاحب المتجر إذا حدث وصادف أن جـــاء لاســـتطلاع المتجـــر أثناء نوبتى الليلية لأصابته الدهشة الـــشديدة حتماً . إننى لم أكن أجلس مستقراً فى أى مكان لفترة طويلة داخل المتجر فقد كنت دائم التوتر والحركة .

إننـــى قبل هذه المرحلة كنت أدفس جسدى فى أكثر المقاعد الهـــزازة فخامة أثناء الليل حيث لا يوجد أحد هناك ، ثم أشغل نفـــسى بقراءة كتاب ما أو أسلم عينى للنوم . أما الآن فإننى لا أستقر فى مكان معين أكثر من خمس دقائق بالعدد .

كنت أتحرك باستمرار فى زوايا المكان .. أتلمس بأصابعى تارة ظهور البنادق المعلقة وتارة أخرى أتأكد من إحكام إغلاق الأبواب والنوافذ ثم أعود فأقرأ بيان ميزان الحرارة المعلق أمام مخـــزن البارود والطلقات . وبالرغم من ذلك فقد كنت ربما لا أســـتطيع الانتباه لتسلل لص ما إلى داخل المتجر ... نعم فإن ما كنت أنتظره فقط هو مكالمة هاتفية من "إيتسوقو" وليس أى شيء ولا أحد آخر!

كـــنت أحياناً أشعر بشدة الرهبة والإثارة وأشعر كذلك بقوة قلبـــى الذى يكاد يقفز قفزا وأنا أراقب جهاز الهاتف الجاثم فوق المكـــتب بيـــنما أجلـــس أمامه على المقعد الهزاز . كذلك كان ينتابنـــى نفـــس الـــشعور حتى وأنا أدخل المرحاض حيث كنت أتشكك فى أن يكون جرس الهاتف قد دق دون أن أنتبه. نعم ... كنت فى ذلك الموقف أعيش لحظات فى غاية التوتر. ومع ذلك فلـــم يكـــن هـــناك ما يثير حفيظتى ويصيبنى بالحنق أكثر من مضمون مكالمتها الهاتفية!

كانت المكالمة معها تطول عادة لتستمر ساعة زمنية كاملة ، وأحـــياناً أخرى كانت تقترب من ساعتين نتبادل خلالها حديثاً فـــى موضـــوعات غريبة تشعرنى فى النهاية بالضجر والتوتر وتجعلنـــى أكاد أفقد أعصابى ... تماماً مثل الجائع الذى تدغدغ أنفه رائحة طهى لذيذ دون أن يستطيع تذوقه!.

كانت كلماتى أثناء المكالمة معها تضيع وتذوب فى غياهب ظـــلام اللـــيل المحيط بى ، بينما كانت كلماتى تنتقل إلى وكأنها

ظلال وخيالات بدون جسد محسوس . لقد كنا بطريقتنا هذه نبدو كأننا نتجاذب عصا واحدة فى لعبة مملة لا تنتهى . لم أكن أستوعب موضوعاً واحداً من الموضوعات التى تفاجئنى بها وتطيل الحديث عنها ، كذلك كان يبدو أنها لا تعى أمراً واحداً مما أقوله لها!.

وفى بعض الأحيان كانت تنهى المكالمة فجأة بتقليد صوت صياح حيوان ما! وفى مثل تلك المواقف كنت أشعر بأننى أريد التهام سماعة الهاتف الذى مازالت تتردد بين صفائحه المعدنية أصداء صوتها التهاماً وكأنما كنت أريد التهام رغيف طازج ساخن فى فمى دفعة واحدة.

لقد كنا نعدو خلف بعضنا البعض فى دائرة مفرغة .

كان واضحاً أن تلك القبلة الأولى التى تبادلناها بتلك الطريقة الغريبة مسألة خاطئة . قد يحدث أن يقدم المرء على تصرف غريب مثل هذا إذا كان قد سئم من الأسلوب العادى المتبع ، ومع ذلك فإن شكل تلك القبلة كان أغرب من أى شيء.

ومن ساعتها صار إحساسى بشعرها الأملس الطرى الذى يغلب عليه اللون الأرجوانى وبشرتها البيضاء الشفافة التى تبدو من تحتها عروقها الدقيقة الزرقاء التى تشبه سائلاً ما ... صار إحساسى بهما مختلطاً بإيحاء مذاق الحليب وسكر الحلوى ... وتحول الإحساس باللمس والرائحة لكى يلفنى لفاً ويحتوينى إحتواءاً.

والغـــريب فى الأمر أن ذلك الإحساس كان يتلاشى بمجرد أن ألمس جسدها ! وكأنما كانت طفولتها البريئة هذه هى مصدر جاذبيتها الوحيد . ومع ذلك فقد كنت أشعر بأن جاذبيتها الطفولية تلك عائق فى طريقى إليها .

نعم فقد كانت تشابهنى جاذبيتها تلك بصاروخ نارى من تلك الألعاب النارية التى تطلق إلى السماء يسبب انفجاره الواسع فى شكل مظلة مترامية الأطراف من الضوء دهشة كبيرة لى تسبب عجزى عن الحركة والكلام . لم أن هناك سراً ما فى إصرارها علـــى تكـــرار إظهار جاذبيتها الطفولية تلك فى كل حركة تقوم بها؟

كانت أحياناً تنحى جسدها قليلاً بعيداً عن يدى وهى ترمقنى فى دلال وتقول:-

"مرة واحدة فقط ... نعم مرة واحدة".

ولكنها حين كانت تقول ذلك كنت أشعر على العكس بخمود رغبتى المتأججة . كنت أشعر فى تلك اللحظات بأن قواى تخور أمـــام مقاومـــتها التى يشوبها التدلل ... حتى يغلب على أمرى وأشـــعر فـــى النهاية بالإحباط . كنت فى النهاية أجدنى أغادر المنـــزل متوجهاً إلى متجر الأسلحة دون أن أجد متنفساً لطاقتى المكـــبوتة . تـــرى ... كـــيف كانت تفكر بأمرى ؟ ربما كانت ســـتفاجئنى اليوم التالى حيث أزورها بأن تطلب منى أن نلعب لعـــبة الاختفاء الحمقاء هذه بعد أن تربط عصابة قماشية حمراء على عينيها.

نعـم كـنت حين أزورها فى اليوم التالى أقوم على الفور بمطاردتهـا داخل غرف وردهات البيت ، ثم تجبرنى على أن ألعـب معها لعبة أمثل فيها أننى آكلها من رأسها حتى أخمص قدميها!

كـنت أجلـس شـارداً فى اللاشىء . كنت قد فقدت معظم فرص النوم أثناء النهار . وحتى فى الليل لم أستطع أن أنام رغم أنـى أحـياناً كنت على وشك نسيان واجبى الوظيفى الذى يحتم علـى سـهر الليل . إننى حينما كنت أبتعد عن "إيتسوقو" كنت أصـاب باضـطراب شـديد ولا أفتأ أذرع أرجاء المتجر ذهاباً وإياباً، وفى الأوقات التى لم أتحرك فيها كنت أجلس أمام المكتب أسند رأسى بكلتى ذراعى وأفاجأ بأننى – لسبب ما – أغرق فى خيالات غريبة وكأننى أرى سيلاً من قذائف المدفعية تمرق فوق رأسى .

كان الوقت يمر سريعاً بإحساس مثير للقلق ، وكنت غالباً لا ألحـظ مرور الأيام . نعم لم أعد أستطيع التفريق بين يوم ويوم آخـر فقد صار الليل يختلط بالنهار والنهار يختلط بالليل ، وقد يكون هذا بسبب عدم استطاعتى النوم . كان اليوم أحياناً أخرى يمـر طـويلاً بالنـسبة لى حيث كان رأسى فى مثل ذلك اليوم يشتعل بالترقب واللهفة.

فى يوم من الأيام أصبت بالدهشة . لقد رأيت "إيتسوقو" فى ذلك اليوم تأكل بقايا المكسرات المفتتة بعد أن خلطتها بالحليب .

كان هذا يعنى أن ذلك الكم الهائل من المأكولات والمشهيات التى كانت مخزنة بالبيت قد صار على وشك الانتهاء !

كان الباقى من تلك المأكولات فى دولاب المطبخ عبارة عن بعض الزيتون المنقوع فى الخل وبعض الأنشوجة وبضعة رؤوس من الثوم وبعض قطع جوز الهند المقطعة إلى شرائح تشبه شرائح الفجل ... أى أشياء لم تكن تصلح أبدا لكى نعتمد عليها كغذاء أساسى . أما الكلب "سبيكس" فقد أدرك أيضا بوادر الأزمة فأخذ يتجول بين مطابخ المنازل المجاورة كى يبحث عن غذائه!

نعم ... كانت إجازتنا الصيفية على وشك الانتهاء !

كان هناك شاب اسمه "كاكوياما" من بين الرفاق الذين يعملون بالحراسة مثلى فى العقارات الموضوعة تحت الحراسة تبع إدارة الاحتلال الأمريكية . كان من لا يعرفه عن قرب يظن أنه قد زحف خارجاً لتوه من فتحة من فتحات المجارى حين يراه ... وذلك حتى لو كان قد استحم لتوه! نعم ... كان رجلاً يبدو عليه أنه ولد من بطن أمه ببقع وبثور توحى بأنه رمز للقذارة بكل معانيها وحروفها.

ومع ذلك فقد كان يحرص يومياً على حلاقة ذقنه وكان يحرص على ألا يرتدى قميصاً به بقعة واحدة . وليس ذلك فقط، بل إنه كان يحمل من بين متعلقاته المحدودة مرآة كبيرة وبالرغم من فقره إلا أنه كان يحرص أيضاً على اقتناء أنواع متعددة من كولونيا الوجه وأشكال مختلفة من علب الكريم وكان شعر رأسه

الـذى يدهـنه دائما بكريم الشعر ملتوياً على بعضه مثل شعر العانة!

كـان "كاكوياما" هذا يرتدى سروالاً داخلياً مخططا خطوطا موازية متوازية باللون الوردى وكان يتفاخر دائما بأنه "صناعة أمـريكية" ، ولـذلك فحينما يرد فى الحديث ذكر البضائع ذات الـصناعة الأمريكية ، كان يفك حزام منطاله ويشد المنطال إلى أسفل لكى يشير بإصبعه إلى ذلك السروال الداخلى ثم يصف ما هو عليه من حاله بأنه الأناقة بعينها!

لقد كان "كاكوياما" دائم الانتقال من مكان للحراسة إلى مكان آخـر حـيث كـان فى كل مرة يقع فى حب امرأة توجد بذلك المكان، ولكنه فى النهاية كان يقابل بالرفض والكراهية فيضطر إلى البحث عن مكان آخر ليكرر نفس الشىء.

وكـان فى كل مرة يقع فيها فى حب امرأة جديدة يأتى لكى يزورنـى فى المتجر لكى يقص على حكاية حبه الجديد ! وكان يـسترسل فـى حكاياته تلك التى لا يبدو منها أنها حكايات عن مغامـرات عاطفية أكثر منها شكوى وغيبة ... ذلك رغم أننى كنت أشعر بالملل من حديثه ذلك.

لقـد كـان حين يندفع فى رواية قصة حب جديدة له ينفعل انفعالاً شديداً بوجهه الشاحب المنتفخ هذا بينما يتطاير رذاذ لعابه من بين شفتيه المحمرتين التى كانتا تبدوان كما لو دهنتا بأحمر للـشفاه ! وكـان منظره ذلك ينعكس فى نظرى كوميدياً مثيراً للضحك ... وإن كان فى نفس الوقت يوحى بقمة المأساة !

ولكـــن "كاكوياما" هذا استحال فى نظرى لكى يصير رمزاً للخبير فى الشئون النسائية لقد صرت أحكى له كل ما دار بينى وبين "إيتسوقو" .

إن ذاكرتى المشوشة تلك كان يحجبها بين وقت وآخر وأنا أتحـــدث مـــع "كاكـــوياما" صـــورة "إيتسوقو" التى كانت تظهر وتتلاشـــى ، وفـــى الـــوقت الذى يقترب فيه خيالها من التفتت والتبعثر داخل الذاكرة وأحاول فيه بكل قوتى أن أحول دون هذا - كـــنت أحملق فى وجه "كاكوياما" بنظرات متوسلة وأنا أقول له:-

- "ترى .. ماذا على أن أفعل بحق السماء"؟

ولكن إجابة "كاكوياما" كانت فى منتهى البساطة والوضوح ... فقد قال :-

- "لا بأس ... لا تقلق فسوف تصير لك .. باق على الأمر خطـــوة واحـــدة ... أليس كذلك" فرددت عليه متعجباً وأنا أردد عبارته قائلاً :-

- "سوف تصير لك ؟ ...ماذا تعنى"؟.

لقـــد كنت أحاول أن أقنع نفسى بأننى أفهم قصد "كاكوياما"، إلا أننى فى واقع الأمر لم أكن أفهمه على وجه الدقة!

حينـــئذ وجـــدت "كاكوياما" ينظر إلى وجهى متفحصاً ، ثم اعتدل فى جلسته واقترب بوجهه من وجهى وصاح قائلاً:-

- "ما باليد حيلة"!

ثـم انفجر ضاحكاً فى هيستيريا دون توقف . وفجأة توقف عن ضحكه هذا وقال لى فى لهجة ساخرة :-

- "لكن ... عليك أن تنتبه إن كذبة المرأة مهما كانت ساذجة بـسيطة ... فطالما كانت كذبة فسوف يعنى ذلك أنك فى أغلب الأمر قد خدعت".

بعـد أن تركت "كاكوياما" خرجت إلى طرقات المدينة. لقد ذهـبت إلـى متجر لكى أبتاع بعض الأغراض والأطعمة لكى أحملهـا إلى "إيتسوقو" . كنت قبل ذلك قد استدنت ما استطعت اسـتدانته مـن نقود من بعض المعارف ، كما أننى اضطررت لرهن بعض كتبى وقواميسى واستبدلتها ببعض النقود .

أحسست وكأن فترة طويلة مضت منذ أن تجولت أخر مرة فى شوارع هذا الحى . كان الجو حقاً شديد الحرارة، نعم فيبدو أن الصيف الحقيقى سوف يبدأ من الآن .

صـار مـشهد رفـوف المأكولات بذلك البيت الكائن بحى "هاراجوكـو" والذى أخذ يصير خاوياً شيئاً فشيئاً يوماً بعد يوم يثير التوتر برأسى ... مثلى فى ذلك النتيجة الورقية المعلقة على الحائط والتى كانت تتناقص أوراقها ورقة ورقة فى اتجاه موعد انتهاء الإجازة الصيفية .

فبعد انتهاء الإجازة الصيفية لن يتبقى لنا ... أنا وهى ... أى شىء!!

كـــان واضحاً إن كل شيء سوف يزول ويختفى ... تماماً مثل ملابس "سندريللا" بعد تجاوز عقارب الساعة الثانية عشرة بعد منتصف الليل.

وهكـــذا أصـــبحت الآن أشعر أكثر من أى وقت مضى أن الزمن أمر هكذا فى غاية الأهمية .

أدركـــت الآن أيـــضاً حين أكون وحدى فى متجر الأسلحة أثـــناء اللـــيل وحتى أجدنى متورطاً فى لعبة "إيتسوقو" هذه التى تكررها كل ليلة مثل طقس من الطقوس الروتينية أن هذا الوقت الـــذى صـــرت أشعر بثقل مروره على وبأننى أريد أن أصب لعناتـــى أكثـــر مـــن شعورى بالرغبة فى أضاعته معها لطوله وخوائه قد صار على وشك أن يتلاشى بين يدى.

لقد خطر لى خاطر فجأة أننى أستطيع أن أشترى أى شيء طالما أخرجت النقود من حافظتي . لقد أصابنى التجهم والشرود لمجـــرد أن ذلك الخاطر البسيط الساذج قد لاح أمام عينى وكأن ســـهماً مـــن السماء قد أصابنى . أحسست بعد ذلك أن وهماً ما داهمنى من فرط شعورى بالسعادة والانتشاء.

نعـــم ... لقد كان وهماً فى غاية الغرابة والحماقة مفاده إنه إذا عـــادت تلـــك الأرفف واكتظت بالأطعمة والمواد التموينية فسوف تعود إجازة الصيف لتبدأ مرة أخرى!!

شعرت بتلك الأوهام المفاجئة وأنا أقف داخل متجر البقالة .

لقـــد حاصـــرتنى الجـــدران الأربعـــة المكتظة بالمأكولات بأنواعها المختلفة بالإضافة إلى المظلة المائلة الخارجية لواجهة

المتجـــر والتـــى كانت تتدلى منها أعواد السجق والسمك الكبير المملح وجعلتنى أشعر بالعجز عن الحركة تماماً . نعم ... وفوق ذلك فقد أحسست وأنا أتأمل تلك الأطعمة واللحوم الطازجة النيئة المـــدلاة والمكشوفة وسط زحام الزبائن والمارة وكأن صحناً به حـــذاء مرشوش عليه الصلصة والتوابل قد وضع أمام عينى ... فأصبت بالذهول والحيرة !

إننى لم اشعر بتلك الأحاسيس قبل أن أتعرف بـــ"إيتسوقو". صرت أشعر بالخجل والحرج أمام البائع داخل البقالة كلما سألته عن ثمن سلعة ما أو أخرجت له مبلغاً ممن النقود لشراء بعض الأطعمة . وفى لحظة من اللحظات حينما كانت تلك البائعة ذات الـــوجه السداسى الأضلاع تعطينى باقى مبلغ دفعته لشراء سلعة ما .. شعرت بأننى لست بذلك المستوى الوضيع الذى يقدم على شـــراء مثل هذه السلعة . ولكننى لم أكن أشعر حتى بقيمة هذه الـــسلعة . ولكننى لم أكن أشعر حتى هذه اللحظة أننى أنا نفسه الـــذى صار يقع تحت هذا التأثير القوى لـــ"إيتسوقو" ! بل أننى على العكس صرت أتصرف بهذا الشكل بسبب وجود "إيتسوقو" فـــى حياتى لقد وجدتنى أندفع بحماس وقوة مغادراً بوابة متجر الـــبقالة وأنـــا أفرد كلتى ذراعى عن آخرهما وأنا أحمل تلا من المأكولات والمواد الغذائية ووكأننى جندى مشتعل بالحماس بعد أن أخذ شحنة معنوية مبالغة من جنرال يرأس وحدته العسكرية.

كان بيت العقيد "كريغو" يقع فى نهاية طريق جانبى صاعد شديد الإنحدار متفرع من طريق واسع تحده من الجانبين أشجار

الـــ "كياكى" الضخمة . كان البيت يقع فى نهاية ذلك الطريق الجانبـــى ، وهـــو الطريق الذى كان مسدوداً من الجهة الخلفية للبيت وليست له منافذ إلى شوارع أخرى من ذلك الاتجاه.

كـــنت ألهـــث وأنـــا أصـــعد ذلك الطريق متجهاً إلى البيت الموجـــود أعلاه ، وكانت أشعة الشمس الصفراء القائظة تلفحنى وكـــان العرق يتصبب منى ، وكلما كنت أتقدم فى المسير كلما كان الجزء العلوى من المنزل يبدو أكثر وضوحاً وتتضح شيئاً فشيئاً أجزاءه السفلية بالتدريج من جدران ونوافذ وكأننى أرتقى درجـــات تفضى إلى خشبة مسرح فتظهر أجزاء الديكور المبنى فـــوقه أمـــام عينـــى شيئاً فشيئاً . كنت أشجع نفسى كى أغالب الإرهاق والتعب كلما شعرت أننى اقتربت أكثر من موقع البيت، وكـــنت أثـــناء ذلك أشعر بتسلية كبيرة وأنا أراقب بعينى أجزاء البيت التى تظهر أمامى هناك بالتدريج.

ولكننـــى حـــين وصلت إلى نهاية الطريق الصاعد وجدت أمامـــى هـــناك علـــى بعد عدة أمتار ناقلة عسكرية ومظللة من الخلـــف بـــذلك الغطاء الكبير الأخضر الزراعى ، وكانت هناك ســـيارة جيب عسكرية من نوع "ستيشين واغون" تقف بجوارها وتبدو مائلة قليلاً على المنحدر أمام بوابة البيت !

نعم ... إنها سيارة العقيد "كريغو" لقد عاد من إجازة.

لم يكن يجدى إذا تمتمت فى حنق قائلاً :-

- "اللعنة ... لقد عاد مبكراً عن موعده بأسبوع كامل".

إننى ... ولدهشتى أنا نفسى - لم يصدر عنى رد فعل معين فى تلك اللحظة ... فلم اشعر حتى بالإحباط ، وقد يكون هذا لأن

قـواى قـد خـارت وغالبنى التعب . لقد شرعت فى أن أعود أدراجـى ، ولكننـى أحسست إننى لن أشعر بالراحة إلا بعد أن أقـوم بتوصيل تلك اللفائف الكبيرة التى تجشأت عناء حملها هنا وبعد أن أقوم بإلقاء ولو نظرة واحدة على "إيتسوكو" ، ولذلك فقد شعرت بروح المغامرة تشعل صدرى إشعالاً .

لقـد كان العقيد "كريغو" يقف داخل السيارة الجيب بملابسه العسكرية وكان يتولى الإشراف على عملية إنزال صناديق من جميع الأحجام من الناقلة العسكرية بينما كان يطبق بشفتيه على الغليون .

لقـد أقدمت على الدخول من البوابة الخارجية لحديقة البيت وأنا أغالب شعورى المتردد المضطرب الخائف . لقد استجمعت شجاعتى وصحت بصوت عال باللغة الإنجليزية:-

"GOOD MORNING"

وكنت لحظتها وأنا أحرك ساقاى الثقيلتين قد لمحت اليافطة الخشبية البيضاء التى تحمل الحرفين اللاتينيين U . S وبجوارهما الـرقم المسلسل الذى يدل على هوية هذا البيت الموضوع تحت حراسة الإدارة العسكرية الأمريكية لليابان .

لكـن العقيد "كريغو" لم يرد على تحيتى بكلمة بل أنه نظر إلى شزراً قاطباً جبينه وعاقداً حاجبيه الكثيفى الشعر بوجه جامد مقتضب . لقد شعرت لحظتها ... ومن مجرد رد فعله الصامت هذا بأننى قد ذقت طعم الهزيمة أمامه .

لقد وجدت نفسى أتمتم بصوت غير مسموع قائلاً :-

– "أخ ... لقد أخطأت ... أنها الساعة الثانية بعد الظهر!

تمتمت بتلك الكلمات وصورة العقارب السميكة للساعة الكهربائية التى رأيتها منذ لحظات فى محطة القطار فى ذاكرتى. لقد أحسست فى تلك اللحظة بحرج شديد ، وفى نفس الوقت شعرت برعب أجتاح جسدى كله فى لحظة واحدة وبقوة كبيرة ، ودون تفكير لم أشعر بنفسى إلا وأنا أعود أدراجى وأنا أركض بكل سرعة هارباً إلى أسفل المنحدر وأنا أكاد أن أتعثر وأسقط على وجهى !!

كان مؤشر مقياس الحرارة بمتجر الأسلحة يشير إلى درجة ٣٤ درجة مئوية ، وكانت الحروف المكتوبة بالطلاء الأحمر "خطر" على باب مخزن الذخيرة الحية تبدو وكأنها ساخنة وعلى وشك الذوبان .

إننى بعد أن قطعت حى "هاراجوكو" عدواً ووصلت إلى نهايته شعرت بكراهية نفسى وبإحساس بالذل والمهانة لا أستطيع وصفه ، ويومها نسيت تماماً كل ما يتعلق بأمر "إيتسوقو".

وبعد ذلك بيوم كامل وحين بدأت أستعيد السيطرة على أعصابى أحسست بوضوح أن تلك الحياة التى عشتها مع "إيتسوقو" حتى أول البارحة لن أستطيع أبداً استعادتها مهما استنفذت الحيل ، وهنا بدأت أحس بذكريات "إيتسوقو" تلح على إلحاحاً شديداً وتجعلنى أشعر بالتوتر والحسرة . ولكنى أدركت إننى مهما حزنت ومهما شعرت بفداحة الإحباط فلن أستطيع تحقيق أملى فى إعادة تلك الأيام والذكريات . لقد أدركت فى لحظة ما بأن تلك اليافطة الخشبية الصغيرة التى حفر فوقها رقم

ذلك البيت الموضوع تحت الحراسة وكأنها وقعت فى يد الأعداء لا محالة بعد موقعة عسكرية عنيفة!!

لم تكن لى حيلة سوى أن أذرع أرجاء متجر الأسلحة ذهاباً وإياباً على غير هدى . نعم لقد أدركت أننى مهما انتظرت فسوف اكتشف أنه لن يكون هناك زائر واحد .. وأنه سيكون انتظارا دون معنى .

لقد صرت أمسح بعينى الزائغتين هاتين تلال أظرف الطلقات المفزعة من بارودها وكرات الألعاب النارية والمفرقعات التى تستخدم فى المهرجانات الرياضية وخيالات المآتة الخشبية المصممة على أشكال طيور النهر والتى تستخدم كفخاخ فى الصيد !

حوالى الساعة الحادية عشرة ليلاً أفزعنى صوت جرس الهاتف المزعج والذى دق دون سابق إنذار وشعرت أن صداه يرتج فى أرجاء المكان وداخل رأسى . ولسبب ما فقد ابتسمت متهكماً وأنا أسرع الخطو نحو جهاز الهاتف لكى التقط السماعة. نعم ... يبدو أننى لم أبرأ تماماً من العادة التى تمكنت منى حتى الليلة قبل البارحة ، فصرت أشعر بقلبى ينتفض انتفاضا داخل صدرى.

ولكن الأمر اختلف تماماً فى اللحظة التالية!

نعم .. إنه لم يكن صوت جرس الهاتف ، لقد كان جرس باب المتجر !

من خلال زجاج الباب ومن خلال أعواد المظلة الحصيرية التـــى كانـــت مكورة إلى أعلى خارج الباب لحظت ظل إنسان ينعكس عليه ضوء مصباح الشارع .

نعم ... لقد كانت "إيتسوقو" !!

لقد ارتبكت وأنا أحاول الإسراع بفتح الباب بالمفتاح ... فقد كانـــت يدى الممسكة بالمفتاح ترتعش ولا تجد سبيلها إلى فوهة المفتاح !

وحين أدركت "إيتسوقو" تواجدى عبر زجاج الباب ابتسمت لـــى ... ورغـــم أن مـــصابيح الـــشارع كانت تعكس أضواءها البرتقالية عليها .. إلا أن وجهها كان يبدو لى من خلال الزجاج باهتاً شاحباً .

لقـــد فتحت الباب لها ودعوتها للدخول ، ورغم أنها كانت تقـــف أمامـــى هكـــذا بشحمها ولحمها إلا أننى ظللت مشدوها وعيناى تكذبانى.

كانت أضواء مصابيح الطريق الخارجية المتسللة من خلال زجـــاج الباب تعكس ظل البنادق المعلقة فى صف طويل على الحـــائط بشكل منكسر ملتو ، وكان ذلك الظل المنكسر لخطوط رأســـية يـــنعكس على وجه "إيتسوقو" أيضاً . وبعد لحظات من الصمت خرجت كلماتها من ثنايا تلك الظلال لتقول لى :-

- "وكأننى لم التق بك منذ ثلاث سنوات"!

لقـد تهيأ لى أن تلك الكلمات وأن صوتها هذا لا يأتينى من فمهـا هـذا وهى واقفة أمامى وإنما شعرت بتلك الأشياء تأتينى بصدى من عالم آخر!

لقـد عاد العقيد "كريغو" وزوجته بالأمس ، ولكنهما خرجا صـباح الـيوم مـرة أخـرى فى إجازة أخرى . لقد قالت لى "إيتـسوقو" إنهما ذهبا للاستجمام فى مكان بعيد ذو طقس لطيف منعش للاستجمام وللاستمتاع بحمام شمس دافئ.

– "هل أصابتك الدهشة"؟

ثم استطردت قائلة :–

– "قـال إنـه سيعود بعد غد ... نعم ... أن الإجازة امتدت يومين آخرين".

لقد اكتفيت بالاستماع إليها ولم أستطع الإجابة . لقد فاجأتنى بسؤالها عما إذا كنت قد اندهشت أم لا . ، ولم أستطع أن أوضح لهـا كـيف كانت دهشتى . كانت كلماتها تعنى أننى سأستطيع العودة إلى حياة كنت قد أيقنت أننى طردت منها شر طردة .

أحسست لحظتها أننى استعدت فى يدى الحذاء الزجاجى بعد أن فقدته لبعض الوقت نعم ... أحسست أن هذين اليومين اللذين حصلت عليهما فجأة بمثابة الحذاء الزجاجى الذى خلعته وفقدته متعجلا خلال الإجازة السابقة ! نعم ... كان يعنى ذلك أن هذين اليومين سيعيدان لى كل الأشياء التى فقدتها .

أفقت من تخيلاتى على صوت "إيتسوقو" وهى تقول:–

- "لقد رحلا هذا الصباح ، وبعدها مباشرة حاولت الاتصال بــك هاتفــياً أكثر من مرة ... إلا أننى فشلت تماماً فى العثور عليك" .

بالطــبع لم يكن من الممكن أن تجدنى "إيتسوقو"هنا فى هذا المتجر أثناء فترة النهار، وحين شرعت فى أن أنقل إليها أفكارى هذه ... عاجلتنى قائلة:-

- "نعم نعم ... لقد نسيت أن أخبرك شيئاً".

صاحت فجأة بتلك العبارة بصوتها الطفولى ذو النبرة العالية وعيناها تتسعان عن آخرها وتلمعان فى هذه اللحظة تذكرت بعد غيبة طويلة وجهها الذى اعتدت عليه.

استرسلت "إيتسوقو" قائلة:-

- "إنــك لــم تخبرنى بالتفصيل عن عنوان هذا المتجر ... ولــذلك فقــد تعبت كثيراً حتى اهتديت إليه : تذكرت هنا أننى بالفعــل لــم أخبرها بعنوان هذا المكان ، لكن يبدو أنها استدلت علــى المتجر من خلال العنوان الذى كان مطبوعاً على الكيس الورقى الذى كان يحوى طلقات الخرطوش والذى قمت بتوصيله إليها فى البداية .

رددت عليها قائلاً :

- كأن يمكنك الاستدلال على هذا المتجر بسهولة إذا سألت عنه أى شخص بالقرب من محطة القطار".

- " ربمــا ... ولكننــى كــنت أشعر بالخجل من أن اسأل شخصاً ما" .

قالـت "إيتسوقو" تلك العبارة وهى تحملق فى ويكاد كتفها يلامس صدرى . وهنا وجدتنى أطوقها بذراعى . أحسست فى هذه اللحظة بدقات قلبها السريعة وبأن صدرها ينتفض انتفاضاً . وفـى اللحظة التالية فوجئت بها تطلب منى أن أنزع الغليون الذى كنت أضعه فى جيب القميص على الجانب الأيسر .

نزعت الغليون على الفور وأنا أشعر بالحنق والاضطراب وألقيـته بعـيداً . وهنا تدحرج الغليون على الأرضية الحجرية محدثاً صدى مزعجاً تردد بين جدران الغرفة .

اصـطحبتها بعـد ذلـك إلى ذلك الكرسى الهزاز الجلدى الطـويل الموجود بنهاية الغرفة . وأثناء ذلك شعرت أكثر من مرة بأننى أتعثر فى السير وأكاد انكفئ على وجهى وأنا أمر فى ذلـك الممـر الضيق بين الأرفف حيث كانت تتشبث بى بقوة وتلتصق بى التصاقاً .

لـم نعـد كلانا قادرين على الوقوف على أقدامنا من شدة التوتر .

لقـد تأكـدت تمامـاً فى تلك اللحظة من أننى لا أستطيع الابتعاد عن هذه المرأة ، وأيقنت أنه جاء الوقت الذى يجب على كلينا فيه أن نذوب معاً ونصير كياناً واحداً . لقد آمنت وأيقنت بذلك وأنا لا أعى أن هذا مجرد خطأ فى الحسابات نتج من شدة فوراتى واشتعالى ... وكنت اغرق فى هذه الخيالات وأنا أدفن وجهى الساخن فى شعرها الطرى.

لقـد أفقت فجأة من هيامى واشتعالى حين دفعت "إيتسوقو" بقوة وعلى حين فجأة يدى التى كانت تحوم حول تنورتها . نعم

لقـد كانت دهشتى كبيرة ... لدرجة أننى اعتقدت فى البداية أن حركتها لم تكن مقصودة ، ولكننى حين كررت محاولتى فوجئت بها تعاود نفس السلوك وتقول لى بحدة :-

- "لا ... لا يصح أن نفعل هذا" !

كـان أول رد فعـل هاجمنـى فى تلك اللحظة هو الشعور بالخزى والحرج . ولكى أقاوم ذلك الشعور وأتظاهر باللامبالاة فقد ابتسمت للحظات ووجهى تكسوه الحمرة من الخجل ، ولكن ذلك لم يلبث إلى أن يتحول إلى شعور بالغضب العارم .

لقـد وجدت نفسى أحاول القبض على يديها لكبح مقاومتها وأنا أصيح غاضبا :-

- "أى حماقة تلك"

ثم استطردت قائلا :-

- "إذن ... لماذا جئت إلى هنا بحق السماء"؟

الحقيقة إننى فى هذه اللحظة كنت أريد أن أطبق بيدى على رقبـتها حتى تلفظ أنفاسها ! ولكن هذه الثورة العارمة لم تستمر طـويلا ... فالبـرغم من أننى كنت ثائراً لهذه الدرجة إلا أننى أحسست بقواى تخور فجأة .

إننى لم أستطع الاستمرار فى المقاومة رغم أنها لم تقم بدفع يـدى سوى مرتين فقط . بل إن ما جعل الأمر يبدو أكثر سوءاً فـى نظرى أننى وجدتها تستلقى هناك على أرضية الغرفة تفرد جـسدها فـى استسلام بينما كانت تفتح عينيها عن آخرهما فى دهـشة وذعـر وكأنهـا دمـية مكسورة ! كانت قصبتا ساقيها

النحيلتين تبرزان من طرف تنورتها وكأنهما مكسورتين ... وكانتا ممتدتان فى خور وضعف .

حين وقعت عيناى على ذلك المشهد أصبت بالارتباك الشديد وكأننى قائد لأسطول بحرى وجد نفسه مجبراً فجأة على تغيير تشكيله القتالى أثناء معركة ما !

لقد عادت تساؤلاتى إلى الوراء زمن بداية "الإجازة الصيفية" حين قالت لى أن الـ "هيغوارشى" طائر وليست حشرة! وهنا أدركت بوضوح أننى كنت أعيش سوء فهم وأن "إيتسوقو" لا تتعدى أن تكون صبية عذراء بريئة !.

شعرت لحظة إدراكى لسوء الفهم بجسدها الذى كنت أحيطه من الوراء بذراعى ثقيلاً مثل الصخرة وشعرت بأننى لا أحس بالراحة فوق هذا الكرسى الهزاز الطويل .

لقد أخذت أحاول تبريد وجنتى الملتهبة هذه بأن ألصقتها بظهر المقعد الجلدى وأنا أحملق فى سقف الغرفة الذى كان يبدو لى بأنه حفرة سحيقة مظلمة . كنت أشعر بلذة من ملمس جلد المقعد على صدغى .

بعد لحظات اعتدلت "إيتسوقو" من رقدتها وجلست ، ثم أخذت تهذب خصلات شعرها أمام زجاج ضلفة الدولاب . وهنا بادرتها قائلا وأنا أستلقى فوق المقعد "وإذا أردت مرآة فها هى مرآة كبيرة هنالك"-

ولكنى بعد أن أنهيت هذه الجملة شعرت للحظة بالوجوم والارتعاش . نعم ... ألم تكن تعنى جملتى هذه أننى أحثها على الإسراع بالرحيل ؟

إننى الآن بحق على وشك أن أفقد كل شيء .

لقـد نهضت واقفاً على قدمى وأرشدتها إلى مكان المرآة ثم أضأت مصباحاً كهربائياً باهر الضوء لكى تستطيع الرؤية .

ها هو سلوكى العطوف الذى اعتقدت إنه نابع من رد فعل لـرغبتها فى تهذيب زينتها ينقلب على العكس لكى يتسبب فى إبعادى عنها .

لقد شعرت بشفقة وحزن لم استطع مغالبتهما وأنا أنظر إلى ثنـيات ثوبها التى نشأت لكى تتماشى مع عظام كتفيها الناتئين وهى تعطى لى ظهرها النحيل بينما كانت تقف أمام المرآة تحت ضوء المصباح .

لقـد كـنت على وشك أن أنطق بشئ ... ولكن الكلمات لم تـسعفنى . كنت أرغب فى أن أقول أى شيء كى أكسر رهبة الصمت والسكون ... لكنى لم أفلح فى العثور على أى مفرد من المفردات . لقد أدركت إننى مهما قلت من كلمات فإن ذلك على العكس سوف يفضح كذبتى .

وفى نفس الوقت فقد أحسست أننى لو تركتها هكذا دون أن أقول لها أى شيء فسوف تبتعد عنى وتصير فى مكان قاص لا تطوله يداى ، إلا أننى أحسست أيضاً أن أول كلمة ستخرج من فمـى سوف تقطع على الفور واللحظة ذلك الخيط الواه الذى ما زال يربطنا معاً!!

فجـأة تـركت "إيتسوكو" المرآة والتفتت ناحيتى ، ثم قالت بوجه مبتسم وهى لا تدرك ما يراود خاطرى :-

- " ألا توصلنى إلى المحطة"؟

وهـنا لـم أستطع مواصلة الضغط على انفعالاتى فصحت قائلا :-

- " أبداً ... أبداً لن يكون ذلك"!

لم يكن هناك شيء قد تغير فى متجر بنادق الصيد "ن" هذا. نعم ... لقد كان هذا شيء يثير الدهشة والعجب داخلى .

لقد صرت الآن أقضى معظم الوقت بالمتجر وأنا نائم فوق مقعدى ، ولم تعد لى الرغبة فى أن أفعل أى شيء .

أحياناً كنت أفتح عينى المثقلتين بالنعاس وأمسح بهما جهاز الهاتف المسجى فوق المكتب ، وأحياناً أخرى كنت أفيق مفزوعاً كى أختطف سماعة الهاتف وأضعها فوق أذنى!

لكنـــى لـــم أكـــن أســـمع شيئاً . ومع ذلك فقد كنت أطيل الانتظار. أنا ألصق السماعة بأذنى وحينئذ كنت أشعر بأن صدى معدنـــى عـــال يدغدغ قاع أذنى ... صوت يشبه صدى تلامس الأســـلاك الكهـــربائية حين تهزها الريح . بالطبع لم يكن ذلك الـــصدى لكلمات ولكن مع تزايد صدى ذلك الصوت كان يتخيل إلـــى أنـــه يـــتحول إلى كلمات ... فترى ماذا كانت تبغى هذه الكلمات أن تهمس لى به؟

وفـــى إحـــدى المـــرات ظللت ألصق سماعة الهاتف بأذنى طويلا طويلا دون أن أنزلها ، فى الوقت الذى كنت أستمتع فيه بلذة خداعها لى !

الفهرس

المقدمة	٩
رائحة الحى الهادئ	١٩
حين يأتى الربيع	٤٥
رفاق السوء	١١١
البشارة	١٦١
الحذاء الزجاجى	١٨٧

منافذ بيع مكتبة الأسرة

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم
١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق
مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب
القاهرة - ت : ٢٥٧٧٥٣٦٧

مكتبة مركز الكتاب الدولى
٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة
ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ٢٦ يوليو
١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة
ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة شريف
٣٦ ش شريف - القاهرة
ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة عرابى
٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة
ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الحسين
مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة
ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة ساقية عبدالمنعم الصاوى
الزمالك - نهاية ش ٢٦ يوليو
من أبو الفدا - القاهرة

مكتبة المبتديان
١٣ش المبتديان - السيدة زينب
أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ١٥ مايو
مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز
ت : ٢٥٥٠٦٨٨٨

مكتبة الجيزة
١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة
ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة
بجوار كلية الإعلام - بالحرم الجامعى - الجيزة

مكتبة رادوبيس
ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة
مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغانى من شارع
محطة المساحة - الهرم
مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة
ت : ٣٥٨٥٠٢٩١

مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية
ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية

التمليك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦
مدخل (أ) - الإسماعيلية
ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة -
الجامعة الجديدة - الإسماعيلية
ت : ٠٦٤/٣٣٨٢٠٧٨

مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة
ناصية ش ١١، ١٤ - بورسعيد

مكتبة أسوان

السوق السياحى - أسوان
ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية - أسيوط
ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب - المنيا
ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب -جامعة المنيا - المنيا

مكتبة طنطا

ميدان الساعة - عمارة سينما أمير - طنطا
ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد
عمارة الضرائب سابقًا

مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور

مكتبة المنصورة

٥ ش الثورة - المنصورة
ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية
جامعة منوف

ينعم الإنسان بشعور الألفة بينه وبين المجتمع الذي يحياه
ويحيا فيه، حين يفتح أفقاً أمام الحاضر والمستقبل، باستيعابه
المعلوم، وإدراكه المجهول، وحين يقرأ نفسه، ويقرأ الآخرين،
فكل قراءة تجدد المعرفة تحررنا من العجز أمام المشكلات،
وتمنحنا طاقة الإمكان على تحسين الحياة، بأن نوظف معارفنا
لكل ما هو نافع ومفيد، فالمعرفة أهم وأغنى وأقوى ما يمكن
أن نمتلكه في الحياة، ففي ظلها يزدهر عقل الإنسان، ووعيه
المتجدد المتطور، فتتعدد لديه الإبداعات والإنجازات
وينتج الموارد والثروة، ويصنع القوة، وتتسع أمامه كل
المجالات. إن الإحساس بالقراءة يجسد ممارسة الحياة.
لذا، كانت وستظل دعوتي أن نقرأ للحاضر.. أن نقرأ
للمستقبل.. أن نقرأ للحياة

سوزان مبارك

ISBN# 9789774204701

6 221149 010901

٢ جنيه

القراءة للجميع
2008 - 2009

مكتبة الأسرة
٢٠٠٨

الهيئة المصرية العامة للكتاب